


# في تاريخ
# جازان وعسير ونجران

## الجزء الأول
## العصر الجاهلي حتى الدولة العثمانية

تأليف
عبد الواحد محمد راغب دلال




# البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران

الجزء الأول

العصر الجاهلي حتى الدولة العثمانية

تأليف
عبد الواحد محمد راغب دلال

---

الطبعة الأولى
١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م



# مقدمــــــة

حين نقدم هذا البحث إليك أيها القارئ الكريم عن تاريخ جازان وعسير ونجران، فإننا لاندعى أننا أدركنا ما استحال ادراكه على غيرنا من الباحثين ذلك أن الحقائق التاريخية، بكلياتها وجزئياتها مرقومة في ذاكرة التاريخ ومبثوثة بين دفتي الكتب، مثل المعادن منها ماهو ظاهر على سطح الأرض، وماهو مطمور قريب إلى السطح، أو أدنى إلى العمق، وبمقدار الظهور والخفاء، والقرب والبعد تكون المعاناة والجهد المبذول في اقتناص الأخبار والحقائق التاريخية، ومن ثم رصدها.

واكتشاف الحقائق التاريخية، أوجزئياتها، وسبك خيوطها في نسيج محكم، مدعم بالأدلة والبراهين الواضحة، وعلى الوجه الذى يجعلها مقبولة لدى كل منصف، هو عمل يحتاج إلى جهد جهيد، لما يقتضيه من إمعان نظر، وفحص وتمحيص.

ولاريب أن الباحث في تاريخ تلك المناطق، منذ ما قبل الإسلام حتى عصرنا الحاضر، يجد الارهاق عند تتبعه جزئيات تلك الحقائق التاريخية، من المصادر المختلفة، لأنها وإن كانت قد نالت حظاً من اهتمام الباحثين، فسجلوا تاريخها في العصر الحديث، لكنها لم تنل

الاهتمام لنفسه من التسجيل فى أطوار التاريخ، ومراحله السابقة، وإنما ذكرت عرضاً ضمن التاريخ العام لشبه الجزيرة العربية وتاريخ العرب والإسلام، وأصل القبائل وأنسابها وتفرعاتها، وهجراتها، واستيطانها، وما وقع بينها من حروب أو موادعة وموالاة، وماقيل فيها من شعر أو روى من قصص ووقائع، وبخاصة عن العصر الجاهلى.

فالعرب لما كانوا أمة أمية، قليلو العناية بالكتابة، فقد استعاضوا عن ذلك بقوة الحفظ، وصقلوا موهبتهم على إختزان ما تلتقفه أسماعهم، في ذاكرة حفظ واعية، بغرض حفظ تاريخهم، وأنسابهم، ووقائعهم وغير ذلك مما يحتاجون إلى تداوله حفظاً لكيانهم بين الأمم المعاصرة لهم، حتى إذا ما جاء الإسلام كانوا قد بلغوا الغاية في ملكة الحفظ، وفي الفصاحة والبلاغة، فكان القرآن الكريم متحدياً لهم في أهم ميدان برعوا فيه .

بدأ المسلمون لتدوين علومهم بجمع أحاديث الرسول ﷺ ومغازيه مبدعين في ذلك منهجاً لم يُسبقوا إليه، وهو الرواية والاسناد، والجرح والتعديل، وهو منهج تميز بالدقة والاتقان، وشدة الحرص والتحرى في نقل الأخبار .

وكان ممن أرخوا فى السير والمغازى مبكراً: عروة بن الزبير (ت ٩٢هـ) وعاصم بن قتادة (١٢٠هـ)، وابن هشام الزهرى (ت ١٢٤هـ)، وابن حزم الأنصارى (ت ١٣٥هـ)، والواقدى (ت ٢٠٧هـ) وابن هشام (ت ٢١٣هـ)، ثم تبعهم علماء أرخوا للإسلام

بالمنهج الذى اتسم بالحرص والتحرى في نقل الأخبار، إلى درجة بعيدة في مصداقية الخبر، اعتماداً على الراوية والسند، دون التحليل في معظم الأحوال كالطبرى (٣١٠هـ)، وابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، والذهبى (ت ٧٤٨هـ)، وابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، والمسعودى (ت٣٤٦هـ)، وابن كثير (ت٧٧٤هـ)، وتبعهم نقاة في كل عصر سلكوا نفس المنهج أو قريباً منه.

ونحى فريق من علماء المسلمين منحى آخر، فصنفوا في جغرافية الأرض وطبيعتها، وتحديد اقاليمها، وخصائص كل إقليم، من حيث التربة والمناخ والكائنات الحية وغير ذلك مما هو مدون في كتب المعاجم والبلدان.

ومن الملاحظ ان من أرخوا للعرب في العصر الجاهلى، وبالأخص للدول والممالك التى اقاموها، قد اعتمد بعضهم على ما نقله الاخباريون، أو ماورد في مؤلفات أهل الكتاب، وهي أخبار تتسم في معظمها بالتضارب وعدم الدقة والواقعية، وغالباً أوردها هؤلاء المؤرخون بنوع من الحذر في مصداقيتها.

أما تاريخ العرب في ظل الإسلام، وكذلك تاريخ شبه الجزيرة، فقد وجد اهتماماً بالغاً من المؤرخين في مختلف العصور، وإن كان التركيز على بعض البقاع أو الأقاليم يجد الاهتمام الأوفى دون بقاع وأقاليم أخرى، وربما يعود ذلك إلى وجود السلطة الإدارية والسياسية في ذلك الاقليم، ولذا نلحظ أن الاقاليم المناطة بالبحث والدراسة، قد

اهملتها المراجع في بعض الفترات التاريخية أو بالأحرى لم تسلط عليها الأضواء كغيرها، وهذا شأن نظيرها في كثير من البقاع.

وعلى كل فنحن نحاول جهدنا تتبع الجزئيات المتناثرة، وايصال خيوطها في محاولة لايضاح ما خفي من تاريخ تلك المنطقة معتمدين في ذلك على المراجع الأساسية لتاريخ العرب والإسلام، وكتب المعاجم والبلدان، والمؤلفات المنصفة في كل عصر، مستأنسين في ذلك بالدراسة الوصفية التحليلية للأحداث والوقائع والأخبار، وظروف ودواعي وقوع الحدث، وارتباطه بأحوال المجتمع والعصر الذي حدث فيه، ومستعرضين الشواهد والأدلة على صحة مانذهب إليه.

وبالرغم مما بذل من جهد وطاقة، فإن نتيجة أية مسألة تم التوصل إليها، قد تكون موافقة للصواب، وقد تكون عرضة للخطأ، وهو أمر مقضي به في أعمال البشر، إلا من عصمه الله، وللمجتهد منهم أجران إن أصاب، وأجر إن اخطأ .. وما علينا إلا بذل ما في الوسع والطاقة مستلهمين من الله التوفيق، داعين العلي القدير، المنزه عن الخطأ، أن يلهمنا الصواب وأن يجنبنا الزلل، إنه سميع مجيب.

المؤلف

# الباب الأول

## بـــــلاد العــــــرب

### ١ – جغرافية بلاد العرب :

حظيت بلاد العرب باهتمام الجغرافيين العرب الأوائل، وأطلقوا عليها مجازاً جزيرة العرب[1] لإحاطة البحار من أقطارها وأطرارها، فصارت منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر[2] حيث تحيط بها مياه الخليج شرقاً، والمحيط الهندى جنوباً والبحر الأحمر غرباً.

ومع وحدة أرضها، وتشابه أصقاعها في العديد من الخواص، إلا أنهم حاولوا بشئ من الاهتمام توضيح طبيعتها الجغرافية، وقسموها إلى أقاليم ترتبط بتقسيمهم لأقاليم الأرض السبعة، تختلف إلى حد ما من حيث الطبيعة والمناخ، والخواص الأخرى.

---

[1] إنما كان ذلك مجازاً لأن الجزيرة هي ما تحيط بها المياه من الجهات الأربع، وبلاد العرب تحيط بها المياه من جهات ثلاث فقط على أرجح الأقوال، ولذا أطلق عليها: شبه الجزيرة العربية.

[2] الهمداني، أبومحمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، المتوفي بعد عام ٣٥٠هـ ، صفة جزيرة العرب ص٥٧.

فقالوا إنها تنقسم إلى خمسة أقسام هي : تهامة، والحجاز، ونجد، والعروض، واليمن[1] ويزيد بعضهم على ذلك بادية الشام، وبادية العراق، وأرض الجزيرة فيما بين دجلة والفرات[2] .

ومع وحدة أرض شبه الجزيرة العربية، والتشابه في كثير من الخواص إلا أن الجغرافيين العرب اعتنوا بالتفريق بين تلك الأقاليم من واقع الاختلاف في المناخ والمظهر التضاريسي، محاولين تحديد معالم كل إقليم، ومافيه من مفاوز وجبال، وقفاز ومناهل، وأودية، وزروع ومنازل للحضر، والبادية وغير ذلك.

والذي يعنينا من تقسيمهم هذا هما تهامة، والحجاز، ثم نجد واليمن من بعض الوجوه.

**تهامة :**

المتعارف عليه عند جغرافي شبه الجزيرة العربية تقسيمها إلى خمسة أقسام كما سبق أن ذكرنا:

١-تهامة ٢-الحجاز ٣-نجد ٤-العروض ٥-اليمن

---

[1] الهمداني، المصدر السابق، ص٤٧، وياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله، المتوفى سنة ٦٢٦هـ . معجم البلدان ١٣٧/٢، والقلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، المتوفى ٨٢١ هـ صبح الأعشى في صناعة الانشا ٢٤٥/٤، والبغدادي، صفي الدين بن عبدالحق، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ص٣٨٠.

[2] ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي، صورة الأرض، ص٢٩.

فتهامة قسم من أقسام الجزيرة الخمسة، ورد اسمها في الكتب (الكلاسيكية) عند ورود ذكر تجارة الطيوب والفاوية والأصباغ، وارتياد بعض تجارة اليونان لشواطئها على البحر الأحمر.

جاء في الخط المسند بأن الملك شرحبيل بن يحصب كان من نعوته الملكية في أول أمره "مَلِكُ سبأ" ثم أضيف إليه عندما توسع مُلكه "مَلِكُ سبأ وذوريدان ويمنت" ثم "ملك سبأ وذوريدان ويمنت وتهامت" ... إلخ. والمقصود بتهامة هنا: تهامة اليمن.

أشرنا بعاليه إلى ماورد في الخط المسند من نعوت الملك شرحبيل بن يحصب ما يعرف منه أن اليمن كان يطلق على منطقة من مناطق ما شمله مُلك ذلك الملك لا الأسم السياسي المعروف الآن (اليمن).

والمتعارف عليه على وجه العموم أن (اليمن) اسم جهة أكثر منه الاسم السياسي الآن، فما كان شمال المستقبل للشرق فهو شام، وما كان على يمينه فهو يمن، وهكذا كل جهة تطلق على ما هو شمالها شام، وما على يمينها يمن، وأكبر دليل على صحة ما نقوله ما ورد في كتاب (صفة جزيرة العرب) لأبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني المتوفى بعد منتصف القرن الرابع.

فقد عقد فصلاً خاصاً في كتابه بعنوان "معرفة تفاصيل هذه الجزيرة عند أهل اليمن" فقال: "هي عند أهل اليمن: يمن وشام، فجنوبها اليمن وشمالها الشام ونجد وتهامة، فالنجد ما أنجد منها عن السراة، وظهر من

رؤوسها ذاهباً إلى المشرق في استواء دونها ينحدر إلى العروض، وحجاز هو ما حجز بين اليمن والشام، وسراة هو ما استوسق، واستطال في الأرض من جبال السراة مشبهاً بسراة الأديم، وعروض وهو ما أعرض عن هذه المواضع شرقاً إلى حيز شمال المشرق ... إلخ"[1] .

وبهذا التعريف فالشام واليمن أسماء جهات أكثر منها أسماء مواضع، وعلى سبيل المثال فنحن في منطقة حازان إذا استقبلنا المشرق نقول لمن في جنوبنا يمن، ومن في شمالنا شام، وكذا أهل مكة يقولون لمن شمالهم شام، ولمن جنوبهم يمن. فهي أسماء الجهات وأسماء الجهات ليس لها حدود متعارف عليها، وفيما بعد الحجاز يقال لسوريا الشام ـ بالتعريف ـ أما أين يبدأ الشام وينتهي، وكذا اليمن، فهذا لايستطيع أحد أن يحدده على وجه الدقة في ذلك الزمن الذي نتحدث عنه تاريخياً.

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية "... ومهما يكن من شيئ فإن الجغرافيين العرب لم يقفوا عند استعمالها ـ أي اسم تهامة ـ بمعنى ساحل البحر أو الغور أو السافلة، بل تجاوزا ذلك فجعلوها وحدة جغرافية وسياسية إلى جانب الحجاز ونجد، والعروض، واليمن".

---

[1] صفة جزيرة العرب للهمداني، طبعة ابن بليهد ص٥٠، وطبعة دار اليمامة للنشر، ص٦٤.

والحق أن تهامة كانت في عهود مختلفة من تاريخ جنوب الجزيرة لعربية وحدة قائمة بذاتها، وشاهد ذلك عهد الوجود الفارسي بجنوب الجزيرة في نهاية القرن السادس عشر الميلادي.

وتهامة هي الغور الضيق الذي يساير البحر الأحمر فيمتد من شبه جزيرة سيناء بمحاذاة الجانب الغربي والجانب الجنوبي من جزيرة العرب، وقد تناول الإدريسي تهامة بأوفى بيان فقال: إنه تتخللها جبال تخرج من خليج القلزم، ويتفرع من هذه الجبال فروع تتجه جنوب المشرق، ويتاخم تهامة من المغرب خليج القلزم، ومن المشرق تلال تسير شمالاً وجنوباً (السراة).

ويقول الإدريسي: إن تهامة تمتد من سرجة إلى عدن اثنى عشر يوماً - وأعتقد أنه يعني الشرجة وهي شرجة الموسم المدينة التاريخية - وأوسع موضع في تهامة هو ساحل جدة ثغر مكة ومن نواحي مكة في تهامة: ضنكان، وعشم، وبيش، وعك، وروى المدائني أن من اجتاز وجرة وغمرة والطائف قاصداً مكة فهو في تهامة"[1] .

وذكر ابن خلكان في (وفيات الأعيان) - ج٣ ص٣٨١ - في ترجمة علي بن محمد التهامي الشاعر المعروف ".. نسبة إلى تهامة وهي تنطبق

---

[1] دائرة المعارف الإسلامية ١٠ ٩٦:١٠ نقلاً عن الادريسي.

على مكة، ولذلك قيل النبي ﷺ التهامي لأنه منها، وتنطبق أيضاً على جبال تهامة وبلادها، وهي خطة متسعة بين الحجاز وأطراف اليمن ".

هذا ماورد في المصادر المذكورة عن وحدة تهامة وتميزها كقسم من أقسام الجزيرة العربية.

أما ماورد في كتاب (صفة جزيرة العرب) من قول الهمداني عن أم جحدم وجبل (كدمبل)، وهو الاسم الوارد في المصادر التهامية (كتمبل). فقول تفرد به الهمداني، وهو قول قيل في عصره وتفرد هو به تقريباً، وهو تحديد إداري في وقت كانت الجزيرة العربية تابعة للخلافة العباسية، وإلا فجبل كتمبل هو في تهامة من بلاد كنانة قرب (القَحمة) لا في (حمضة)، كما يذكره الهمداني، فحمضة هي جنوب القحمة بـ (٢٢)كيلاً.

يوجد غرب القحمة جبلان، الأول في جهة الشمال يسمى (الْوسَمْ) على ميناء القحمة، والآخر يسمى (كتمبل) وهو في الغرب الجنوبي منها، ولطالما أشكل على بعض المؤلفين بين اسم (الْوسَمْ) آلة التعريف بعدها واو مفتوحة وسين ساكنة، الذى في شمال القحمة على الساحل. وبين اسم (المُوسَّم) بضم الميم ثم واو، ثم السين مشددة مفتوحة، الذى هو في أقصى الجنوب الغربي من حدود المملكة العربية السعودية، وبينهما أي بين الحدود من جهة الموسم وبين الحد الإداري للقحمة (٣١٠) كيلاً تقريباً.

**الحجاز:**

يطلق الحجاز على سلسلة جبال، أعظمها جبل السراة، تمتد من اليمن جنوباً حتى بادية الشام شمالاً، وسُمّي بذلك لأنه يحجز ما بين تهامة ونجد[1] وقال البكرى: الطود الجبل المشرف على عرفة ينقاد إلى صنعاء، ويقال له: السراة. أوّله سراة ثقيف، وسراة فَهْم، وعدوان، ثم سراة الأزد، ثم الحرة آخر ذلك كله[2] أى أن ذلك آخر جبال السراة، وليس جبال الحجاز.

ونلحظ أن هؤلاء الجغرافيين العرب قد بينوا الحدود الطبيعية الفاصلة بين الحجاز وغيره من الأقاليم، فمثلاً يقول المسعودى عند تحديده حدود اليمن: حده مما يلى مكة الموضع المعروف بطلحة المَلِك[3] ، وقال البكرى: حدها مما يلى الحجاز، طلحة الملك إلى شرون[4] وشرون من عمل مكة أى تابعه لعمالة مكة[5] .

---

(1) ياقوت الحموى، معجم البلدان، ٢/٢١٨، البكرى: معجم ما استعجم ١/٩، والهمدانى، صفة جزيرة العرب ص٨٥.

(2) معجم ما استعجم، ١/١٥.

(3) انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودى، ٢/٨٩، وتاريخ مدينة صنعاء للرازي، تحقيق العمري، ص٥

(4) يبدو أنها حُرّفت إلى شرون، فسروم وادى في الجنوب الغربى من صعدة، ببلاد بنى جماعة. انظر صفة جزيرة العرب للهمدانى ص٢٠٥، ٢٥٠، ٤١٨، ٤٢١، وفي الأخيرة يقول: الطلاح موضع طلحة الملك، وجميعها مواضع في بلد وادعة من همدان، وهى من أحواز أرينب.

(5) البكرى معجم ما استعجم ١/١٦.

ويزيد الأمر وضوحاً قدامة بن جعفر الكاتب، وهو يصف الطريق المؤدى إلى مكة المكرمة، ومافيه من منازل، وقرى، وآبار وغيرها، محدداً المسافات بين المنازل والبقاع الواقعة على الطريق. فيصف الطريق من مكة إلى صنعاء حتى يأتي إلى مدينة جرش. ثم يقول: ... ومن جرش إلى كثبة[1] ، قرية عظيمة بينها وبين جرش ثمانية أميال، ومن كثبة إلى الشجة، موضع البريد وفيه بئر ماء ينزله القوافل، وهو في بلاد زبيد[2] ، ومن الشجة إلى شروم راح[3] إلى المهجرة وهي قرية عظيمة جبلية كثيرة العيون والأهل وفيما بينها ـ أى المهجرة ـ وبين سروم راح، شجرة تشبه شجرة الغَرَب إلا أنها أعظم، في وادى طلحة الملك وكان النبي ﷺ حجز بها ـ أى بتلك الشجرة ـ بين مكة واليمن، ومن المهجرة إلى عرقة، منزل في جبل فيه أعراب من خولان، وهي أول عمل اليمن، ومن أعمال صعدة[4] أى أن ما بعد عرقة منزل ينزله بعض قبائل خولان هو أول عمل اليمن. وهو غالباً بأرض خولان بنى عامر.

ونلحظ أن ابن خرداذبة جاء بما يؤكد ذلك، حين ذكر مخاليف مكة فقال: الطائف، ونجران، وقرن المنازل، والفتق، وعكاظ، والزيمة، وتربة،

---

[1] نظن أنها "كتنة" الموجودة حالياً بهذا الاسم بأرض قحطان الجنوب.

[2] بمخلاف السحول بأرض اليمن، صفة جزيرة العرب ص٢١٢.

[3] الصواب: سروم بالسين، بدلاً من الشين.

[4] انظر: الخراج وصناعة الكتابة، ص٨٢،٨٣، لقدامة بن جعفر الكاتب بعنوان الخراج بالدولة العباسية (ت-٣٢٠هـ) بتحقيق. د/ محمد حسين الزبيدى، وابن خرداذبة ص١٣٥.

وبيشة، وتبالة، والمحمرة وثجة، وجرش، والسراة[1] وغيرها .. فقد ذكر هنا أن نجران من مخاليف مكة وكذا السراة.

وقال وهو يصف الطريق من مكة إلى اليمن، وبعد أن يعدد البلدان حتى كثبة: ثم الثجة، ثم إلى سروم راح، قرية عظيمة فيها عيون وكروم، ثم إلى المهجرة، وفيما بين سروم راح والمهجرة، طلحة الملك بها شجرة عظيمة تشبه الغَرَب[2] غير أنها أعظم منه، وهي الحد ما بين عمل مكة وعمل اليمن[3] (والمهجرة من أعمال صعدة بينها وبين صعدة حوالي ٩٥ كيلا)[4] .

ويقول القلقشندي حدود اليمن مع مكة الموضع المعروف بطلحة الملك، وما على سمت ذلك إلى البحر[5] أي البحر الأحمر.

كما يقول صاحب تاج العروس: نجران يُعد من مخاليف مكة، فتح سنة عشر من الهجرة صلحاً على الفيء[6] وفي موضع آخر قال: من نجران

---

(1) المسالك والممالك لابن خرداذبة، ص١٣٣.

(2) شجر الغرب، هو شجر كبير الحجم مثل شجر الصفصاف، وقيل هو الصفصاف، وكان يصنع منه السهام لمتانته، وله فوائد طبية ذكرها القزويني في كتابه "عجائب المخلوقات" ص١٧١.

(3) المسالك والممالك ص١٣٥.

(4) انظر صفة جزيرة العرب ص٢٥٠، ص٣٣٩، ص٤٢١.

(5) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ٥/٦، ٤٤.

(6) محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ٣/٥٥٦.

التي هي من أعمال مكة[1] . وذكر بعض الأسماء الشهيرة، ونقل القلقشندي: أن نجران صقعاً مفرداً[2] أي إقليماً قائماً بذاته.

وقد أورد ابن زيارة العبارة التي قالها صاحبُ معجم البلدان نقلاً عن الأصمعي عند تحديده حدود اليمن، فقال: "اليمن ما اشتمل عليه حدودها ما بين عمان إلى نجران[3] . لأن "إلى" تفيد هنا انتهاء الغاية المكانية فلا يدخل في الغاية مابعدها، أي أن أرضها هي المنطقة الواقعة فيما بين عمان ونجران، وبذلك تخرج كل من عمان ونجران عن حدود وأرض اليمن .. وهذا فعلاً مايقول به التاريخ .. وما تتقصى أدلته في هذا البحث.

ونقل الفاسي أقوال من سبقه[4] كابن خرداذبه، والفاكهي، والحازمي، وغيرهم محرراً كلاً منها، ومنتهياً إلى ما قاله الفاكهي من أن آخر مخاليف مكة عن طريق تهامة فيما مضى هي بلاد عك[5] وأن آخر أعمالها ومخاليفها بطريق صنعاء هي نجران.

---

[1] نفس المرجع، والصفحة نفسها.

[2] صبح الأعشى ٥/٤١.

[3] مختصر أنباء اليمن ونباهة في الإسلام، المطبوع مع مجموعة ضمن كتاب، الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ، ص٢٧٢.

[4] انظر شفاء الغرام، ج١، ٢١٠-٢٤٤، وأيضاً كتاب المنتقى في أخبار أم القرى، ٢/٥٠.

[5] سنعرض إلى بلاد عك فيما يأتي عند ترتيب الرسول ﷺ للولايات أواخر عهده.

كل تلك المواقع التي أوردناها واقعة في إمارة عسير – من البلاد السعودية – وأقصاها جنوباً "كتنة" يقع في بلاد وادعة التي تنتشر في منطقة ظهران الجنوب وما حولها وفق مواقعها على طريق الحج.

وعموماً لقد كان العلماء الجغرافيون العرب يحددون تلك المواقع التي على طريق الحج بحسب الوضع الإداري كل منهم في عهده، فإذا اتسع الحكم لمكة امتد نحو الحدود التابعة لها، والعكس بالعكس، فذلك يختلف باختلاف الأزمان والحكومات، والجغرافيا السياسية والإدارية في كل زمان ومكان فهي موضع للإمتداد والإنكماش والتغير والتبدل بحسب ما تقتضيه مصلحة الإدارة.

أما الحدود الحقيقية فهي تشمل بلاد عسير، وبلاد قحطان، وبلاد وادعة، ومعاهدة الطائف مبنية على الحدود الطبيعية الحقيقية بين حكومتي المملكة واليمن بموجب لجان مشتركة من قبائل الأرض في السعودية واليمن، وشخصيات مسئولة من الحكومتين ارتضتهم الحكومتان واختارتهم، وعملت المحاضر ووقعت عليها اللجان في عين الزمان والمكان، ووضعت الأعلام والصوى عليها.

غير أن سلطة ولاة مكة فيما مضى كانت تمتد فتشمل تهامة، وعسير ونجران في عهد الدولة الإسلامية الموحدة، عهد الرسول ﷺ، وخلفائه الراشدين، وعهد بني أمية والعباسيين.

ونحن من جانبنا سنأتي على ما يؤيد هذا النفوذ، وامتداد السلطة، خلال السرد التاريخي لعهد الخلفاء الراشدين، وبني أمية، والعباسيين.

ومما يلاحظ أن أسماء بعض المعالم التي ذكرها هؤلاء عند تحديدهم الحدود الطبيعية، مازالت قائمة حتى وقتنا الحاضر، وبعضها الآخر اندثر، غيرأن كثيراً منهم أوضح مقدار المسافات بين تلك المعالم، ويمكن الاستئناس بذلك لمعرفة ما اندثر منها، كما يلاحظ عدم الدقة في التحديد لدى البعض، وذلك بالمقارنة بالتحديد الدقيق في العصر الحديث.

وعموماً فإن الأطوار التاريخية للمنطقة موضع الدراسة، من حيث اعتبار تلك المعالم الحدودية، أو عدم اعتبارها، أو زيادتها أو نقصانها، كان يخضع غالباً لعدة اعتبارات لعل من أهمها: حركة القبائل، واستيطانها، وهجراتها، والاعتبارات التي كانت تحكم قبائل وسط شبه الجزيرة العربية، منذ ما قبل الإسلام، حتى خضعت لعوامل التنظيم الإداري والسياسي في ظل الإسلام، وشمل هذا التنظيم الأرض التي يقيمون عليها، بدخولها في إطار الدولة الإسلامية، التي وضعت ترتيبات إدارية شرعية، شملت الأرض، وما يخرج منها من زروع، وما يدب عليها من كائنات، ومن يسعى في جنباتها طلباً للرزق..

ومن خلال حركة القبائل، والترتيبات الإدارية في ظل الإسلام، تستزيد إيضاحاً لتاريخ المنطقة، ولمعالمها الحدودية على ضوء ما يتم استعراضه من الجوانب التاريخية على مختلف الأطوار في هذه الدراسة.

## ٢- موقع أقاليم جازان، وعسير، ونجران :

**جـــــازان :**

هو الاسم الذى يطلق على المنطقة التى تضم مجموعة من البلاد، والبوادى، قاعدتها الإدارية مدينة جازان، وكانت تعرف فى السابق بمخلاف حكم، ومخلاف عثر إلى أن وَحّدهما أميرهما سليمان بن طرف، فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى، تحت مسمى: المخلاف السليمانى، ثم استمر علماً على المنطقة[1] إلى أن امتدت إليها يد الاصلاح فى عهد الملك عبد العزيز فاندمجت ضمن كيان المملكة العربية السعودية، مما سيأتى إيضاحه فيما بعد.

وحدوده الجنوبية والشرقية تخضع للتحديد الذى تم إيضاحه فى معاهدة الطائف[2] ، ومن الغرب البحر الأحمر، أما الحدود الشمالية فتخضع للترتيبات الإدارية لمناطق المملكة.

---

[1] العقيلى، محمد بن أحمد، المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية، مقاطعة جازان، ص٤١.

[2] حيث يبدأ خط الحدود ـ الموضح فى البند ٤٤ من المعاهدة ـ من النقطة الفاصلة بين ميدى (اليمنية) والموسّم (السعودية) على ساحل البحر الأحمر إلى جبال تهامة فى الجهة الشرقية، ثم يرجع شمالاً إلى أن ينتهى إلى الحدود الغربية الشمالية، التى بين بنى جماعة ومن يقابلهم من جهة الغرب والشمال، ثم ينحرُ إلى جهة الشرق إلخ مما سيأتى ايضاحه فى موضعه من هذا البحث.

وشواطئه الساحلية قليلة التضاريس غير صالحة لرسو السفن الكبيرة، ويتبعه مجموعة جزر بحرية، أشهرها جزيرة فرسان، وكان بالقرب من تلك الجزر مغاصات للؤلؤ، كما توجد بعض الشعب المرجانية.

أما أرضها فعلى ثلاثة أقسام:

١- سبخات ساحلية، بمتوسط عرض أربعة كيلو مترات، وبها بعض الحرار فيما بين مينائي الشقيق، والقحمة.

٢- سهول خصبة رملية في الناحية الغربية، مما يلي السبخات ثم طينية بعدها.

٣- حُزون يتخللها بعض الحِرار، وهي غنية بالمراعي والغياض، والأراضي القابلة للزراعة، بالإضافة إلى الأراضي المتجمعة زراعياً لأفضل أنواع المحاصيل والخضر والفواكه.

وذلك بالإضافة إلى منطقة جبلية، وهي قسم من سلسلة جبال السروات، بها مدرجات زراعية غزيرة الانتاج[1] وبها ٢٩ وادياً تفيض بمياه غزيرة، كوادي بيش، ووادي تعشر، ووادي عتلب، ووادي جازان،

---

[1] انظر في كل ما سبق، العقيلي، المصدر السابق، ص١٥،١٦.

الذى أقيم عليه سد من أكبر السدود في المملكة، كما أنها تحوى العديد من الينابيع المعدنية، كعين الحارة، والوغرة، والبُزَّة[1] .

**عسير :**

وكان يعرف فيما سبق باسم السراة، ذكر صاحب كتاب المسالك والممالك[2] عسير وعدها من مخاليف مكة، حيث قال تحت عنوان مخاليف مكة: "... نجد، الطائف، قرن المنازل، الفتق، بيشة، السراة، نجران، ومخاليفها بتهامة: ضنكان، عشم، بيش، عك".

لقد كانت المعلومات عن عسير قبل الإسلام بالنسبة إلى غيرها من أصقاع الجزيرة قليلة حتى سطع الإسلام بنوره، فتألقت فترة قليلة، وها هي حين انتقلت الخلافة إلى دمشق، وبدأت عزلة الجزيرة، فكانت عسير النقطة الأكثر تعتيماً في تلك العزلة. حتى إن كتب التاريخ التهامية والجنوبية مثل تاريخ عمارة والخزرجي والديبع التي حفلت بتاريخ الإمارة الزيادية والنجاحية والأيوبية والرسولية، وحروبها مع أئمة اليمن والدولتين الرسولية والطاهرية. لم تورد شيئاً يذكر عنها، إذا استثنينا ما ذكره عمارة

---

(1) العقيلي، المصدر السابق، ص١٩،٢٣.

(2) كتاب المسالك والممالك، ص١٣٢.

عن إرتباط أمير حرش بأمير المنطقة الجنوبية ابن زياد[1] عامل الخليفة المأمون على تهامة.

وكانت السراة وصعوبة مسالكها مما زاد في عزلتها حتى قامت الدعوة السلفية في نجد، فكان دخولها في الطاعة السعودية هو ثاني أعظم وأكبر حدث في تاريخها بعد دخولها في الإسلام.

هناك برزت عسير كمنطقة لها أهميتها تشترك في أحداث الجزيرة سياسياً وعسكرياً وإجتماعياً، فبرز ثاني أشهر أبنائها بعد صرد بن عبد الله الأزدي الذي وفد بإسلام قومه على الرسول ﷺ ألا وهو عبد الوهاب بن عامر الذي كان من أبرز رجال الدولة السعودية الأولى حتى في خارج المحيط العربي.

كما برزت بعد ذلك في حملات محمد علي باشا على الجزيرة العربية حيث تداول ذكرها إلى أن أظلها العهد العثماني أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، الثالث عشر الهجري.

كما طالتها سلطة حمود أبو مسمار أمير تهامة برهة، ثم قام بأمر عسير أمراء من أهلها إلى أن أخضعها الأتراك لسلطانهم على يد مختار باشا ورديف باشا القائدان العثمانيان في صفر سنة ١٢٨٩هـ ـــ ١٨٧٢م، وسواء في العهد السعودي الأول أو في عهد أمراء عسير كانت إمارة

---

[1] عسير في أطوار التاريخ، العقيلي.

عسير في الأغلب الأعم تمتد كما يقال المثل العسيري (من زهران إلى الظهران) وهي الحدود الحالية تقريباً في عهدنا الحاضر.

وأمراء عسير في كل أطوارهم كانوا امتداداً للدولة السعودية الأولى عقيدة ونهجاً.

وعسير هي الامتداد الطبيعي الجنوبي لأرض الحجاز، والمتاخمة لليمن، فهي في النصوص الواردة عنهم أوضح وأثبت.

غير أننا رغبنا البحث عن نصيب اسم عسير في تلك النصوص، ثم لغلبة الاسم على السراة والمنطقة، حتى أصبحت لاتعرف إلا باسم عسير في الوقت الحاضر.

ورد ذكر عسير في أقوال بعض الجغرافيين عَلَماً على قبيلة، وتحديد موطنها، يقول الهمداني: "ثم بواطن حزيمة من شاميها عسير، قبائل من عنز، وعسير يمانية تنزرت، ودخلت في عنز، فأوطان عسير إلى رأس تيه، وهي عقبة من أشراف تهامة، وهي أبها ... الخ[1] ، وهذا النص يفيد أن قبيلة عسير كانت موجودة في السراة، ولها موطن معروف فيها وذلك قبل القرن الرابع الهجري، الذي عاش الهمداني في نصفه الأول، لكن اسمها لم يكن قد غلب بعدُ على السراة كلها، ويبدو أن ذلك قد حدث في العصور اللاحقة لعصر الهمداني، بدليل أنه ذكر جبال السروات، ونسب كل سراة

---

[1] صفة جزيرة العرب، ص٢٥٦، وأبها هي قاعدة بلاد عسير، ومقر إمارة منطقة عسير في الوقت الحاضر.

منها إلى سكانها، فقال: ثم يتلو سراة عنز، سراة الحجر بن الهنو بن الأزد، ثم سراة غامد، ثم سراة دوس، ثم سراة فَهم وعدوان، ثم سراة الطائف[1] وقيل إن عسير قبيلة تنسب إلى عسير بن أراشة من عنز بن وائل[2] .

لم نخلص بعدُ إلى ذكر حركة القبائل، وهجرتها، ومواطن استيطانها، في شبه الجزيرة العربية، وبخاصة هذه المنطقة، كي نذكر عسير وغيرها من القبائل، فالمقام هنا لذكر الموقع الجغرافي، وما قادنا لذلك إلا غلبة اسم عسير على السراة، أو سراة الحجاز، التي وردت في النصوص القديمة، لتحديد الموقع.

**نجران :**

هي الواحة الخضراء في الجنوب الغربي من حدود المملكة العربية السعودية، والتي تمتد جذورها العربية في أعماق التاريخ ومتاهات الزمن، والتي احتفظت بسلالاتها الأصلية من (جرهم الأولى) مع من وفد إليها وتأقلم في بيئتها.

نجران التي نقشت اسمها على صفحات الدهر، وأبقت بصماتها على سجلات الآباد، ودانت للوثنية كغيرها من بلاد العرب، واعتنقت

---

[1] صفة جزيرة العرب، ص٢٥٨، وهو وإن لم يذكرها جميعها، وبالترتيب، لكن مجرد ذكره لها يفيدُ أنه كانت هناك قبائل لها مواطن على السراة تنسب لها، وأن قبيلة عسير إحدى تلك القبائل.

[2] كنز الأنساب ومجمع الآداب، حمد ابراهيم الحقيل، ص٢٥.

اليهودية، أو بالأصح اعتنقها بعضها، ثم اعتنقت المسيحية، ولما جاء الإسلام أسلم معظم أهلها، ثم رحل من بقي على نصرانيته، ولم يبق فيها غير الإسلام والمسلمين.

عرفها اليونانيون كسوق تجاري على طريق القوافل التي تحمل عروض تجارة البخور والتوابل والأفاوية والعقيق والأصباغ من العربية السعيدة، وبعض مناطق الجزيرة، وتعود إليها محملة بمنتجات اليونان، وعروض فارس ومنسوجات وسيوف الشام.

ومن نجران تتوزع طرق شتى في جنوب الجزيرة وشرقها، وقبل ذلك، وفي أثنائه كان للرواد الأوائل من اليونان فضل تعريف قومهم بأقطار من الجزيرة، وبالأخص ما كان على طرق القوافل والشواطئ البحرية، ومن تلك المعلومات تزودت حملة الإسكندر، غير أن الحملة لم يكتب لها النجاح لأسباب أهمها موت الإسكندر.

وبعد امتداد سلطان الرومان على مصر وسوريا، وبلاد الأنباط العربية، تطلعت مطامع (قيصر أغسطس) إلى أرض البخور والتوابل والأصباغ أغلى عروض التجارة العالمية آنذاك. محاولاً أن يحقق مشروعه الرائد ـ الذى لم تحققه حملة الإسكندر ـ فأصدر أمره على والي مصر بتجهيز حملة لغزو الجزيرة العربية، وبين ٢٤ ـ ٩ ق.م توجه القائد (يوليوس) بقود الحملة من مصر إلى ميناء النبطي (لويكا كوما)، ومن هناك صارت

برفقته بعض شيوخ ورؤساء العرب، وواصلت الحملة سيرها المضني والقتال المرير، مع ما قاسوه من نقص في الأقوات وشح في المياه.

وصلت إلى نجران ـ كما يقال ـ وقد قطعت الحملة المسافة من لويكا كوما إلى ذلك الموضع في ستة أشهر، أما في العودة فقطعتها في أقل من ذلك.

وقد دون أحد مرافقي الحملة حركات الحملة وسيرها وعودتها، وإن كانت مدوناته لاتخلو من المبالغة، كما أن أسماء كثير من المدن والمواضع سجلت باللاتينية فصعب ذلك معرفتها، وبناء على تلك المدونات أصبح لدى الرومان معلومات عن هذه البلاد وبالأخص التي على خط سير الحملة، وعن نجران خاصة، وقد استغلت تلك المعلومات بعد ذلك عندما اعتنقت الأمبراطورية الرومانية المسيحية بعد نحو ٢٩٠ عاماً، وهي مدة في عمر الدول والشعوب الحية ليست طويلة.

وفي سنة ٣١٣م إهتم القيصر قسطنتين بنشر المسيحية والتبشير بها في أرجاء إمبراطوريته، والبلاد المجاورة، وآخيراً تمكن المبشرون من تأسيس كنائس في شبه الجزيرة العربية وغيرها، منها ما هو بعدن وسقطرة ونجران والحيرة.

هذا ما ورد في المصادر الغربية. أما المصادر العربية فتكتفي بتلخيص ما جاء في تاريخ الطبري عن بعض أهالي نجران أنهم كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان، وكان لهم ساحر يعلم غلمانهم، فبعث شخص منهم

يسمى (الشامر) ابنه (عبد الله) مع غلمان أهل نجران إليه، وكان قد وصل إليها شخص يسمى (فيمون) نصب خيمته على ذلك الطريق المؤدي إلى الساحل، فكان ابن الشامر إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من عبادته فجعل يجلس إليه حتى دخل في دينه، وصار داعياً للنصرانية في قومه.

ومع انتشار الاسلام معروف قصة وفد نجران، فقد جاء في كتاب (المحبر) ص٣٢ أن العاقب والسيد والأسقف الذين وفدوا على النبي ﷺ كانوا من بني الأفعى سكان نجران الأصليين من جرهم الأولى.

وجاء في تاريخ الطبري أنه وصل خبر وفاة رسول الله ﷺ إلى نجران، وإن بها أربعين ألفاً من بني الأفعى[1] ، ويحدثنا التاريخ أن من سكان نجران من هم من بني الحارث من مذحج وقوم من الأزد، ويقول المسعودي[2] إن أزد نجران تلاشوا في (مذحج).

وعلى كل فغالب الظن ـ إن لم يكن الأقرب لليقين ـ فإن قبائل نجران بسبب موقع نجران الجغرافي والعزلة التي فرضتها حروبها مع جيرانها، كل ذلك يرجح أنه لم تختلط بهم أي قبيلة منذ إسلامهم إلى الآن. باستثناء آل المكرمي الذين انتقلوا إلى نجران بزعامتهم قبل (٢٨٠) سنة ـ تقريباً ـ من تاريخنا الحاضر.

---

[1] لنا تعليق على هذا العدد الذي أورده الطبري، سيأتي في موضعه من هذا البحث.

[2] انظر مروج الذهب، ج٢، ص٢٩٠.

المهم أن نجران في العصر الجاهلي كانت قائمة بذاتها، وكما يقول القلقشندي: إنها صقع منفصل[1] ونقل عمارة بن الحسن، الملقب باليمني عن صاحب الكمائم أنها صقع منفرد[2] .

وأيا كان فان الأقاليم الثلاثة موضوع الدراسة تقع في حيز وسط شبه الجزيرة العربية، وارتباطها بها أكثر من أية جهة أخرى، ومن كافة النواحي، وسنزيد هذا الأمر وضوحاً ودلالة، فيما بعد.

ومن المناسب الإشارة إلى لفتة بديعة لبعض العلماء[3] حين تناولوا بالبيان والتفسير دعوة الخليل ابراهيم عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾[4] فلقد دعا الخليل ابراهيم ربه أن يرزق ذريته من الثمرات، بل ويرزق أيضاً الوافدين إلى البيت للحج والعمرة، بينما الوادي الذي به مكة والبيت العتيق، غير ذي زرع، والخليل يعلم ذلك، ويعلم أنه غير صالح للزرع الذي يكفيهم هم والوافدون إلى البيت، فطلب من الله سبحانه أن يرزقهم من الثمرات، فإن كان قصده أن تحمل لهم من الآفاق، فإن الثمرات تشمل كل ما ينتجه النبات من حبوب، وفاكهة، وخضروات،

---

[1] صبح الأعشى، ج٥، ص٤١.

[2] تاريخ اليمن لعمارة، ص١٥١.

[3] الأزرقي، ج١، ص٣٧.

[4] سورة ابراهيم آية ٣٧.

ووسائل المواصلات في ذلك الوقت هي الإبل غالباً، ولئن أسعفت في نقل الحبوب الجافة فإنه يصعب نقل الفاكهة والخضروات وما شابهها. من أماكن نائية لتلفها إن نقلت على ظهور الإبل، لذا هيأ الله البقاع المجاورة لمكة المكرمة. كالطائف وتهامة وعسير لتكون امتداداً ومستودعاً لتلك الثمرات بمختلف أنواعها، لإطعام أهل الله، والوافدين إلى بيت الله، ومن هنا كان الارتباط قديماً، وامتداد الأرض شيء طبيعي بإرادة وتوجيه إلهي .. فقد توثقت الصلات بين فئة من الناس تجيد التجارة، وأخرى تجيد الزراعة، واستمر هذا التكامل والتلاحم لتلك المنطقة على امتداد السنين والأزمان.

وعموماً هذه بعض نصوص السابقين من علمائنا، في بيان الحدود الطبيعية للمنطقة موضع الدراسة، وربما تؤيدها إلى حد ما الأوضاع القبلية التي كانت سائدة إذ ذاك في شبه الجزيرة بصفة عامة، وفي وسطها على وجه الخصوص، وهذا لايعرف أثره إلا بالتنقيب في صفحات التاريخ، بمختلف أطواره وأدواره.

لكن مهما قيل في هذا التحديد الجغرافي الطبيعي، فإن وحدة عرب الجزيرة العربية اللغوية، والعرقية، والدينية ـ وبخاصة في ظل الإسلام ـ ثم العادات والتقاليد، جعلت بلاد العرب مشاعاً لهم ، يتحركون فيها حيثما شاءوا، منذ العصور السحيقة، ويتنازعون الهيمنة على بقاعها، إلى أن جاء الإسلام، فأزال التنازع ومنحهم الاستقرار.

ثم إننا لسنا في حل من عرض تلك النصوص، ولو من الوجهة العلمية البحتة بالرغم من ان هناك اصطلاحاً وعرفاً سائداً بين القبائل من

قديم، على معايير الاستقرار والترحال، والجوار، والولاء والانتماء وغيره. ثم موالاتها بعضها لبعض لدرجة الاندماج تحت اسم واحد، وأخيراً ولاؤها في العصر الحديث لحكومات مدنية ترعى شئونها ضمن المجتمع الذي ترعاه الدولة.

وعلى ضوء هذه الاعتبارات وغيرها تم تحديد حدود دولية بموجب معاهدة الطائف الموقعة عام ١٣٥٣هـ، لتحديد الحدود الجنوبية للمنطقة موضوع الدراسة، أما الحدود الثلاث الأخرى فتنظمها ترتيبات إدارية داخلية، لإمارة المنطقة، سنذكرها في موضعها.

## ٣- أشهر القبائل العربية في الإقليم في العصر الجاهلي حتى ظهور الإسلام :

**طبقات العرب :**

يكاد النسابون والإخباريون والمؤرخون يتفقون على أن العرب ينقسمون إلى ثلاث طبقات:

أ-العرب البائدة    ب-العرب العاربة    ج-العرب المستعربة

فالعرب البائدة: هي الشعوب العربية القديمة التي كانت تقطن جزيرة العرب ثم بادت، كطسم، وجديس، وعاد، وثمود، وإرم، وأميم، وقطورا، وجُرهم الأولى[1] .

والعرب العاربة: هم الذين يعودون في نسبهم إلى قحطان، واستوطنوا اليمن، وأقاموا بها ممالك، كانت لها حضارات سامقة، ومن أبناء قحطان تفرعت القبائل القحطانية، ويطلق كثير من المؤرخين عليهم:

---

[1] أبو الفدا، عماد الدين اسماعيل، المختصر في أخبار البشر ١/١٢٤.

ونشرة مجلة العربي العدد ٢٥٧، أغسطس سنة ١٩٩٢، ص١٠، مقالا عن اكتشافات أثرية لمدينة وبار عاصمة إرم، بالطرف الجنوبي الشرقي للربع الخالي.

اليمانيـة. نسـبة إلى موطنهـم الأصلـي، حتـى لـو اسـتوطنوا أقـاصي الأرض، كـالأندلس وشمـال افريقيـا.

وأمـا العـرب المستعربة فهـم الذيـن يعـودون في نسـبهم إلى عدنـان مـن ولـد اسمـاعيل بـن ابراهيم عليهمـا السـلام، ويطلـق عليهـم العدنـانيون، نسـبة إلى عدنـان هـذا، وقـد أنجـب: معـدّ، وعـك، وأنجـب مَعَدّ: نِزَار، وإيـاد، وقنـص، والضحـاك. وقيـل: عبيـد الله، ثـم ولـد نـزار بـن معـد: مضـر، وربيعـة، وإيـاد، وقيـل: وأنمـار[1] ومنهـم تفرعـت القبـائل العدنانيـة.

وقيل غير ذلـك في تسـمية كـل مـن العـرب العاربـة والمستعربة.

وروي عـن عبـد الله بـن عبـاس رضـي الله عنهمـا[2] أنـه سـأله رجـل عـن ولـد نِزَار بـن مَعَدّ، فقـال: هـم أربعـة، مضـر، وربيعـة، وإيـاد، وأنمـار، وكـان ــ أي نـزار ــ يُكنّى بابنـه ربيعـة، ومنـازلهم مكـة، وأرض العـرب يومئـذ خاويـة ليـس بنجدهـا، وتهامتهـا، وحجازهـا، وعروضهـا كبـير أحـد، لإخـراب بُخْتَنَصَّر[3] إيّاهـا وإجـلاء أهلهـا، إلا مـن اعتصـم بـرؤوس الجبـال، ولاذ

---

(1) ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: د.عبد السلام هارون، ص٨،٩.

(2) البكري، معجم ما استعجم ١/٥ عن طريق ابن السائب الكلبي، وعن طريق ابن شبّه، كما ذكره الهمداني، صفة جزيرة العرب ص٥٦، عن طريق ابن السائب مختصراً.

(3) كان بختنصر أحد الملوك الكلدانيين بشمال العراق، بدأ حكمه عام ٦٠٤ قبل الميلاد، وكان جباراً عاتياً، قام بحملات على الجزيرة العربية، والشام، ومصر وغيرها وسبى اليهود، وأحرق بيت المقدس، وكان خلال الفترة من ٦٤٠-٥٦٢ قبل الميلاد. انظر: أحسن التقاسيم للمقدسي.

بالمواضع الممتنعة، متنكباً مسالك جنوده، ومستن خيوله[1] فاراً إليها منهم، وبلاد العرب يومئذ على خمسة أقسام: (الحجاز، وتهامة، واليمن، ونجد، والعروض)[2] فاقتسم ولد مَعَدّ بن عدنان هذه الأرض على سبعة أقسام[3] فصار لعمرو بن معدّ، وهو قضاعة[4] لمساكنهم، ومراعي أنعامهم: جُدَّة، من شاطئ البحر وما دونها، إلى منتهى ذات عرق، إلى حيِّز الحرم، من السهل والجبل، وبها موضع لكلب، يُدعى: الجديرة، جديرة كلب، وهو معروف هنالك، وبجُدة وُلِد جُدَّة بن جرم بن ربّان بن حُلوان بن عِمْران بن إلحاف بن قُضَاعة، وبها سُمّي.

وصار لجُنادة بن معدّ: الغَمْرُ، غمر ذي كِندة، وما صاقبها، وبها كانت كندة دهرها الأطول، ومن هنا احتج القائلون في كندة بما قالوا[5] لمنازلهم من غمر ذي كندة، فنزل أولاد جنادة هنالك، لمساكنهم ومراعي مواشيهم، من السهل والجبل[6] وصار لمضر بن نزار: حيِّز الحرم إلى السروات، وما دونها من الغور، وما والاها، وصار لربيعة بن نزار: مهبط

---

[1] المتنكب: المجانب الطريق، واستنان الخيل: رياضتها، والمستن موضع الاستنان.

[2] قطع البكري حديث ابن عباس عند ذكره خمسة أقسام، وحمل يأتي بروايات متعددة لتحديد وبيان كل قسم منها، ثم عاد لحديث ابن عباس رضي الله عنه مرة أخرى في ص١٧ من نفس الجزء، لذا تصرفنا بوضع الخمسة أقسام هكذا بين قوسين، لمواصلة ما يقوله ابن عباس رضي الله عنه. وهو هنا جعل قضاعة من أبناء معد بن عدنان.

[3] يقول محقق كتاب معجم ما استعجم هنا: إنه لم يذكر من السبعة أقسام إلا ستة.

[4] اختلف في نسب قضاعة، هل من عدنان، أم من قحطان، أم من غيرهم، انظر الجمهرة ص٨.

[5] أي من نسبتهم إلى عدنان، كما صرح به ياقوت الحموي في معجم البلدان، نقلاً عن ابن الكلبي.

[6] اختصرنا الحديث هنا.

الجبل من غمر ذى كندة، وبطن ذات عرق، وما صاقبها من بلاد نجد، إلى الغور من تهامة، فنزلوا ما أصابهم، لمساكنهم ومراعى أنعامهم، من السهل والجبل.

وصار لإياد وأنمار ابنى نِزار: مابين حَدِّ نجران[1] ، وما والاها وما صاقبها من البلاد. فنزلوا ما أصابهم، لمساكنهم ومسارح أنعامهم.

وصار لقنص بن معدّ، وسنام بن معدّ، وسائر ولد معدّ: أرض مكة، أوديتها وشعابها، وجبالها، وما صاقبها من البلاد، فأقاموا بها مع من كان بالحرم حول البيت من بقايا جُرهم.

فلم تزل أولاد معدّ في منازلهم هذه، كأنهم قبيلة واحدة، في اجتماع كلمتهم، وائتلاف أهوائهم، تضمهم المجامع، وتجمعهم المواسم، وهم يدٌ على من سواهم، حتى وقعت الحرب بينهم، فتفرقت جماعتهم، وتباينت مساكنهم.

قال مهلهل بن ربيعة يذكر اجتماع ولد معدّ في دارهم بتهامة[2] وما وقع بينهم من الحرب:

---

[1] انظر عبارة "ما بين حد نجران" فما بين الحدود من نجران هو وسطها، ولذا قال بعد ذلك، وما والاها وما صاقبها، أى مايلى حدودها، وما يجاورها ويقابلها من البلاد ومعروف تاريخياً أن بنى إياد قد استوطنوا نجران، كما سيأتى ذكره بعد.

[2] الطبرى ٢/٢٨٦، والجمهرة لابن حزم ص٣٠٥، ٤١٢. ويتهم الهمدانى البعض بتلفيق هذا الشعر وهو تحت منه، وتهمة بغير دليل. صفة جزيرة العرب ص٣٢٢.

غَنِيَتْ دَارُنَـا تِهَـامةُ في الدهـــ ـــر وفيـها بَنُو مَعَـدّ حُلُـولاً

فتسـاقَوْا كأسـاً أُمِرَّت عليهـم بينهـم يقتُلُ العزيـزُ الذَّليـلا

فأول حرب وقعت بينهم كانت بين أبناء قضاعة، وأبناء عَنَزة بن أسد بن ربيعة بن نزار[1] فاجتمعت نزار، وأعانتهم كندة، واجتمعت قضاعة، وأعانتهم عكٌ والأشعرون واقتتل الفريقان، فقُهِرت قضاعة، وأُجلوا عن منازلهم، وظعنوا مُنجدين، فقال عامر بن الظَّرِب بن عياذ بن بكر، العدواني من قيس عيلان بن مضر:

قضـاعة أجْلَيْنـا من الغـور كُلّه إلى فَلَجَات الشام تُزجى المواشيا

لَعَمرى لئن صارت شطيراً ديارها لقد تأصِرُ الأرحامُ من كان نائياً

وما عن تَقَـالٍ كان إخراجُنا لهم ولكن عقوقـاً منهمُ كـان باديـاً

فسارت تيم اللات بن أسد بن وبرة، بطن من قضاعة، ومعهم فرقة من بني رُفَيْدة من قضاعة وفرقة من الأشعريين نحو البحرين، حتى وردوا هجر فأقاموا فيها. ولحقت طائفة من بني حلوان من قضاعة إلى أرض الجزيرة بين دجلة والفرات. وسارت طائفة من سليح بن عمرو القضاعي إلى

---

[1] هنا نتصرف بغرض عدم الإطالة، وقد أنكر الهمداني أن تكون ربيعة قد استوطنت بلاد عك (بتهامة اليمن حالياً) وقال إن حمى كليب كان ضرية، وهى ببلاد نجد. انظر: صفة جزيرة العرب ص ٢٢٣، ويقال إنه وقومه انتقلوا من بلاد عك بتهامة إلى ضرية نتيجة للحروب المتواصلة بين بكر وتغلب.

فلسطين، ثم عادت بعض البطون إلى تهامة ونجد والحجاز. من بلّيّ، وجهينة، ونهد وسعد هذيم[1] .

وسارت طائفة من جرم ونهد القضاعية نحو نجران وتثليث وما والاها مما يلي السراة، وغلبوا على تلك البلاد شرقاً حتى جاوروا مذْحِج في منازلهم، وناكرتهم طوائف من مذحج، وطمعوا هم في مذحج، حتى قال عبدالله بن دعشم النهدي في ذلك:

| | |
|---|---|
| لأخرِجَنّ صُرَيْماً [2] من مساكنها | والمُرّتين وهمّام بن سيّار |
| لم أدْرِ ماجَنٌ وأرض ذي يمن | حتى نزلتُ أديماً أفسح الدار |

وقال عمرو بن معد يكرب الزُّبَيدي:

| | |
|---|---|
| لقد كان الحواضُر ماء قومي | فأصبحت الحواضرُ ماء نَهْدِ |

وقال هبيرة بن عمرو النهدي، وهو يذكر قبائل مَذْحِج، وخثعم، وتَنَمرُّهم لبني نهد، وتوعدهم إياهم:

| | |
|---|---|
| وكندةُ تهذِي بالوعيد ومَذْحِج | وشهران من أهل الحجاز وواهبُ |

---

[1] معجم ما استعجم ١/١٧-٣٩.

[2] صُرَيم: رجل من بني زُوَيّ بن مالك بن نهد، وهمام منهم، والمُرّتان: مثنى مرة، أي مرة بن مالك بن نهد وأخ له غلب اسمه عليه.

انظر معجم ما استعجم ١/٤٠.

وكانت خثعم قد نزلت السراة قبل نهد..ثم حالفت نهد وجرم بني الحارث بن كعب[1] ولم تزل جرم ونهد بتلك البلاد على ذلك الحلف، حتى أظهر الله الإسلام[2].

وأقام أولاد معد في أرض تهامة، في بلاد قضاعة وديارها، بعد أن أزاحوهم عنها، ثم تيامنت عَكّ بن الديث بن عدنان بن أدد، ومن كان معهم ولحقوا بغور تهامة، وجاوروا الأشعريين بزبيد، وقيل إن عك هذ من الأزد من قحطان[3].

كما أقامت بطون من عنزة بن وائل بتهامة جنوباً، فيما حول مدينة الجَنَد، وكانوا ذا عدد عظيم بتلك المنطقة عند ظهور الإسلام[4].

وقاد الأفكل، عمرو بن الجُعَيد بني عبد القيس من تهامة إلى البحرين فاتخذوها موطناً لهم بدلاً من تهامة حتى جاء الإسلام وهم كذلك[5].

---

[1] معجم ما استعجم١/٤٠-٤٢.

[2] نفس المصدر والجزء ص٤٣.

[3] ابن خلدون٢/٢٩٩. ومما يؤيد الرأي الأول من أنهم من عدنان هي التقسيمات والترتيبات الإدارية التي حدثت في صدر الإسلام مما سيأتي على ذكره في حينه.

[4] الجمهرة، ص ٣٠٣.

[5] الجمهرة، ص ٢٩٩.

وإبان إنهيار سد مأرب خرجت من اليمن بجيلة وخثعم[1] ونزلوا جبال السروات، فصارت السراة لبجيلة إلى أعالي تربة (أتربة)[2] وهو واد يأخذ من السراة ويُفرغ في نجران، فكانت دارهم جامعة -أي لبجيلة وخثعم -وأيديهم واحدة، ثم تفرقت بجيلة بسبب حروب وقعت بينها، وتفرقت فروعها في القبائل، فلم يزالوا كذلك حتى أظهر الله الإسلام فسأل جرير بن عبد الله البجلي، صاحب رسول الله ﷺ بجمعهم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب لما أراد أن يبعثه لحرب الأعاجم[3]. وسوف نعود لذلك في موضعه.

ونزلت النخع -وهم من أبناء إياد بن نزار- ناحية بيشة، وما والاها من البلاد، وأقاموا بها، فصاروا مع مَذْحج في ديارهم بعد أن فارقت موطنها في تهامة، كذلك رحلت بقية إياد عن تهامة، ونزح كثير منهم إلى أرض العراق، وكان لها أرض في تهامة يقال لها: حانق، نزلتها كنانة بن خزيمة بن مدركة بعد رحيلهم عنها[4] وكانت طائفة من أبناء إياد قد نزلوا نجران، وكان منهم خطيب العرب وحكيمها وحليمها في عصره، قُسّ بن

---

[1] المشهور أن بجيلة وخثعم يرجعان إلى زيد كهلان بن سبأ، إلا أن ابن حزم يقول في الجمهرة ص٣٨٧، والبكري في معجم ما استعجم ٥٨/١، وابن خلدون في تاريخه ٣١٠/٢ : إنهما من أبناء أنمار بن نزار بن معد بن عدنان، وانتسبا في اليمن، استناداً إلى قول ابن عباس في شأنهما، وكذلك الأشعرون عدنانيون، استناداً إلى قول الرسول ﷺ لهم: (أنتم مهاجرة اليمن من ولد اسماعيل) معجم ما استعجم ٥٤/١.

[2] هكذا في معجم ما استعجم ٥٩/١.

[3] البكري، المصدر السابق ٦٣/١، والجمهرة ص٣٨٧.

[4] البكري، المصدر السابق٦٧/١.

ساعدة الإيادي، أسقف نجران في زمنه، كان يفد على قيصر الروم زائراً، فيكرمه ويعظمه، وهو من المعمرين، رآه الرسول ﷺ في سوق عكاظ قبل البعثة، وحين قدم إليه وفد إياد بعد البعثة، سأل الوفد عنه، قائلاً: ما فعل قُسّ بن ساعدة؟ قالوا : هلك يا رسول الله، فقال : كأني أنظر إليه بسوق عكاظ يخطب الناس، على جمل أورق (أي أحمر)، ويقول : أيها الناس؛ اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ماهو آت آت، ليلٌ داجٌ، ونهارٌ ساجٌ، وسماءٌ ذاتُ أبراجٍ ونجوم تُزْهِر، وبحارٌ تَزْخر، وجبالٌ مَرْساة، وأرض مَدْحاة، وأنهار مجراة، إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا، ما بالُ الناس يذهبون ولا يرجعون؟ أرضوا بالمُقام فأقاموا؟، أم تُرِكُوا فناموا؟ يُقْسِمِ قُسّ بالله قسماً لا إثم فيه: إن لله ديناً هو أرضى له، وأفضل من دينكم الذى أنتم عليه ... الخ ثم قال النبي ﷺ : يُعْرَض هذا الكلام يوم القيامة على قُس بن ساعدة، فإن كان قاله لله، فهو من أهل الجنة، وقال عنه: يُبْعَث يوم القيامة أمةً واحدة[1] . ولو لم يكن لقس بن ساعدة من فضل إلا رواية الرسول ﷺ ، وما سمعه منه في سوق عكاظ، لكفاه شرفاً.

وعلى كل فإنه لم يبق بتهامة وغورها بعد رحيل إياد عنها إلا بطون من ربيعة ومضر، وإلا قُسَيّ بن منبه جد ثقيف بالطائف، وهو من هوازن من مضر .. ثم لما تكاثروا، وتضايقوا في منازلهم، انتشرت ربيعة فيما

---

[1] انظر أبا هلال العسكري، الأوائل ١/١٠٧، ١٠٨. والأصفهاني، أبي الفرج، الأغاني ١٥/٢٤٦، وابن عبد ربه، العقد الفريد ٤/١٢٨. والقزويني آثار البلاد ص٨٥.

يليهم من بلاد نجد، وتهامة. فكانت منها بطون بقرن المنازل، وحضن، وعكاية، وركبة، وحنين، وأوطاس، وذات عرق، والعقيق، وما والاها من نجد، ومعهم كندة. يغزون معهم المغازى، ويصيبون الغنائم، ويتناولون أطراف الشام، وناحية اليمن[1] ثم وقعت حرب بين بني ربيعة فتفرقت وسط الجزيرة، فذهبت عبد القيس إلى البحرين، وغيرها. وانتقلت أكلب بن ربيعة بن نزار ناحية تثليث، وما والاها، وجاورت خثعم وحالفوهم، وقال رجل من خثعم ثم من شهران، ينفى أن تكون أكلب منهم[2] :

| | |
|---|---|
| ما أكْلُبٌ منا ولا نحن منهم | وما خثعم يوم الفخار وأكلب |
| قبيلة سَوءٍ من ربيعة أصلها | وليس لها عمٌّ لدينا ولا أب |

فأجابه الأكلبى:

| | |
|---|---|
| إنى من القوم الذين نسبْتَنى | اليهم كريم الجد والعم والأب |
| فلو كنتَ ذا علم بهم ماتفيتنى | اليهم ترى أنّى بذلك أُثْلَبُ |
| فإلا يكن عماى حَلْفاً وناهسا | فإنى أمرؤ عماى بكر وتغلبُ |
| أبونا الذى لم تُركَب الخيل قبله | ولم يدر أمرؤ قبله كيف يُركب |

---

[1] البكرى معجم ما استعجم ١/٧٩،٨٠.

[2] البكرى، المصدر السابق ١/٨٢،٨٣.

ثم تيامنت أيضا عنز، وصارت حلفاء لخثعم في أرض السراة[1] ثم رحلت أيضاً بنو حنيفة إلى اليمامة، وانتقلت بقية ربيعة إلى ظواهر نجد، والحجاز، وأطراف تهامة[2] . وإلى أرض العراق.

وأقامت قبائل مدركة بن إلياس بن مضر، بتهامة وما والاها من البلاد وصاقبها، فصارت مدركة بناحية عَرفات، وعُرنة، وبطن نعمان، ورُجَيل، وكبكب والبوباة، وجيرانهم فيها طوائف من أعجاز هوازن[3] .

وكانت لهذيل جبال من جبال السراة، ولهم صدور أوديتها، وشعابها الغربية، ومسايل تلك الشعاب والأودية على قبائل خزيمة بن مدركة في منازلها، وكان جيران هذيل في جبالهم فَهْم وعَدْوان إبنا عمرو ابن قيس عيلان بن مضر.

ونزلت خُزَيْمة بن مدركة أسفل من هُذيل بن مدركة، واستطالوا في تلك التهائم إلى أسياف البحر، فسالت عليهم الأودية التى هذيل في صدورها وأعاليها، وشعاب جبال السراة التى هذيل سُكّانُها، فصاروا فيما بين البحر وجبال السراة الغربية[4] .

---

(1) انظر فيما سبق، البكرى، المصدر السابق ١/٨٣، والهمدانى، ص٢٥٦.

(2) البكرى، المصدر السابق ١/٨٣ .

(3) البكرى، المصدر السابق ١/٨٨ .

(4) البكرى، المصدر السابق ١/٨٨ .

وأقام أولاد فهر ـ وهم قريش، ولايكون قُرَيْشيّ إلا منهم ـ[1] حول مكة، حتى أنزلهم قُصَيّ بن كلاب الحرم، وقُصي هو الذى انتزع ولاية البيت الحرام من خزاعة، وصارت له حجابة الكعبة، والرفادة، والسقاية، وبنى دار الندوة[2] .

ومن أولاد لؤي بن غالب بن فهر. بنو سامة بن لؤي هاجروا إلى عُمان، وأبناء حشم بن لؤي، هاجروا إلى اليمامة، ودخلوا في بني هزان من عنزة[3] .

ثم يقول البكرى، بعد ايراد ما تقدم[4] : فهذا ما كان من حديث افتراق معدّ، ومنازلهم التى نزلوها، ومحالّهم التى حَلُّوها في الجاهلية، حتى ظهر الإسلام[5] .

ومما يلاحظ أن جلّ اهتمام البكرى تركز على ذكر مواطن أبناء معدّ بن عدنان، في تهامة، والسراة وغيرهما، ولم يذكر أبناء قحطان الذين

---

(1) الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك (المعروف بتاريخ الطبرى) ٢٦٤/٢، وفيه أقوال أخرى، وتاريخ ابن خلدون ٣٣٥/٢، وأيضاً ابن حزم، الجمهرة ص١٢، وهو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

(2) الأزرقى، أبى الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ص١٠٣-١٠٩، وابن خلدون ٣٣٥/٢ .

(3) الجمهرة، ص١٣، والمقدمة لابن خلدون، ص٣٤٠ .

(4) أوردنا بعضه على سبيل الايجاز والتصرف، فيما عدا المنطقة موضوع الدراسة.

(5) معجم ما استعجم ٨٩/١ .

كان نزح منهم عديد من القبائل إلى الشمال في فترات متفاوتة، قبل وخلال انهيار سد مأرب[1] وأيضاً أثناء هيمنة الأحباش والفرس، وأنفة بعض القبائل من الخضوع لهم، مما دفعهم إلى الهجرة من موطنهم الأصلي، فانتقلت طوائف إلى وسط شبه الجزيرة، وإلى الشمال في أرض العراق، والشام، وفلسطين حتى مصر.

وكان من أشهر تلك الهجرات خروج أبناء عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء، هو ومالك بن اليمان من مأرب، قبيل انهيار سد مأرب، وتفرق الأزد في كثير من البقاع وغالبوا أهلها واستوطنوها، وكان منهم من نزل السراة.

والواقع أن البكري لم يهملهم تماماً، وإنما ذكرهم فيمن جاورهم، أو من جاوروه من أبناء عدنان. ربما لأن منهجه هو تتبع أبناء عدنان، وتفرعاتهم، ومواطن حلهم وترحالهم ولم يكن ذكره لغيرهم إلا عرضاً.

---

[1] انظر القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد ص٤١، ويقول القزويني أن واقعة انهيار السد كانت بين مبعث عيسى ومحمد عليهما السلام، وقد ورد في كتاب "اليمن الخضراء" ص٣٠١، أن السد تهدم فيما بين سنة ٥٥٢ وسنة ٥٧٠ بناء على اكتشافات تم العثور عليها، وأنه تهدم خلال حكم الأحباش لليمن .. لكن الشواهد التاريخية لاتؤيد ذلك، لأن هجرة أبناء عمرو مزيقياء، وتوطنهم في الأماكن التي هاجروا فيها، كقبائل الأوس والخزرج، وطيّ، وغسان في الشام وغيرهم يدل على توطنهم تلك الأماكن قبل البعثة بعدة قرون، وليس بأقل من قرن كما يقولون.

لكنه تميز بأن أعطانا صورة دقيقة عن مواطن تلك القبائل، فيما قبل الإسلام، بينما غيره يصف البقاع، والقبائل التي تستوطنها في صدر الإسلام، وربما في العصر الذي يكتب فيه ما يكتب ..

والمقام هنا ــ حسب خطة البحث ــ هو تلمس موطن القبائل في المنطقة موضوع الدراسة في العصر الجاهلي حتى ظهور الإسلام، ومعروف أن هجرات القبائل من مكان إلى آخر كانت متتابعة، وتخضع لاعتبارات متعددة، وقد وافانا البكري بقسط وافر من حركة القبائل وأماكن توطنها في المنطقة قبل الإسلام، وهذا هو الذي دفعنا إلى الاطالة معه، ونقل ما قاله في صورة موجزة، وإن كانت في نظر البعض إطالة، فنلتمس العذر، لأن الهدف هو بيان الحقيقة من أن المنطقة كانت موطنا للعدنانين، ومن ثم الرد على من يزعم أن المنطقة كانت موطناً من قديم الأزمان للعرب القحطانيين.

أما الهمداني ــ مثلاً ــ في كتابه صفة جزيرة العرب فقد أفاض وأجاد في وصفه الأماكن والبقاع وأتى على العديد من أسماء القبائل، وسكان المناطق إلا أنه خلط العصر الجاهلي بالعصر الإسلامي في مواطن القبائل[1]، ومعروف تاريخياً انه حدثت بعض التخلخلات في مواطن القبائل إبان الفتوحات الإسلامية، ونزح البعض منهم إلى البلدان المفتوحة،

---

[1] فمثلاً يقول في ص٢٦٠: وساكنو الطائف ثقيف، ويسكن شرقي الطائف قوم من ولد عمرو بن العاص .. ولا شك أن سكنى ذرية عمرو بن العاص في هذا الموضع جاء متأخراً، أي في صدر الإسلام، وليس قبل الإسلام.

واستوطنوها، وحلّ غيرهم في المواطن التي نزحوا عنها .. بل إن موضوع هجرة القبائل من مكان إلى آخر استمر حتى العصر الحديث، حين قامت الدول ورُسمت الحدود بينها.

وعموماً فإنه من بين الهجرات المشهورة في تاريخ القبائل العربية هي هجرة الأزد مع عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة بن امرئ القيس من زيد كهلان بن سبأ[1] وذلك بسبب انهيار سَدّ مأرب.

يقول الهمداني[2] ولما خرج عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء، هو ومالك بن اليمان من مأرب في جماعة الأزد[3] فخرجوا إلى مخلاف خولان وأرض عنس وحقل صنعاء، ثم إنهم انتقلوا إلى بلاد الأشعريين وعَكّ، على ماء يقال له: غسان، بين واديي زبيد ورمَع، وأقاموا على ذلك حتى وقع الخلاف بينهم وبين عَكّ، فساروا نحو الحجاز فِرقاً، كل فخذ منهم إلى بلد، فمنهم من نزل السروات، ومنهم من تخلف بمكة وما حولها، ومنهم من خرج إلى العراق والشام، وعُمان، واليمامة، والبحرين. فأما من سكن مكة ونواحيها: فخزاعة، وأما من سكن المدينة: فالأوس والخزرج، وأما من سكن السروات: فالحجر بن الهِنو، ولهب، وغامد، ومن دوس، وشكر، وبارق السوداء، وعليّ بن عثمان، والنّمر، وحوالة، وثمالة،

---

[1] جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص٣٣١، والبدء والتاريخ لمطهر بن طاهر المقدسي ٣/١٩٥.

[2] صفة جزيرة العرب ص٣٧٠-٣٧٤، بتصرف، وانظر أيضاً: صبح الأعشى للقلقشندي ١/٣٢٧-٣٢٩.

[3] بنو الأزد بن الغوث بن نبت هم: مازن، ونصر، وعمرو، وعبد الله والهنو، وقيدار، والأهيوب.
انظر الجمهرة ص٣٣٠.

والبقوم، وشمران، وعمرو. كما ذكر أيضاً [1] من قبائل السراة: فَهم، وبجيلة [2] والأزد بن سلامان بن مفرج، وألمع، وبارق، وغامد، ورفيدة، وبنو ربيعة بن الحجر، وبنو مالك بن شهر، وآل عبيدة من الأزد، ومن قبائل مَذْحج: حلَة، ومُراد (يحابر) وعنس، وسعد العشيرة، ولميس، وشمران، والنخع، وزبيد، وبنو منبه. وبنو هلال بن عامر، والرها، وحكم، وجعفي، وصداء، والجحادرة، وأود، وغيرهم كثيرون من البطون والأفخاذ التي تفرعت من القبائل.

وكان ممن ذهب إلى نجران: وادعة، وبنو الحارث بن كعب من مَذْحج، كما انتقلت بعض بطون كندة إلى تهامة، وانتقلت إلى السراة أيضاً بطون من ولد عمرو بن الغوث، كخثعم. وغيره، وسوف نعود إليهم في موضع آخر من هذا البحث.

وإن من يمعن النظر في النص الذي أورده الهمداني لتفرق قبائل الأزد من موطنهم الأصلي باليمن، وهو مأرب، يلحظ أنه اعترف صراحة، وربما

---

[1] صفة جزيرة العرب، ص٢٦٠، والمقتطف من تاريخ اليمن، للجرافي، عبد الله بن عبد الكريم ص٧٣-٧٤.

[2] قيل إن خثعم وبجيلة هما إبنا أنمار بن نزار، فجرّ أنمار بن سبأ نسبهم إليه، قال جرير بن عبد الله البجلي منافرا للفرافصة الكلبي إلى الأقرع بن حابس:

يا أقرع بن حابس يا أقرع ... إنك إن يصرع أخوك تصرع

وقال أيضاً:

ابني نزار أبصرا أخاكما ... إن أبي وجدته أباكما

لن يغلب اليوم أخ ولاّ كما ..

انظر: كتاب البدء والتاريخ لمطهر بن طاهر المقدسي ١١٧/٤، ١١٨ .

دون أن يدرى بأنهم انتقلوا في هجرتهم إلى مواطن أخرى، وهذه المواطن ليست من أرض اليمن وإنما من أرض الحجاز فهو يصف خروجهم من مأرب، ومرورهم ببعض البلاد والمناطق بأرض اليمن حتى أنتهوا إلى أرض علكّ وأقاموا بها مجاورين لهم بتهامة اليمن إلى أن وقع الخلاف بينهم وبين علكّ فاتجهوا إلى أرض الحجاز. وهي المجاورة لأرض علك ـ على رأيه ـ ثم يتابع وصفه لرحيلهم قائلاً: " فساروا إلى الحجاز فرقَاً، فصار كل فخذ منهم إلى بلد ـ أي من بلدان الحجاز أو غيرها، وليس من أرض اليمن ـ فمنهم من نزل السروات ـ فهذا اعتراف بأن السراة التي استوطنوها هي من بلاد الحجاز، وهو ما يوافق التقسيم الإقليمي لشبه الجزيرة، ويطابق الواقع التاريخي في كل أدواره، وأطواره[1] .

وينبغي الإشارة هنا إلى أن معظم الهجرات كانت إلى جهة الشمال، والشمال الشرقي من جزيرة العرب، وقلّما كانت إلى الجنوب حيث لاسعة، بالإضافة إلى التنازع والتشاحن، وغير ذلك من دواعي الهجرة، وأن الانتقال لمواطن جديدة لم يترتب عليه ضم تلك المواطن للموطن القديم، شأن الهجرات إلى مواطن جديدة في كافة بقاع الأرض، ومنها هجرة الأوربيين إلى قارة أمريكا وغيرها.

---

[1] انظر صفة جزيرة العرب، بتصرف، ص٢٧٠-٢٧٤، ومختصر أنباء اليمن ونبلائه، المطبوع مع مجموعة كتاب الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ، لابن زبارة ص٢٢،٢٣.

لكن كما يقول حسين بن علي الويسي[1] وما من شك أن القبائل القحطانية والعدنانية أصبحت اليوم أسرة واحدة، اختلطت مساكنها ودماؤها، ففي كل قبيل وقرية خليط من القبيلين، علاوة على علاقة المصاهرة التي بدأت في زمن اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام، قبل أربعة آلاف سنة، وتدرجت إلى يومنا هذا .. ولقد جاء الإسلام فوحّد الأمة، وجمع الكلمة و لم يفرق بين أبيض وأسود، وجمعهم تحت راية التوحيد .. وجعل من موطن الإسلام الأول وطناً لجميع الأجناس .. وألغى عصبية الأحساب والأنساب .. وآخى بين المهاجرين من قريش ومن معهم من سائر القبائل، وبين الأوس والخزرج، وضم إلى بيته سلمان الفارسي لإيمانه بالله ورسوله وأبعد أبالهب، عمه صِنْوُ أبيه، لعناده وبعده عن حظيرة الإسلام.

فليت الذين يثيرون ـ بين الحين والآخر ـ النعرة القبلية الجاهلية يدركون ذلك!. فالشعوب العربية، والأمة الإسلامية بحاجة لتوحيد الجهود المشتتة، لخدمة الإسلام، والأمة الإسلامية حتى تكون حقاً خير أمة أخرجت للناس.

---

[1] اليمن الكبرى ص٥٧١، وما بعدها بتصرف.

# الباب الثاني

## الوضع العام لشبه الجزيرة العربية في العصر الجاهلي حتى ظهور الإسلام

قد يستنكف البعض من إطلاق كلمة "جاهلية" وصفاً للعرب فيما قبل الإسلام من منطلق أن البعض منهم كان له حضارة، وفي تعميم هذا الوصف على الجميع فيه غمط لهؤلاء.

ويجاب بأن المراد من الجهالة هنا: الضلالة والتمادى في الغىّ، وعدم التحلى بالأخلاق القويمة، بالإضافة إلى عدم معرفة الواجب الوجود، وهو الله سبحانه وتعالى، ومن هذا القبيل قول الله سبحانه، في شأن موسى عليه السلام وقومه: ﴿قالوا ياموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾[2] وما روى عن أبى ذر رضى الله عنه قال: "إنى سابَبْتُ رجلاً، فَعيَّرتُه بأمه

[1] سورة الأعراف، آية ١٣٨ .

[2] سورة الفرقان، آية ٦٣ .

ـ وفى رواية ــ قلت له: ياابن السوداء، فقال لى النبي ﷺ: ياأباذر، أعيّرته بأمه؟! إنك امرؤ فيك جاهلية ..."[1]

فليس المقصود هنا من اطلاق وصف جاهلية هو نفى العلم فيما من شأنه أن يستساغ تعلمه، لأن المقابل للجهل هنا هو العلم والتّعلُّم، ومعرفة الإله الواحد الأحد سبحانه وتعالى، كما أن المقابل للأمية هى القراءة والكتابة، فليس في هذا منقصة. فقد يقبل عليها قوم، ويعزف عنها آخرون شأن كل الأمم والشعوب، في التعليم وعدمه، وقد كان النبى ﷺ ، أمياً، أى لايكتب، ومع ذلك كان أعلم العلماء وعجز الفصحاء عن مجاراته.

ثم إنه ليس بالضرورة أن كل من لا يعلم شيئاً يُعد جاهلاً على الإطلاق، فلا يعمم الحكم، وإنما يوصف به التارك طلب حد الشئ وحقه المعتقد له على غير ماهو به، ولولا ذلك لما استحق اللائمة والمذمة على جهله[2] .

والعرب قبل الإسلام كانت الغالبية منهم تتمادى في الضلالة والغىّ، فاستحقوا أن يطلق عليهم هذا اللفظ، وليس لأحد أن يستنكف هذا لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى وصفهم بذلك، وإلا فهى حمية الجاهلية! ..

---

[1] رواه البخارى. وكذا ما ورد في شأن الكعبة فيما روته عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ: "لولا الناس حديثو عهد بالجاهلية لهدمتها وجعلت لها بابا ـ أى باباً من خلفها أيضاً ـ وجعلتها على أساس ابراهيم .." انظر السيرة الحلبية ١/٢٧٥.

[2] البدء والتاريخ، ج١، ص٢٠.

ونعود لنلمس الوضع في شبه الجزيرة في العصر الجاهلي. حيث نلحظ أنه أقيمت بها ممالك في جنوبها وشمالها، ففي الجنوب بأرض اليمن قامت أول دولة عربية، وهي الدولة المعينية[1] ، التي كانت بالجوف، فيما بين نجران وحضرموت، وعاصمتها "قرنا" ثم انتقلت إلى "معين" وقامت عام ١٤٠٠ق.م، وأواخر عهدهم نافسهم السبئيون السيادة حتى قضوا عليهم عام ٨٥٠ق.م .

وكانت مملكة حضرموت هي الأخرى قد نشأت عام ١٠٢٠ق.م، وعاصمتها "شبوة" ودخلت أيضاً في حروب مع الدولة المعينية، ثم انتهت عام ٦٥ ميلادية.

ثم قامت مملكة سبأ على انقاض مملكة معين عام ٨٥٠ق.م. وانتهت عام ١١٥ق.م بقيام مملكة سبأ وريدان الحميرية، وكانت عاصمتها "صرواح" ثم "مأرب" ويطلق عليها البعض: الحميرية الأولى، عام ١١٥ق.م، واستمرت حتى عام ٣٠٠ ميلادى، ثم أعقبتها الدولة الحميرية الثانية عام ٣٠٠م حتى عام ٥٢٥م حين دخل الأحباش اليمن[2] .

---

[1] ينسب المعينون إلى العمالقة وليسوا إلى القحطانيين، كما يقول الدكتور حسن ابراهيم، انظر اليمن البلاد السعيدة، ص١٥.

[2] د.أحمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ ص٥٨،٥٩، ط٤، ١٤٠٦/١٩٨٦، وأيضاً: د.السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام ص١٠١-١٢٤.

وتفيد روايات الاخباريين أن بعض حكام هذه الدول كانت لهم سطوة وهيمنة، وأنهم غزو بعض الممالك المعاصرة لهم كالحبشة، وفارس، ومصر، كما أنهم هيمنوا على طرق المواصلات البحرية في المحيط الهندى، والبحر الأحمر، وكان لهم أسطول تجارى حمل بضائع الصين والهند إلى آسيا، وافريقيا، وأوربا، فكانوا بذلك همزة الوصل بين تجارة الشرق والغرب[1] . ولن نتحدث عما بلغته تلك الممالك من حضارة ورقى، فذلك خارج عن منهجنا لهذا البحث.

لكن يبدو أن مظهر السيادة لتلك الممالك لم يخرج عن أرض اليمن، وظل وسط شبه الجزيرة العربية بمنأى عن تلك السيادة، وبعيداً عن تلك الصراعات، التى كانت تقوم فيما بينها، وبين غيرها من الدول المجاورة.

يقول ابن حزم: إن ملوك حمير والتبابعة لم يملكوا غير اليمن[2] .

ويقول ابن واضح[3] : إن ملوك اليمن لم يكونوا يتجاوزون اليمن إلا أن يغيروا على البلاد، ثم يرجعون إلى دار ملكهم.

وقال القلقشندى: أخبار التبابعة غير مضبوطة، وأمورهم غير محققة، وعدّ ابن خلدون أخبار غزوات التبابعة من الأخبار الواهية التى نقلها

---

(1) د.أحمد حسين شرف الدين، المصدر السابق ص١٣٥، ود.السيد عبد العزيز سالم، المصدر السابق ص١٠٨.

(2) الجمهرة، ص٤٨٧.

(3) نقله عنه الشيخ محمد الأكوع الحوالى، انظر اليمن الخضراء، ص٣٤٥، وانظر ايضاً اليعقوبى أحمد بن أبى يعقوب، المعروف بابن واضح، تاريخ اليعقوبى ١/٢٤٥.

المؤرخون دون تمحيص[1] على أن الطبرى قد ذكر أن الملك من ملوك اليمن كان لايتجاوز مخلافه، وإن تجاوزه فبمسافة يسيرة[2] وذلك فيما عدا البعض منهم كتبع بن حسان الذى أغار على فارس وقتل قباذ ملكها[3] وكانت له غزوات أخرى ومن المؤكد أن القلقشندى لو أحس بأن قول الطبرى أو غيره فيه مخالفة للواقع لما توانى في نقده وبيان الصواب فيه، وفق المنهج الذى كان متبعاً لدى المؤرخين الأوائل، والذى كان يقوم على ايراد الروايات والأخبار بأسانيدها ثم نقدها، وبيان الصواب فيها.

و تأكيداً لذلك نلحظ أنه أقيمت عدة دول في وقت واحد، أو بالأحرى تعاصرت دولتان أو أكثر، وتقاسمت أرض اليمن و لم تتمكن دولة منهم من إخضاع أرض اليمن بكاملها لسيطرتها، وبسط السيادة عليها، فيما عدا دولة سبأ (١١٥ق.م - ٣٠٠م) في مرحلتها الثانية، فهى التى تمكنت من اخضاع جزء كبير من أرض اليمن لسيادتها[4] .

---

[1] المقدمة، ص٩.

[2] صبح الأعشى ٥/٢٤، وابن خلدون، العبر ٢/٥٨، وانظر اليمن الكبرى، للويسى، ص٢٠٥، قال نقلاً عن الطبرى الناقل عن ابن خلدون كان ملوك اليمن يغيرون على النواحى المجاورة أو البعيدة بغرض استعمال أهلها، فإذا قصدهم الطلب لم يكن لهم ثبات، وإذا خرج أحدهم من مخلافه وشعر بخوف عاد إلى مخلافه، من غير أن يزاد له في مخلافه، أو يؤدى إليه خراج، شأن المتلصصة.

[3] الطبرى ٢/٩٦.

[4] م.ب. بيوتروفسكى، اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة، تعريب محمد الشعيبى، ص٥٥.

والعجيب أن حالة تعدد الدول ووقوع الصراع فيما بينها تكررت مرة أخرى عند ضعف الدولة العباسية، و لم تستطع أى منهم أن توحد اليمن سياسياً، وسوف نأتي على ذكرها في حينه.

كما نلحظ أن قبائل وسط شبه الجزيرة كانت تقوم أحياناً بغارات على تلك الممالك، كقبيلة عامر بن صعصعة من هوازن[1] لكن ما يلبث المَلك أن يقوم بعملية غزو لردع المغير وتأديبه، وكثيراً ما كانت تلك القبائل ــ ومن يحالفها ــ تشتبك مع هؤلاء في مواقع وحروب سجلوها شعراً، كيوم "خزازى"[2] الذى قاد فيه كليب بن ربيعة بن الحارث الوائلى ــ رئيس الحيين بكر وتغلب ــ ضد أحد ملوك حمير حوالى عام ٥٠٠م، وفيه قال عمرو بن كلثوم[3] .

| | |
|---|---|
| ونحن غداة أوقد في خزازى | هديت كتائباً مُتَحَسِرات |

ويقول بعض من شهدها من خولان[4] :

| | |
|---|---|
| كانت لنا بخزاز وقعةٌ عجب | لما التقينا وحادى الموت يحديها |

[1] م.ب. بيوتروفسكي، المصدر السابق، ص٨٢.
[2] خزاز اسم جبل في بلاد ربيعة قوم كليب بن وائل.
[3] الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابورى، مجمع الأمثال ٢/٤٣٠، وسرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، لابن نباته المصرى، ص٩٢.
[4] الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٢٢. ويقال فيها: خزازى.

وكان من أقدم تلك الأيام يوم البيداء[1] فكانت تحركات هؤلاء الملوك نحو وسط شبه الجزيرة للغزو والتأديب ولم تكن بغرض فرض السيادة، لأن القبائل تأنف من الخضوع لغير رؤسائها، فصرف هؤلاء النظر عن ذلك واكتفوا بمجرد القيام بحملات للتأديب لا للتوسع أو فرض السيادة بضم مناطق أو أجزاء أخرى لأرضهم وممالكهم ..

ولذا نلحظ أنهم كانوا يعودون دون أن يتركوا أى أثر لمظاهر تلك السيادة، ولعل من هذا القبيل ما فعله تبع (الأكبر) أسعد أبو كرب ـ وقيل بل تبع الأصغر ـ حينما ذهب إلى يثرب (المدينة المنورة) وقتل بعض اليهود ممن تسلطوا على بني عمومته الأوس والخزرج، وأراد إخراب المدينة، فقيل له: إنها مهاجر نبي يأتي بعدُ، فصرف النظر عن ذلك، ودان به، وقال:

| | |
|---|---|
| شهدت على أحمد أنه | رسول من الله بارى النسم |
| فلو مُد في عمرى الى عمره | لكنت وزيراً له وابن عم |

ثم أخذ معه حَبْرين من أحبار اليهود وانصرف إلى اليمن، ومر بالكعبة فكساها بالبُرد[2] ومن هذا القبيل أيضاً ما فعله ذو نواس بمسيحى أهل نجران، عندما خَدّ لهم الأخدود، وخيّرهم بين ترك المسيحية واتّباع

---

[1] البكاني، المصدر السابق، ص٤٣٢، وبلوغ الأرب، ص١٥٠، ويقول إنها أول وقعة بين تهامة واليمن.

[2] المقدسي، مطهر بن طاهر، البدء والتاريخ ١٧٩/٣-١٨٠، والألوسي، محمود شكري، بلوغ الأرب، ص١٧٠، وانظر اليمن الكبرى للويسي، ص٢٠٥، ٢١٢.

اليهودية أو الحرق في الأخدود .. فهناك رواية أوردها الطبرى[1] . مفادها أن رجلاً يهودياً من أهل نجران، يقال له: دوس، ذهب إلى ذى نواس ــ الذى كان قد تهوّد ــ مستنجداً إياه على نصارى نجران لأنهم قتلوا ابنين له ظلماً.

يقول الطبرى: فسار إليهم ذو نواس بجنوده من حمير، وقبائل اليمن، وخدّ لهم الأخدود[2] فهذه الرواية، ربما تكون مقبولة عقلاً ومنطقاً.

فاستنجاد الضعيف بالقوى عادة مألوفة لدى العرب، وأيضاً لدى غيرهم من الشعوب، مثلما استنجد مالك بن عجلان الخزرجي بتبع بن حسان على يهود يثرب قبل[3] ومثل خروج ذو ثعلبان أو ابن الثامر عند الأخدود يستنجد بملك الحبشة، ومثل استنجاد سيف بن ذى يزن بن النعمان بن عفير بكسرى أنو شروان على الحبشة[4] فسبب خروج ذو نواس هو التلبية لمن استنجد به، وعندما عرف أنهم يدينون بالمسيحية أخذته الحمية لليهودية التى كان قد اعتنقها، فأراد التكاية بهم لقتلهم أبناء اليهودى الذى استصرخه، فخيرهم بين ترك ديانتهم واتباع ديانة من استصرخه، وديانته هو أيضاً، وفي هذا تنكيل بهم، ولم يكن أهل نجران كلهم متبعين الديانة المسيحية، فقد كان وادى نجران يضم العديد من

---

[1] الطبرى، ٢/١٢٣.

[2] الطبرى، ٢/١٢٣، وانظر أيضاً الأوائل لأبى هلال العسكرى ١/٥٧.

[3] المقدسى، مطهر بن طاهر، البدء والتاريخ، ٣/١٧٩.

[4] المقدسى، المصدر السابق، ٣/١٨٨، د.أحمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص١٥٧.

القرى على جانبيه، بالإضافة إلى القرى الأخرى الواقعة في حَيِّز نجران، وإنما كان أهل قرية أو قريتين في غالب الظن، هم الذين اتبعوا المسيحية، منهما قرية الحصن، أو "نجران" قاعدة المنطقة، والتي سميت باسم أحد أشهر أوديتها. وخد الأخدود بجوارها[1] وأطلق فيما بعد على هذا الموضع: قرية الأخدود، ثم هُجرت وتحولت إلى آثار[2] أما بقية سكان قرى نجران الأخرى، فكانوا يعبدون الأصنام، شأنهم شأن معظم العرب في ذلك الوقت، فقد جاء الإسلام وبالقرب من نجران صنم "يغوث" الذى كان لمذحج وأخذه بنو غطيف من مراد، واستقر عند بنى الضباب من بنى الحارث[3] وكان ذا الخلصة لخثعم ودوس وقبائل بيشة والسروات، وبجيلة، وبعث النبى ﷺ جرير بن عبد الله البجلى فكسره[4] بل كان المنطيق لعكّ والأشعريين[5] بتهامة، ولو كان الدافع لخروج ذى نواس هو إرغام الناس على اعتناق اليهودية لكان عُبّاد الأصنام أولى بإقدامه إليهم، لاسيما وأن اليهودية والمسيحية منذ بداية القرن الثانى الميلادى، إلفان متآلفان إلى حدٍّ ما. وهدأت الصراعات بين الطائفتين اليهودية والمسيحية قبل حادث

---

[1] ياقوت الحموى، معجم البلدان ٥/٢٦٦-٢٦٩، والطبرى ٢/١٢١-١٢٣، ويقول (ص١٢١): كان الأخدود فى قرية من قرى نجران، قريب منها، ونجران هى القرية العظمى التى إليها جُمّاع أهل البلاد.

[2] فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص١٧١، ويقول الهمدانى (ص٣١٨): إن موضع الأخدود كان به قرية تسمى هجر اندثرت.

[3] انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص٤٩٧.

[4] المصدر السابق، ص٢٩٣.

[5] المصدر السابق، ص٤٩٤.

الأخدود. وجُمع التوراة والانجيل في كتاب واحد، تحت مسمى الكتاب المقدس، العهد العتيق والعهد الجديد.

فكيف يقدم ذو نواس على التنكيل بأهل كتاب، ويترك عبّاد الأصنام من رعيته بتهامة اليمن، من مراد وزبيد وغيرهم، وكان موطنهم مقابل صنعاء غرباً، وبالقرب منها ..؟!، وقد وصف الله أهل الأخدود بأنهم كانوا مؤمنين ــ أى على الديانة المسيحية قبل أن يلحقها التغيير والتبديل ــ في قوله تعالى: ﴿قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود﴾[1] ولذا نجد أن ياقوت الحموى ــ بعد أن استعرض الروايات التى قيلت بشأن هذه الحادثة ـ يستبعد أن يكون الذى فعل هذا بأهل الأخدود، معتنقاً اليهودية، ويرجح أن يكون كافراً [2] كما يرجح البعض أن حادثة الأخدود خلفها دوافع سياسية، وأن التنافس الاقتصادى بين دولة الحبشة، ودولة حمير، ومحاولة مسيحيّ أهل نجران الاتصال بالحبشة، ومساعدتها لهم، كل ذلك أوغر صدر ملك حمير، فغزاهم ونكل بهم، فأنتهزتها الحبشة ودخلت اليمن، وقضت على دولة حمير.![3]

---

[1] سورة البروج، آية ٤-٧.

[2] معجم البلدان، ٥/٢٦٧.

[3] الأكوع، اليمن الخضراء، ص٤١٠.

وعموماً فإن سير الوقائع، وبالأخص حادثة الأخدود ليس فيها ما يدل على ممارسة أعمال السيادة ولافرض الهيمنة والطاعة على طائفة من الناس، وإنما هو غزو بدافع سياسى أو للتنكيل لأى سبب كان. مثلما كان يحدث لبعض القبائل وسط شبه الجزيرة، أو حتى للدولة المجاورة أحياناً، فالغزو ليس له معيار محدد، لانعدام العهود والمواثيق بين الدول في ذاك الوقت .. ولذا نلحظ أنه انسحب بعد الحادثة عائداً إلى موطنه، وعاد الفارون من وجهه إلى موطنهم، وأعادوا بناء كنيستهم، ومارسوا ديانتهم التى جاء الإسلام وهم مقيمون عليها. كما نلحظ أن الأحباش الذين اتخذوا الحادثة مبرراً لغزوهم لليمن لم تكن لهم سلطة عليهم، وإنما توزعت سلطتهم على أرض اليمن، واستمر أهل نجران ـــ النصارى وغيرهم من مختلف القبائل ـــ في هيمنتهم الكاملة على أرضهم وبلدهم حتى جاء الإسلام.

وإذا ماتجاوزنا تلك الوقائع التى أطلق عليها "أيام العرب" فيما كان بين القبائل العربية وهؤلاء الملوك. فإننا نجد أن الغالبية العظمى من سكان الحضر والبادية في وسط شبه الجزيرة العربية، كانت تكن الودّ والاعزاز لهؤلاء الملوك، ويفخرون بهم، ويفدون إليهم لإظهار مودتهم، وموالاتهم على أساس أنهم عرب مثلهم[1] في مقابلة ملوك الروم وفارس. وليس أدل على ذلك من خروج وفود العرب، أهل الحضر والبادية، من وسط شبه

---

[1] الأغانى، ج١٦، ص٧٣.

الجزيرة، لتهنئة الملك سيف بن ذى يزن، عندما تحقق له طرد الأحباش من اليمن، وكان من بينهم عبد المطلب بن هاشم، جد النبي ﷺ، وخطب أمامه يومها نيابة عن الوفد، وكان مما قاله: إن الله أحلك أيها الملك محلاً رفيعاً، صعباً منيعاً، وأنبتك منبتاً طابت أرومته .. وأنت ملك العرب وربيعها الذى يخصب به، سلفك خير سلف، وأنت لنا منهم خير خلف .. ونحن أيها الملك أهل حرم الله، وسدنة بيته، أشخصنا إليك الذى أبهجنا لكشف الكَرْب الذى فدحنا، فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة[1] .

وبعد أن انتهى عبد المطلب من خطبته، سأله سيف بن ذى يزن، أيهم أنت أيها المتكلم؟. فقال أنا عبد المطلب بن هاشم. قال: ابن اختنا؟. قال: نعم، ابن اختكم، قال: ادن منى، وقربه من مجلسه، واحتفى به[2] .

وكان هاشم أكبر أبناء عبد مناف، ويقال له ولاخوته: نوفل، وعبد شمس، والمطلب: المُجَبِّرُون، لأنهم أول من جَبَّر وأصْلَح أمر قريش فى التجارة، فأخذوا لها العهود، وعقدوا المواثيق مع الدول المجاورة، التى تَرِدُها قريش للتجارة، فعقد هاشم عهداً مع ملك الروم أن تختلف قريش

---

[1] الآلوسى. محمود شكرى، بلوغ الأرب، ٢٦٧/٢، والأغانى للأصفهانى ٧٣/١٦، والأزرقى ص١٥٠. ولايتوهم أحد أن فى كلمة عبد المطلب اعتراف بسيادته على العرب، فهذا أسلوب مجاملة كان يقال أيضاً لكسرى وقيصر

[2] وأم عبد المطلب بن هاشم هى: سلمى بنت عمرو بن زيد من بنى النجار من الخزرج من ثعلبة بن عمرو مزيقياء من زيد كهلان بن سبأ. وكذلك كان جده عبد مناف بن قصى، أمه حُبّى بنت حليل بن حبشية من خزاعة. وقيل أم قصى من أزد السراة. انظر ابن الأثير ١٧/٢، ١٨، وانظر ايضاً: الطبرى ١٤٨/٢، وكتاب البدء والتاريخ ٥/٥.

بتجارتها في أرضه، وهي في أمان، ومع ملوك غسان بالشام، وعقد أخوه عبد شمس عهداً مع النجاشي ملك الحبشة، وعقد أخوه نوفل عهداً مع الأكاسرة وملوك الحيرة، وعقد المطلب عهداً مع ملوك حمير باليمن[1] .

فازدهرت بذلك تجارة قريش[2] نتيجة للأمن الذى توافر لها في كافة البلاد التي تختلف إليها، وكانت تجارتها من أشهر الرحلات التجارية على مدى قرن ونصف قبل مجيء الإسلام .. وكانت من النعم التي خص الله بها قريش، وهاجسٌ إلى عِظَم المكانة التي ستحتلها في نفوس العرب، وإرهاص من إرهاصات النبوة. ولذلك ذكّرهم الله بهذه النعمة من باب التبكيت والتقريع لهم على عدم ذكرها، وشكره سبحانه عليها، وحضّهم على عبادته وشكره سبحانه وتعالى، حين بعث إليهم، وإلى العالمين نبياً منهم، كان الأحرى بهم أن يكونوا أول من أتبعه وآمن به، في قوله تعالى: ﴿لإيلاف قريش* إلافِهِم رحلة الشتاء والصيف* فليعبدوا رب هذا البيت* الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾[3] فكانت رحلة الشتاء لليمن والحبشة، ورحلة الصيف إلى الشام، وفلسطين، والعراق، ومصر[4]

---

[1] طبقات ابن سعد، ج١، ص٧٥-٧٨.

[2] الكامل لابن الأثير ١٦/٢، والطبرى ٢٥٢/٢، ونهاية الأرب للنويرى ٣٢/١٦،٣٣، والطبقات لابن سعد ٧٥/١ .

[3] سورة قريش الآية ١-٤ .

[4] فكتب التاريخ تروى أن عمرو بن العاص ذهب في الجاهلية إلى مصر في تجارة، وحضر حفلاً كانوا يرسون فيه كرة، فإذا سقطت على أحد، أو في حجره، عرفوا أنه سيتولى حكم البلاد، أو يتقلد منصباً فيها، فسقطت على عمرو، فعجبوا، وظنوا أنها أخطأت طريقها.

ونلحظ أن هاشم بن عبد مناف وإخوته قد عقدوا العهود مع ملوك الدول التي تجوب قافلتهم التجارية أراضيهم، حتى لا يتعرض أحد من رعايا هؤلاء الملوك لتجارتهم حين المرور في أرضهم، أما قبائل وسط الجزيرة العربية، وما يبسطون أيديهم عليه من أرض فكانت لهم معهم تعاملات أخرى، بعضهم يخفرها بمقابل، أو دون مقابل لصلة القربى، فمثلاً كان سعد بن عبادة يجيزها وهي بالمدينة، أو في حيزها[1] وإذا مرت بتهامة الحجاز والسراة، كانت بعض القبائل التي تمر بأرضها تُحَمّلها بعض السلع لتبيعها لها في الأسواق التي تحل فيها[2] أو تشتري منها بربح قليل، وفي هذا دليل على هيمنة القبائل في تهامة والسراة على الأرض التي يبسطون أيديهم عليها، دون أن يكون لغيرهم أية سلطة عليهم.بل إن هذا هو شأن كافة القبائل وسط شبه الجزيرة العربية. فالقبيلة هي صاحبة السلطة والسيادة على الأرض التي تبسط يدها عليها، ولاتنتزع منها السيادة على تلك الأرض إلا قبيلة أقوى منها، ولاتمر بها قبيلة، أو تنتجع فيها، أو ترد مناهلها إلا بإذن منها، ولذلك نجد أن الأرض كانت تحمل اسم القبيلة التي تفرض سيادتها عليها، فيقال أرض هوازن، وأرض كنانة، وسراة بني علي، وسراة فهم، وسراة بجيلة، وسراة الأزد، وسراة ألمع، وبلاد بني مالك بن شهر، وبلاد وادعة وبني الحارث، وغير ذلك كثير[3]

---

[1] الطبري ٢/٣٦٨.

[2] الطبقات لابن سعد ٧٨/١.

[3] صفة جزيرة العرب، ص٢٦٠-٢٦٢.

وكانت القوافل التجارية لاتعبر تلك الأرض في الغالب إلا بإذن من رؤساء القبائل المهيمنة عليها، وأعمال الخفارة للقوافل لاجازتها عَبْر المسالك، وحمايتها من النهب والسَّرِقة، كان يخضع لاتفاق مسبق للإذن بالعبور، إما مقابل جُعل يُدفع، أو للتعامل بالمثل، أو غير ذلك، وكثيراً ما كان يتم العبور من قبيل النخوة والشهامة.

ومما يعطي الدلالة على أن هذا الوضع هو الذي كان سائداً وسط شبه الجزيرة العربية، هو أن "باذان" عامل كسرى على اليمن[1] كان يبعث إلى كسرى كل عام قافلة تحمل الكثير من طُرَفَ اليمن: كالثياب، والعطور، والذهب، والجواهر، وكانت القافلة تخرج من اليمن مخفورة برجال من بني الجعد المرّارين من كندة بحضرموت، ومعهم بعض أفراد من رجال كسرى، إلى أن تصل إلى أرض بني تميم فيتعهدها هوذة بن علي الحنفي، رئيس بني حنيفة في ذلك الوقت، حيث يقوم بارسال من يخفرها حتى تجاوز أرض بني تميم وسط نجد، فلما كان بعض السنين، وهي في أرض بني حنظلة، دعا صعصعة بن ناجية بن عقال المجاشعي قومه إلى الوثوب عليها، لكنهم أبوا ذلك، فلما صارت في بلاد بني يربوع دعاهم إلى ذلك فاستجابوا، وأغاروا عليها وقتلوا معظم حراسها ومرافقيها من العرب والفرس، واستولوا على ماتحمله، وفر من نجا من الموت إلى هوذة

---

[1] بعض المراجع تذكر أن هذه الحادثة وقعت في عهد وهرز، لكن ابن الأثير ذكر أنها في عهد باذان، آخر عامل كسروى على اليمن، والذى أسلم ـ على أرجح الأقوال ـ في العام التاسع من الهجرة، وأنها كانت وقت البعثة النبوية، وقبل الهجرة، ابن الأثير ١/٦٢١.

ابن علي الحنفي باليمامة، فخفف من روعهم، وكساهم وأكرمهم، ثم سار معهم إلى كسرى، فحفظ له كسرى موقفه ذاك، ودعا بعقد من دُرٍّ عقده على رأسه، وكساه قباء ديباج، فمن ثَمَّ سُمِيَّ: هوذة ذو التاج[1] أي صاحب التاج، وبعد تلك الحادثة كان كسرى يبعث بتجارة لتباع في اليمن، فكان هوذة بن علي الحنفي يبعث من يقوم على حراستها حتى تجاوز أرض بني تميم في طريقها إلى اليمن[2] .

وشاهد آخر على هذا الوضع الذي كان سائداً وسط شبه الجزيرة العربية، وهو أنه كانت تقام بعكاظ ــ بين نخلة والطائف ــ سوق تجتمع فيها العرب كل عام إذا حضر موسم الحج، فيأمن الناس بعضهم بعضاً، وتقام في مستهل شهر ذي القعدة حتى العشرين منه، لينصرف الناس بعدها لأداء مناسك الحج، وكانت السوق للأدب يتبارى فيها الشعراء والخطباء بأحسن ما لديهم، كما يتبارى التجار بترويج ما يحملونه من سلع متنوعة، فكانت غذاء للعقل والجسم معاً. كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة، يبعث (لطيمة) أي بضاعة للإتّجّار بها في سوق عكاظ كل عام، وقبيل حلول الموعد يفد إليه بعض رجالات العرب، وفرسانها، ليعرضوا عليه القيام بحماية القافلة حتى تجوز إلى عكاظ، وفي أحد الأعوام اجتمع

---

[1] الطبري ٢/١٦٩، وابن الأثير ١/٦٢٠، وسرح العيون في شرح رسالة بن زيدون، لابن نباته المصري، ص٥٥.
[2] ابن الأثير ١/٦٢١.

لديه لفيف من العرب، كان منهم عُروة بن عتبة بن جعفر، المعروف بعروة الرَّحَّال[1] وكان شريفاً في قومه.

كما كان من بين الموجودين البَرّاض بن قيس الكناني، ثم الضمري، وكان فاتكا خليعاً، يُضرب به المثل في الفتك[2] .

قال النعمان للحاضرين بمجلسه: من يجيز لي لَطِيمتي هذه حتى يبلغها عكاظ؟ فقال البَرّاض: أنا أجيزها على كنانة، فقال النعمان: إنما أريد من يجيزها على كنانة وقيس: فقال عروة: أكَلْبٌ خليع يجيزها لك؟! أنا أجيزها على أهل الشيح والقيصوم[3] ، من أهل تهامة وأهل نجد. فقال البَرّاض غاضباً: وعلى كنانة تجيزها ياعروة؟! قال عروة: وعلى الناس كلهم .. فدفع النعمان القافلة إلى عروة الرَّحَّال ليسير بها إلى عكاظ، وخرج في أثره البراض متخفياً حتى قتله، واستولى على التجارة، وقامت بسببه حرب الفِجار، التي شهدها الرسول ﷺ ، وعمره عشرون عاماً[4]

---

[1] عروة الرّحال ابن عتبة بن جعفر بن كلاب من عامر من صعصعة من هوازن، واطلق عليه ذلك لكثرة ترحاله. الجمهرة، ص٢٨٦.

[2] أي الأخذ على غِرّة.

[3] الشيح والقيصوم نبات لاينبت إلا في البادية، وهذا كناية عن حماية القافلة من أهل الحاضرة والبادية وإجازتها كافة البوادى.

[4] ابن الأثير ٥٨٩/١، ٥٩٠، وسرح العيون ص٩١، والبدء والتاريخ ١٣٤/٤، واختلف في عمره ﷺ ، وذكرنا ما رأيناه صواباً.

وهي حرب الفجار الثاني، وقيل: إنها أربعة، وأن الذى شهده الرسول ﷺ هو الرابع[1] منها، وأن عمره كان وقتها أقل من عشرين عاماً.

وكثيراً ما يردد البعض القول بأن أبناء الحارث بن عمرو الكندى كانوا ملوكاً على أحياء العرب، وسط شبه الجزيرة، ويغفل قصداً أو عن غير قصد ملابسات ذلك والداعي إليه ...

فحقيقة ذلك كما يرويه ثقاة المؤرخين: أنه لما استحر القتل بين القبائل العدنانية، وفسد أمرها بسبب كثرة الحروب بينها، تجمع أشراف وكبراء تلك القبائل، واتفقوا أن يولوا عليهم حكماً يكون بمثابة قاضٍ يحكم بينهم ويُرجع إليه فيما ينشب بينهم من خلاف أو منازعة.

وضماناً لنزاهته وانصافه اتفقوا أن يكون غريباً عنهم، حتى لايتعصب لقبيلته، فأتوا الحارث بن عمرو الكندى، وكان ملكاً على الحيرة، وعرضوا عليه أمرهم، وسوء الحال التى وصلوا إليه.

ثم طلبوا منه أن يرسل معهم بنيه، ليكونوا على القبائل كحكام وقضاة، ويكفوا بعضهم عن بعض، فوزع أبناءه على القبائل، فكان ابنه حجر على بنى أسد وغطفان، وشرحبيل على بكر بن وائل بأسرها، وبنى حنظلة، وابنه معد يكرب على بنى تغلب والنمر بن قاسط، وسعد بن زيد مناة، واستمر الوضع على ذلك عدة سنين إلى أن امتنع بنو أسد أن يدفعوا

---

[1] مجمع الأمثال للميدانى، ٢/٤٣٠.

الإتاوة، أو النفقات المطلوبة منهم سنوياً لحجر بن الحارث، حاكمهم، أو بالأحرى قاضيهم، فسار إليهم لقتالهم فقتلوه، وهو والد امرؤ القيس الشاعر المشهور، وامتنعت بقية القبائل عندئذ عن دفع تلك الجباية، وطردوا أبناء الحارث[1] وخبر ذلك مشهور تاريخياً، وليس فيه دليل على تملك كندة لوسط الجزيرة، فإن القبائل العربية في وسط شبه الجزيرة، هي التي استدعتهم وهي التي أعفتهم من مهمتهم.

**ملوك العرب في الشمال :**

تتابعت هجرات القبائل العربية من جنوب ووسط بلاد العرب إلى الشمال، واستوطنوا أرض العراق، والشام، وفلسطين، ومصر، منذ عهود بعيدة، فقد قيل إن فراعنة مصر، الذين كانوا على عهد الخليل ابراهيم عليه السلام، من العماليق الذين هاجروا من بلاد العرب[2] وأنه قد توافقت هجرة قبيلتي جُرهم، التي كانت تستوطن تهامة اليمن[3] وقبيلة قُطوراً، سُكنَى اسماعيل عليه السلام مكة المكرمة، فأقامتا بجواره، وصاهر اسماعيل قبيلة جُرهم، ثم بعد فترة نزحت قطورا إلى الشمال حتى استقرت بطون منها بمشارف الشام، وبادية السماوة[4] . وأقاموا مملكة تدمر ببادية

---

[1] الأغاني ٨/٦٢،٦٣، وبلوغ الأرب للألوسي، ج٢،ص١٥٦.

[2] معجم البلدان، ياقوت الحموي ٥/٤٤٢.

[3] معجم البلدان ٥/٤٤٢.

[4] اخبار مكة للأزرقي ١/٨٢،٨٥، ونهاية الأرب للنويري ١٦/٣٢،٣٣.

السماوة بالقرب من حمص، وكانت معاصرة لنبي الله سليمان عليه السلام، وربما تكون البطون الأخرى منها، هي التي أسست مملكة الأنباط بالبتراء بالقرب من حوران قبل القرن الرابع الميلادي، وكان من أشهر ملوك مملكة تدمر الملكة زنوبيا (الزَّباء) ابنة عمرو بن الظَّرِب بن حسان بن أُذَيْنة بن السميدع[1] وكان يعاصرها في الحيرة[2] حكم التوخيين الذين كان من أشهر ملوكهم جذيمة الأبرش، وابن أخته عمرو بن عدى من آل نصر اللخمي، ثم تلاهم في حكم الحيرة المناذرة أبناء عمرو مزيقياء من الأزد[3] .

أما في الشام فأول من حكم هم الضجاعمة من سليم من قضاعة، إلى أن تمكن الغساسنة من آل جفنة من عمرو مزيقياء من التغلب عليهم، والاستئثار بالحكم، أواخر القرن الخامس الميلادي، وأول ملوكهم الحارث ابن جبلة، وآخرهم جبلة بن الأيهم الذى أسلم في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وكانت ديارهم تمتد من اليرموك إلى الجولان إلى القرب من دمشق[4] .

---

[1] والسميدع هم بطن من قطوراء من العماليق.

[2] الحيرة: تبعد عن الكوفة بثلاثة أميال، وتقع بالقرب من ضفة الفرات الغربية.

[3] بلوغ الأرب للألوسي ٢/١٧٥-١٧٧.

[4] دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، د.سيد سالم،ص١٩٧،١٩٨، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص٤٥٠.

ولعل من أسباب إقامة تلك الممالك في هذه المناطق، هو تتابع هجرات القبائل العربية على مختلف العصور، وسيطرتها عليها عقب إنحسار نفوذ الفينيقيين، والأشوريين، والكلدانيين، والسريانيين وقبل أن يمتد إليها نفوذ الساسنيين والروم البيزنطيين، الذين استمروا حتى ظهور الإسلام.

وكان من أشهر القبائل التي هاجرت واستوطنت تلك البقاع بالإضافة إلى العماليق، بطون من قضاعة كسليح، وبهراء، وبليّ، وبطون من إياد بن معد إلى عين أباغ فيما بين البصرة والكوفة، وقبائل من بكر وتغلب، وتنوخ، ولخم، ومن الأزد، وغيرهم[1] فكانت تلك القبائل سنداً قوياً في محالفتها للحاكم العربي في تلك البقاع، وعندما امتد نفوذ العجم والروم إليها، لم يجدوا مناصاً من إقرار هؤلاء الملوك على ممالكهم، على أن يتعهدوا بحفظ الأمن فيها، ويكفوهم خطر الغزوات التي كانت تقوم بها أحياناً بعض قبائل وسط شبه الجزيرة، على تلك الأطراف من ممالكهم. ويتضح ذلك من محاورة كسرى أبناء المنذر بن المنذر بن النعمان بن ماء السماء، ليختار من بينهم من يخلف أباهم المنذر في حكم الحيرة عقب وفاته عام ٥٧٩م. فقد سألهم على انفراد سؤالاً ليعرف رجاحة عقل كل منهم: أتكفينى العرب؟ وهو يقصد عرب وسط شبه الجزيرة العربية، لا الذين يقيمون حول الحيرة، أو في حوزتها، لأن هؤلاء خاضعون لسيطرته

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان ١٠٢/١-١٠٥، وابن الأثير ٣٤٠/١-٣٤٣، والطبري ٩٠/٢.

وهيمنتـه، أمـا مَـنْ بداخـل بـلاد العـرب فـلا سـلطان لـه عليهـم، ولا راد لحمـلاتهم أو غزواتهـم إلا هـؤلاء الحكـام سـواء في الحيرة، أو الشـام[1] .

وكـان ملـوك الفـرس والـروم قـد فرضـوا خراجـاً علـى الأصقـاع التـى تقـع تحـت نفوذهـم يُجبـى إليهـم في العـام مـرة أو مرتـين، وأحيانـاً كـانوا يجـورون في مقـدار ذلـك الخـراج. فلمـا ملـك كسـرى أنـو شـروان حـاول أن يكـون عـادلاً في وضـع الخـراج[2] بتصنيـف نوعيـة الأرض، وكيفيـة سـقياها، ونـوع المحصـول المنتـج منهـا، وغير ذلـك ممـا عـرف بوضـائع كسـرى، والتـى استـمر العمـل بهـا في تلـك البـلاد حتـى دخلهـا الإسـلام في عهـد عمـر بـن الخطـاب، فـأقرهم علـى العمـل بهـا فـترة مـن الزمـن[3] وكـان العـرب في وسـط شـبه الجزيـرة فيمـا قبـل الإسـلام لايـدرون شـيئاً عـن تلـك الجبايـات، أو التعـاملات الضرائبيـة، لأنهـم لم يكونـوا خـاضعين لسـيطرة أيّ مـن هـؤلاء الحكـام .. والحيـاة القبليـة وكـذا الحضرية بوسـط شـبه الجزيـرة العربيـة تـأنف مـن دفـع الجبايـات .. ألا تـرى أن بعـض القبـائل التـى ارتـدت عقـب وفـاة الرسـول ﷺ ــ وجُلّهـا لم يكـن الإسـلام قـد تمكـن بعدُ مـن شـغاف قلوبهـا ــ طلبـت مـن خليفـة رسـول الله ﷺ أبـى بكـر الصديـق رضـى الله عنـه، أن

---

[1] ابن الأثير ١/٤٨٣–٥١٠.

[2] كان مولد النبى ﷺ عام الفيل وبعد مضى اثنين وأربعين عاماً من حكم أنوشروان، وقال النبى ﷺ، ولدت في عهد الملك العادل، ويقصد بذلك انوشروان، انظر ابن الأثير ١/٤٥٧، وسرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، لابن نباته، ص٥٧.

[3] الطبرى ٢/١٥١، وابن الأثير ١/٤٥٥، والأخبار الطوال للدينورى، ص٧١.

يعفيهاً من دفع الزكاة، وبعضهم قال عنها "إتاوة"[1] بينما هم ملتزمون ببقية شرائع الإسلام!

لكنه رضي الله عنه رفض وقال قولته الشهيرة: والله لومنعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه[2] .

ومما يؤكد استقلالية وسط شبه الجزيرة، وعدم خضوعها لأي من الممالك في الشمال أو الجنوب، تلك الواقعة التي حدثت قُبَيل البعثة النبوية بقليل،وهي أن عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، القرشي، كان يطمح أن يسود قريشاً ويترأسها، وقد تحايل للملك، فذهب إلى قيصر الروم، ورَغَّبه في تملك مكة وما حولها، مثلما تملكت فارس اليمن، وطلب منه أن يوليه حاكماً عليها من قِبَلِهِ، كي يُجبي إليه الجبايات، فوافق وكتب له بذلك كتاباً يوليه على مكة وما حولها.

فلما قدم عثمان بالكتاب أطْلَع أهل مكة عليه، وحذّرهم مغَبة المخالفة والعصيان، وإلا سيُعَرّضون تجارتهم وأموالهم في بلاد الشام إلى الهلاك، وقد يسير إليهم قيصر بجيوشه، فوافقه بعضهم، وأخذ فريق يتداول الموقف في ناديهم، فلما كان عشية اليوم الثاني قام ابن عمه أبا زمعة الأسود بن عبد المطلب بن أسد، وصاح في الناس وهم يطوفون قائلاً: ياعباد الله، أيكون مَلِكٌ في تهامة؟! ما كان بها مَلِكٌ قط! وإن قريشاً

---

[1] الطبرى ٣/٢٥٩، وابن الأثير ٢/٣٥٢، وابن خلدون ٢/٧١.

[2] الطبرى ٣/٢٤١-٢٤٤، وابن الأثير ٢/٣٤٤.

لقاحاً لاتُمَلَّك لأحد. فقالوا: صدقت، لن يملكنا قيصر ولاغيره[1] وهم يقصدون بتهامة مكة وما حولها، وما يتبعها من تهامة والطائف، وجبال السراة، وبمعنى أوضح منطقة الحجاز.

ولذا قال ياقوت[2] كانت مكة لقاحاً [3] لاتدين لدين الملوك، و لم يؤد أهلها إتاوة، ولا ملكها ملك قط من سائر البلدان، تحج إلى الكعبة ملوك حمير وكندة، وغسان ولخم، فيدينون للحُمْس[4] من قريش، ويرون تعظيمهم، والاقتداء بآثارهم أمراً مفروضاً، وشرفاً عندهم عظيماً، وكان أهل الحرم آمنون، يغزون ولا يُغزون، ويَسبون ولا يُسبون، و لم تسب قرشية قط فتوطأ قهراً ، ولايجال عليها السِّهام. وقد حَمَّست قريش بعض القبائل المجاورة للحرم، كخزاعة، وكنانة، وثقيف، وعامر بن صعصعة[5] وأضفَت الكعبة المهابة والحرمة على مكة وبقاع الحرم، في الأشهر الحرم، فكان الرجل يلقى قاتل أبيه أو أخيه فلا يعرض له بسوء.

وقد أدى هذا الاستقرار الأمني للحرم، أو بالأحرى لمكة والبقاع المحرمة، إلى امتداد أثره إلى المناطق المجاورة، ومنها منطقتنا موضوع

---

(1) شفاء الغرام، ٢/١٠٨،١٠٩.

(2) معجم البلدان، لياقوت الحموى ٥/١٨٢.

(3) بمعنى تعطى ولاتأخذ، وتحكم ولاتُحكم، لايخضعون للملك، ولايؤدون إتاوة أو جباية.

(4) التحمس: التشدد في الدين، ورجل أحمس أى شجاع، وكان من عادة الحُمس في الجاهلية ألا يخرجوا أيام الحج إلى عرفة وإنما يقفون بالمزدلفة ليميزوا بالحجيج.

(5) معجم البلدان ٥/١٨٤.

الدراسة، فلقد اقتضت الظروف وسط شبه الجزيرة العربية، أن ينظم العرب حياتهم فيها على أسس قبلية، فالقبيلة هي الوحدة السياسية والاجتماعية، وتتكون من أفراد ينحدرون من جد واحد يحملون اسمه، وربما تنضم إليهم جماعات أوعشائر بالولاء، ويتحملون جميعاً واجبات الدفاع عن القبيلة، وعن أيّ من أفرادها إزاء كل خطر يواجههم، فكانت القبيلة هي المظهر الأولى البسيط للحكم الاستقلالي[1] وأصبحت القبيلة وما تهيمن عليه من أرض بمثابة ولاية مستقلة[2] أفرادها يدينون بالولاء لرئيس القبيلة، ورئيسها لاسلطان عليه، يرعى مصالح أفرادها، ويعقد مع جيرانه رؤساء القبائل عقد أمان أو موالاة بعدم الاعتداء، وهو عقد إن لم يكن موثقاً بالكتابة في غالب الأحيان، لكنه كان باللسان ومصافحة الأيدي أوثق وآكد للوفاء به، كان هذا هو الوضع السائد للحضر والبادية وسط الجزيرة العربية من حيث الاستقلالية وعدم الخضوع لسيطرة الممالك جنوب وشمال بلاد العرب، في معظم الفترات التاريخية لما قبل الإسلام، وتساس الأمور والأوضاع بينها وفق قواعد من الأعراف والتقاليد والعادات التي تلائم ظروفهم، وربما تختلف كثيراً عن تلك التي تسود هذه الممالك.

---

(1) من تقديم الدكتور صالح أحمد العلي، لكتاب الطبقات خليفة بن خياط، تحقيق اكرم ضياء العمري، ص٧.

(2) د.ابراهيم بيضون، الحجاز والدولة الإسلامية، ص٥٣، د. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص٣٦٠.

### علاقة المنطقة بالنفوذ السياسي لتلك الممالك :

من الصعب تمييز منطقتنا (جازان، وعسير، ونجران) بدراسة منفصلة عن وسط شبه الجزيرة العربية، خلال الحقبة التاريخية المبكرة التي نحن بصددها، ذلك لأنها كانت تعتبر خلال هذه الحقبة امتداداً طبيعياً لبادية مكة والطائف. على ضوء الشواهد التاريخية.

فتهامة الحجاز، وجبال السراة (عسير) وأوديتها، ونجران، ابتداء من مكة والطائف حتى المعالم الطبيعية التي سبق الإشارة إليها في صدر هذا البحث، تقطنها قبائل لها في ذاك الوقت مطلق الاستقلالية على أرضها، وتبسط يدها عليها وكأنها إمارة قائمة بذاتها، ويعقد رؤساء القبائل تحالفات فيما بينهم، ويدخلون في ولاء مع جيرانهم، أو مع من شاءوا من غيرهم، للمناصرة وعدم الاعتداء[1] وهو في حقيقته شبيه بما يتخذ حالياً في العصر الحديث بين الدول.

وكانت مكة منذ عهد اسماعيل ـ عليه السلام ـ قد شرفت باحتضانها الحرم الشريف، واحتلت جانباً مرموقاً في نفوس العرب، ومع أن الوثنية قد انتشرت فيهم، لكنهم كانوا يفدون كل عام ليطوفوا بالبيت العتيق، ونالت قريش بولايتها البيت ورعاية الحجيج، شرفاً رفيعاً[2] .

---

[1] د.ابراهيم بيضون، المصدر السابق، ص٣١.

[2] الأزرقي، أخبار مكة ١/١٠٩.

ولما كانت مكة بواد غير ذى زرع فقد وهب الله أهلها عوضاً عن ذلك، الرزق في التجارة، فبرعوا فيها أيما براعة، واشتهر أمر تجارة قريش في بلاد العرب وغيرها، وحملت تجوب وسط بلاد العرب وشماله وجنوبه، ووطئت أقدامهم أرض فارس والروم والحبشة، وفلسطين، ومصر[1] ، وذلك منذ عهد قصى بن كلاب، الذى كان قد تزوج حُبى بنت حُلَيل الخزاعى، واسترد من خزاعة الولاية على البيت[2] وكانت أم قصى بن كلاب، هى فاطمة بنت عمرو بن سعد بن سيل، من أزد السراة، وهى أيضاً أم أخيه زهرة بن كلاب[3] كانت التجارة هى البديل لمواجهة تصحر الأرض، وقلة المزروعات، وقد نجحت قريش في القيام بتلك المهمة نجاحاً ملحوظاً، في الوقت الذى أصيبت فيه طرق المواصلات البحرية، والبرية، قدرتها على نقل البضائع التى تحتاجها دول الغرب من الشرق، أو بالعكس، وذلك بسبب الحروب المتواصلة بين الفرس والروم، ودخول الحبشة جنوب الجزيرة[4] .

وأصبحت مكة وما في حوزتها من مدن وبوادى ملتقى القادم من الشمال والجنوب والوسط، ومما ساعد على نمو التجارة وأزدهارها وجود

[1] د.ابراهيم بيضون، المصدر السابق، ص٥٣.
[2] الأزرقى، المصدر السابق ١/١٠٥.
[3] الأزرقى، المصدر السابق ١/١٠٤، والبدء والتاريخ للمقدسى ٤/١٢٤، ٥/٥، وابن الأثير ٢/٣٤.
[4] د.ابراهيم بيضون، المصدر السابق، ص٣١.

أسواق في المنطقة، يفد إليها التجار من كل أحياء بلاد العرب، وبخاصة تلك التي كانت تعقد في الأشهر الحرم، كسوق عكاظ.

كما كان من أشهر تلك الأسواق: سوق مجَنّة، وكانت بأسفل مكة لبني كنانة، وسوق حُباشة، وكانت للأزد وكنانة في السراة، وسوق ذي المجاز، وكانت لهذيل بالقرب من عرفه[1] وسوق نجسران، وسوق الجريب بتهامة[2] كما أسهمت المرافئ التي كانت على ساحل البحر الأحمر في ازدهار تلك التجارة يومذاك، بنقلها إلى الحبشة، وبلدان الساحل الافريقي، وكان من أشهر تلك المرافئ، مرفأ الشعيبة[3] قبل أن تتخذ جدة مرفأ رئيسياً للمنطقة في عهد الخليفة عثمان بن عفان ــ رضي الله عنه ــ[4]

وإذا أردنا تحديد الاتجاه العام للخطوط التجارية المتشعبة من مكة شمالاً أو جنوباً، فسنجد أن طريق القوافل في اتجاهها جنوباً، كان يمثل امتداداً شبه طبيعي لنفوذ مكة، حيث يمر بقبائل تربطها بها صلة قرابة، أو تحالفات، وفي نفس الوقت فإن تلك القبائل تُكنّ لقريش درجة لابأس بها من التوقير والتبجيل[5] فكانت التجارة تمر بأرض قبائل المنطقة، فيحافظون

---

[1] د.السيد عبد العزيز سالم المصدر السابق،ص٢٩٣، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لتقي الدين محمد بن أحمد الفاسي ٢/٢٨٢.

[2] الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٤٨،٣٣٢.

[3] تقع الشعيبة جنوب جدة، وتبعد عنها مسافة مرحلتين أي حوالي ٢٤ كيلو متر تقريباً.

[4] الأزرقي، المصدر السابق ١/١٥٧.

[5] د.ابراهيم بيضون، المصدر السابق، ص٦٥.

عليها، ويبيعونهـا، أو يشترون منها ماتحمله، أو يحمّلونها ما لديهم من سلع، دون كراء، ليبيعوه لهم في الأسواق[1] وغالباً ماكانت القافلة تسلك في طريقها إلى صنعاء مثلاً: تهامة الحجاز، حيث الآبار والعيون، ثم تعرج على السراة، ثم إلى بطن السراة شرقاً، فإلى تبالة وبيشة وجرش، ثم إلى صعدة وصنعاء، أو عدن وبقية المدن التجارية الشهيرة[2] وكان للمكيين وكلاء في البلدان الرئيسية التي يمرون بها في المنطقة كتبالة، وجرش، ونجران[3] .

وكانت تتوزع في المنطقة ـ بتهامة الحجاز، والسراة، ونجران، والبوادي ـ قبائل شتى لكن يجمعها ولاء أو تحالف، كبطون من قريش، وقبائل: كنانة، وأسد بن خزيمة، وهذيل، وهوازن، وقبائل الأزد، ببطونها العديدة: بنو بارق، وبنو العتيك، وبنو شمهيل، وبنو الحجر، وبنو المنو، وبنو عدنان، وقرن، وماسخه، وشب، وثمالة، وبارق، وغامد، وزهران، ودوس، وألمع[4] وغيرهم كثيرون، وأيضاً أبناء العمومة خثعم وبجيلة، فمن بجيلة: بنو قسر، وبنو أحمس، وبنو قتيان، وبنو واقد، وجشم، وكان منهم الصحابي جرير بن عبد الله بن جابر، البجلي[5] ، الذي قدم على الرسول

---

[1] الطبري ٣٦٨/٢، وطبقات ابن سعد، ج١، ص٧٨.

[2] د.إبراهيم بيضون، المصدر السابق، ص٦٥،٦٦.

[3] د.السيد عبد العزيز سالم، المصدر السابق، ص٣٠٥.

[4] جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص٤٧٣،٤٧٤.

[5] ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة ٢٣٢/٥.

ﷺ مُسْلِماً، فقال له النبي ماجاء بك؟: قال: جئت لأسلم، فألقى إليه الرسول ﷺ ، كساءه، وقال: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه، وروى عنه أنه قال: ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم[1] وكان جرير جميلاً وضيء الوجه، حتى قال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: جرير يوسف هذه الأمة، وقدمه عمر رئيساً على جميع بجيلة في حروب العراق، وكان له أثر عظيم يوم القادسية[2] وسوف نأتي على جهوده في خدمة الإسلام فيما بعد.

أما بطون خثعم: فبنو ناهس، وشهران، وراشد، ومن فروع شهران بنو عُمَيس، رهط أسماء بنت عميس، زوج جعفر بن أبي طالب، والتي رافقته في الهجرة إلى الحبشة، وأختها سلمى بنت عميس زوج حمزة بن عبد المطلب، رضي الله عنهم جميعاً[3] .

كما كان بالمنطقة قبائل حكم آل عبد الجد من سعد العشيرة، ومن بني نهد، وجرم، ويام، وبني الحارث بن كعب، ووادعة، وحاشد وبطون من عنز بن ربيعة[4] وغيرهم كثيرون تجمعهم بعضهم مع بعض روابط قربى ومصاهرة، وولاء، وتحالفات وتهوى أفئدتهم للحرم، ويقرون لذلك بنفوذ مكة، ويجلون قريش لولايتها البيت، ويوادعونها ولا يرمونها بشر

---

[1] رواه البخاري. ورواه ابن حجر في ترجمة جرير في الإصابة ٥/٢٣٢.

[2] الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٥/٢٣٢.

[3] جمهرة أنساب العرب، ص٣٩٠،٣٩١.

[4] الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٥٣-٢٦٢،٣٥٥.

إلا فيما ندر، وربما يظهر ذلك بصورة واضحة في حادث الفيل، الذى وافق وقوعه العام الذى وُلِدَ فيه الرسول ﷺ [1]، ونالت به قريش شرفاً على شرف.

فقد وجد أبرهة الأشرم، بعد أن استقر له الأمر في اليمن، أن العرب يحجون في كل موسم إلى الكعبة بمكة، وأنهم يوقرونها، فبنى كنيسة في صنعاء ليُحَوِل حج العرب إليها، وأطلق عليها اسم " القُلّيس"، ويقال: إنه لم يُرَ مثلُها في زمانها، لكثرة ماأنفقه في بنائها، وكتب إلى النجاشى ملك الحبشة: إنى قد بنيت لك كنيسة لم يُرَ مثلها، ولست بمنته حتى أصرف إليها حاجّ العرب[2] ولما فرغ من بنائها بعث البعض يسيرون في أحياء العرب يدعونهم ليحجوا إلى البيت الذى بناه أبرهة، فانطلق أحدهم حتى نزل بأرض كنانة في تهامة، وبلغ أهل تهامة أمره، وما جاء له، فبعثوا له رجلاًمن هذيل يقال له: عروة بن حياض الملاصّ، فرماه بسهم فقتله[3] فغضب أبرهة عندما بلغه ذلك، ثم ما لبث أن ذهب رجلٌ من النُسأة[4] من فُقَيْم من مالك من كنانة، متسللاً إلى "القُلّيس" وتغوّط فيه، ولما عرف أبرهة سأل عمن فعل ذلك قالوا له: إنه رجل من العرب، من أهل البيت

---

[1] في كتاب البدء والتاريخ ٤/١٣١: ولد النبى ﷺ، بعد قدوم الفيل بخمسين ليلة، وكان مولده يوم الأثنين لثمان ليالٍ خلون من ربيع الأول، وقيل: لاثنى عشر يوماً، وكان ذلك يوافق عام ٨٨٢ للتوقيت الرومى، وعام ٤٤ من ملك أنوشروان، وعام ٢١٦ من تاريخ العرب الذى أوله حجة الغدر.

[2] ابن الأثير ٤٤٢/١، والطبرى ١٣٠/٢، والأزرقى، ج١، ص١٣٧-١٤٢، وسيرة ابن هشام ٤٥/١.

[3] الطبرى ١٣١/٢.

[4] النَّسأة: هم الذين كانوا يؤخرون الأشهر الحرم عن موعدها، لحاجتهم إلى شن الغارات، وطلب الثارات.

الذى تحجه العرب بمكة، فاشطاط غضَباً، وآلى على نفسه أن يهدم الكعبة. وأمر بالتجهيز والمسير إليها، وتحدثت العرب بمسيره وعزمه وذلك عام ٥٧٠م تقريباً. ورأوا أن جهاده ومنعه من الإقدام على ما عزم عليه هو حق عليهم، فكان أول من خرج إليه رجل من بيوتات اليمن يقال له: ذو نفر، ومعه بعضٌ من أهله ومن تجمع إليه من العرب، وواجه أبرهة عقب خروجه من صنعاء، لكن أبرهة تغلب عليه[1] ثم اتجه أبرهة صوب مكة، متخذاً الأدلاء الذين يسلكون به أسهل الطرق والمسالك، حتى إذا نزل بأرض خثعم، وكانت في ذلك الوقت بأعراض نجد، جنوب َبيشة، وظهر تبالة[2] فقاد نُفيل بن حبيب الخثعمي، جموعاً من قبائل المنطقة، التي ثارت حفيظتها على أبرهة، واشتبك معه في قتالٌ غير متكافئ الكفتين، فتغلب أبرهة، وأخذ نفيل أسيراً، وجعله دليلاً له في بلاد العرب[3] ثم انطلق حتى وصل الطائف، ومنها نزل إلى المُغَمَّس[4] ومات عنده أبو رُغَال دليله في الطريق منذ خرج من صنعاء. ثم بعث الكتائب تغير على مكة، فساقت ضمن ما ساقت إبلاً لعبد المطلب بن هاشم. تتجاوز مائتي بعير، وكان عبد المطلب ورؤساء قريش، وكنانة، وخزاعة، وهذيل قد هموا بمحاربة أبرهة، لكنهم تراجعوا وقالوا لا طاقة لنا بحربه، ثم ذهب وفد منهم، فيهم

---

(1) ابن الأثير ٤٤٢/١، والأزرقي ص١٤١.

(2) معجم ما استعجم١/٩٠، وصفة جزيرة العرب ص٢٥٨.

(3) الطبرى ١٣٢/٢، وابن الأثير ٤٤٣/١، والأزرقي ١٤٣/١، وسيرة ابن هشام ٤٨/١، وقصص الأنبياء المسمى: "عرائس المجالس" للنيسابورى، أحمد بن محمد، الثعلبي ص٣٩٧.

(4) المغمس: يمنى عند رمى الجمرات، والجمرة الكبرى موضع قبر أبي رغال، كما يقال.

عبد المطلب بن هاشم لمفاوضة أبرهة في الرجوع عن بلدهم، وحرمهم، لكنه أبى، فسأله عبد المطلب إبله .. وقال له ـ عندما تعجب أبرهة من سؤاله ـ: أما الإبل فهي لي، وأما البيت فله رب يحميه .. هذا بيت الله، والله يمنعه. ثم عادوا إلى مكة على أن يتركوها له .. وقام عبد المطلب يطوف بالبيت، ثم أمسك بحلقة باب الكعبة وقال:

يارب إن المرء يمنع رحـ ... ـلـه فامنع حِلالَك

لايَغلِبَنَّ صليبُهم ... ومِحالهم غَدْواً مِحالَكْ

إن كنتَ تاركهم وقِبْـ ... ـلَتَنا فأمْرٌ ما بدا لكْ

ولئن فعلتَ فإنه ... أمرٌ يَتمُّ به فعالك [1]

ثم مالبث أن نزل بأبرهة ما نزل من هلاك، هو وجيشه .. بما أرسله الله عليه من جند مهيأة على صورة طير أبابيل[2] ولعظم شأن هذا الحدث ولمدى حفظ الله لبيته من أي عابث به، أنزل الله في كتابه سورة الفيل للعبرة، والقصة مشهورة في كتب التاريخ.

---

[1] هذه الأبيات وغيرها وردت في كثير من المراجع الأصلية، كالطبري، وابن الأثير، وسيرة ابن هشام، وبلوغ الأرب، والأزرقي وغيرها، وكذلك وقائع تلك الأحداث بما فيه اختلاف في بعض الروايات، وأوردناه بتصرف.

[2] ابن الأثير ١/٤٤٤، والطبري ٢/١٣٢، والأزرقي ص١٤٥، والأوائل لابن هلال العسكري ١/٥٨.

**وبتحليل وقائع هذا الحادث نلحظ الآتي :**

– أن العرب على اختلاف نحلهم ومعتقداتهم كانوا يُجلُّون البيت الحرام، وأن قَتْلهم داعية أبرهة فيهم بالحج إلى "القُلَّيْس"، وتصدى كل من ذي نفر الحِمْيَري، ونُفَيل الخثعمي، بمن التف حولهما من العرب دليل هذا الاجلال.

– أنه حين سأل عمن تجرأ وفعل مافعل في القُلَّيس، قالوا له: إنه رجل من العرب ممن يعظمون البيت الذي بمكة؛ فقال: لن أنتهي حتى أهدمه[1] فهذا الحوار يعطي مؤشراً بأن هناك طائفة من العرب لم تكن تخضع لرئاسته، ولاتدين له بالولاء والطاعة، وأن أرضهم التي يقيمون عليها خارجة عن نفوذه، وأنه لم يكن يدري عنها شيئاً، رغم أنه كان قد أقام فترة بتهامة اليمن، واتخذ مدينة "الجَنَد"[2] قاعدة له خلال نزاعه وحروبه مع أرياط قائد جيش اليمن السابق، ولما تغلب على أرياط ذهب إلى صنعاء، واتخذها قاعدة لحكمه، وكونه اتخذ أدلاء من العرب ، فهذا يؤكد أنه لم يكن يعرف عنها شيئاً، وأنها لم تكن تدين له بالطاعة، وكانت خارجة عن دائرة نفوذه وسيطرته، وأنه لم يفرض هيمنته

---

[1] هذا الحوار، وغيره من تفاصيل الحدث ورد في المراجع السابقة، وفي الصفحات المشار اليها أو فيما بعدها فليرجع إليه من أراد.

[2] مدينة "الجند" بتهامة اليمن، شرقي مدينة تعز بمسافة فرسخين تقريباً، وكانت فيما سبق تعد قاعدة إقليم تهامة اليمن، وبعد فترة تحولت الشهرة إلى عدن فأصبحت القاعدة.

إلا على الأجزاء التى كانت خاضعة لنفوذ الحكام السابقين الذين تغلب عليهم، وأنه سار في حملته هذه سير الغزاة لجيرانهم.

ولذا يقول الدكتور صالح العلى: "إن أبرهة إذا كان قد بنى كنيسة نصرانية في اليمن ليأتيها النصارى، فهو لايستطيع إجبار المشركين على زيارة الكنيسة النصرانية، وإذا كان قد فعل ذلك فإن نطاق أمره ينحصر في اليمن، وهى البلاد التى يحكمها، ولايمتد نفوذه إلى غيرها من المناطق، فمكة لاتغتاظ من إنشاء كنيسة نصرانية، لأن مركزها الدينى لا علاقة للنصارى به، كما أنه ليس لأبرهة سلطة عليها، فضلاً عن أن هناك عدة بيوت مقدسة لم يرد في التاريخ خبر استياء مكة منها، فلماذا تستاء من القلّيس"[1] ونضيف بأن ما آثار حفيظة ذلك الذى ذهب إلى القليس، وتغوّط فيها، هو ما أذاعه أبرهة من أنه بناها ليحَوّل حج العرب إليها، وبعث منادين في أحياء العرب بذلك، بينما هؤلاء العرب لا يخضعون لنفوذه ولا سيطرته .. ولولا ذلك لما أثيرت الحفائظ، فقد كانت بنجران كنيسة قبلُ، وبعدُ، و لم يثبت أن أحداً أساء إليها، أو إلى أهلها بشئ. وكان يطلق عليها أحيانا "كعبة نجران"[2] . وقد وردت بهذا المسمى في شعر الأعشى[3] .

---

[1] انظر محاضرات في تاريخ العرب ١/٢٦٠ للدكتور صالح أحمد العلى.

[2] القزوينى، أخبار البلاد والعباد ص١١٢٦.

[3] الأغانى للأصفهانى ١٠/١٣٥.

- أن عبد المطلب بن هاشم حين خرج إلى أبرهة بالمُغَمَّس، خرج معه عمرو بن نفاثة بن عدى من كنانة، وهو يومئذ سيد كنانة، وخويلد بن واثلة الهُذَلى، سيد هذيل ففاوضوا أبرهة في الرجوع عن عزمه، وعرضوا عليه إعطاءه ثلث أموال تهامة، مما يخرج من نتاج أرضها، على أن يرجع عنهم ولايهدم البيت، لكنه أبى[1] وهذا دليل واضح على أن أرض تهامة الحجاز لم تكن خاضعة له، وليست ضمن نفوذه، وإلا فكيف يعرضون عليه نتاج أرض يبسط نفوذه عليها!؟ ففيه عندئذ إثارة له وسخرية به.

- كما نلاحظ أن ابنه يكسوم، الذى خلفه في الحكم، لم يحاول إعادة الكرة، ولو من قبيل العمل على إعادة سمعة أبيه، وتأكيد هيبتهم في نفوس العرب، و لم يرد له أى أثر في المنطقة، كرد فعل لما وقع لأبيه، مع أن حكمه استمر عشرين عاماً، كانت غاية في الظلم والفساد، وكذلك أخوه مسروق الذى تولى الحكم بعده، لكن منطقتنا ظلت بعيدة عن أى نفوذ حبشي أوغيره، كما هو شأنها في السابق. كما لم تتأثر بعقيدتهم المسيحية وإنما ظلوا يمارسون عقيدتهم الشركية التى جاء الإسلام وهم عليها.

---

[1] الطبرى ٢/١٣٤، والأزرقى ١/١٤٥.

وحتى نجران التى كان الحادث الذى وقع فيها سبباً في مجيء الحبشة إلى اليمن، ظلت بعيدة عن هيمنة الأحباش فقد حكمها ذو ثعلبان، الذى استنجد بالحبشة[1] .

ويرجع البعض دوافع أبرهة للقيام بحملته هذه إلى دوافع سياسية بهدف التحرك لمحاربة الفرس، بإيعاذ من الروم، أو بأمر من نجاشي الحبشة[2] ويُرَدُّ بأن طريق أبرهة إلى فارس كان أقرب لو أنه عبر الخليج، بدلاً من قطعه بلاد العرب من جنوبها إلى شمالها الشرقي، وتعريض نفسه وجيشه لمخاطر الصحراء، كما يعلل البعض الدوافع بأنها كانت اقتصادية بغرض ضرب تجارة قريش، والاستيلاء على خط التجارة البرى الموازى للبحر الأحمر[3] وتُرَدُّ هذه المقولة بأنه كان بمقدوره منع تجارة قريش من دخول اليمن، أو التدخل لمنعها من الوصول إلى أرض الحبشة، لكن ذلك لم يحدث، فقد استمرت علاقتهم مع الحبشة وملكها منوطة بالاحترام والتقدير، وازدهرت قبيل الإسلام .. وكان كثير من الصحابة روّادها في الجاهلية. واستمرت علاقة رؤساء القبائل في وسط شبه الجزيرة، ببيوتات إخوانهم من أهل اليمن، وطيدة، وليس أدل على ذلك من ذهاب وفود العرب لتهنئة سيف بن ذى يزن بعودة المُلْك إليه، فقد خرج وفد قريش وعلى رأسه عبد المطلب، ووفد من ثقيف، ووفد من عجز هوازن ــ وهم

---

[1] المعارف، لابن قتيبة، ص٦٣٧.

[2] د.جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام ١٦٧/٤.

[3] د.صالح أحمد العلي، المصدر السابق ٢٦٠/١-٢٦١، ود.ابراهيم بيضون، المصدر السابق ص٥٩.

بنو نصر، وجشم، وسعد بن بكر ــ ووفد من عدوان، وفَهْم، ووفد من الأزد، ووفد من غطفان، ووفد من تميم، ووفد من أسد، ووفد من قبائل قضاعة[1] وغيرهم. وهذا دليل على حب قبائل وسط الجزيرة العربية لبيوتات اليمن وحكامها، ذلك الحب غير المشوب بالهيمنة والسيطرة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض المؤرخين حين يحللون الوقائع التاريخية بحثاً عن أسبابها يُرجعون المسببات فيها إلى أسبابها الطبيعية، أو المعلول إلى علته العادية، دون النظر إلى خوارق العادات، وهم بذلك يقَعون في خطأ لإغفالهم الجانب الأساسي في تسيير حركة الكون، فمدارك الإنسان مهما ارتقت قاصرة عن الفهم والإحاطة بكافة أسراره، فهناك خوارق للعادات المألوفة لدى البشر، وهي أبعد من مدارك الإنسان، ويعجز العقل عن إيجاد تفسير لها، وعندئذ ينبغي عليه أن يَرُدَّها إلى القدرة والحكمة الإلهية التي تُسَيِّر الكون، لأنها من صنعه سبحانه وتعالى، وتفوق ما تعوده الناس وألفوه من تأثير الأسباب في مسبباتها .. نقول ذلك لأن البعض قد ربط ما أصاب أبرهة بالطير الأبابيل، بظهور وباء الحَصْبة والجُدَري، وانتشاره في بعض البلدان: كبيلوز عام ٥٤٤م، والقسطنطينية عام٥٦٩م، وأن الحجارة الصغيرة التي حملتها الطير، كانت عبارة عن نوع من الطين المختلط بذرات رملية، حملتها الطير من منطقة مَحْشُورة ــ أي

---

[1] الأزرقي ١٤٩/١.

مصابة بوباء الجدري ــ إلى مكان جيش أبرهة، ثم تساقطت عليهم تلك الحجارة[1] .

وهذا القول في مضمونه يعني أن رَدّ أبرهة عن البيت، ومن ثَمَّ هلاكه، ليس بمعجزة إلهية، وإنما بسبب طبيعي!!، وهو رأي لاقيمة له، لكن خطره في نقله دون تحليله لبيان ضعفه ووهنه، ودعونا نتساءل: لماذا طارت تلك الطيور المتكاثرة، وأقبلت من مسافات بعيدة، حاملة تلك الحصاة الملوثة بوباء الجدري، و لم تسقط من أرجلها إلا على أم رأس أبرهة وجيشه؟! بينما أهل مكة جميعاً قد تركوا بيوتهم، وخرجوا في الشعاب ورؤوس الجبال، ينظرون ماذا يفعل أبرهة بالبيت العتيق، وبلدهم الآمن بأمان الله، منذ دعوة ابراهيم الخليل عليه السلام[2] ، ولماذا لم يضل أحد هذه الطيور طريقه ويذهب إلى بعض أهل مكة ــ وهم على مقربة ــ فيرمي عليه ما يحمله، فيصاب مثلما أصيب أبرهة وجيشه، ثم تنقل الأخبار والروايات ذلك؟! بل لماذا ذهب أثر تلك الجرثومة من الحصاة بمجرد سقوطها، و لم يستمر عالقاً فيها إلى أن أقبلت قريش تتفقد المكان وتنظر مخلفات المهزوم، فتصيب كلَّ من وطئها بقدمه، وينتشر الوباء فيهم؟! .. لماذا .. ولماذا .. لاشك أنه رأي سقيم، ومثله من يبرر نجاة موسى عليه

---

[1] انظر د. السيد عبد العزيز سالم: المصدر السابق ص٢٤١، فيما نقله عن الأستاذ يوسف أحمد، في كتابه المحمل والحج، المطبوع في القاهرة عام ١٩٣٧م.

[2] وذلك في قوله تعالى: " وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا" سورة ابراهيم آية ٣٥.

السلام، وخروجه إلى الشاطئ المقابل، وهلاك فرعون، بعملية المد والجزر في البحار!. وغير ذلك.

وأيا كان فإن تلك الحادثة قد زادت البيت هيبة وإجلالاً في نفوس العرب، ورفعت من شأن قريش، حتى أطلق عليهم: أهل الله، وأهل حرم الله[1] ولا ريب أن هذا كله كان تمهيداً وإرهاصاً لأن يُبعث النبي ﷺ، منهم فيجيئ بالإسلام الذي أعزّ الله به العرب كافة وجعلهم إخوة متحابين.

ومن المناسب هنا الإشارة إلى معلومة تعتبر على جانب من الأهمية، ربما ترفع الإبهام أو الخطأ الذي يقع فيه البعض، وهي أن جسم الكعبة يتكون من أربعة جدران، وأربعة أركان، كل ركن يقع في جهة من الجهات الأربع ـ الشرق والغرب، والشمال والجنوب ـ ولها واجهة وهي التي بها باب الكعبة والملتزم، والمقابل لهذه الجهة يعتبر الخلف لها.

يقول الأزرقي نقلاً عن ابن اسحاق: إن الخليل ابراهيم ـ عليه السلام ـ لما بنى البيت جعل طوله في السماء (أي الارتفاع إلى أعلا) تسعة أذرع، وعرضه (أي البيت) اثنين وثلاثين ذراعاً، من الركن الأسود (الأسعد) إلى الركن الشامي، من وجهه[2] ( أي من وجه البيت) ومن هذا يتضح أن للكعبة وجهاً، وهو الذي به بابها والملتزم وأمامه مقام ابراهيم،

---

[1] ابن الأثير ٤٥١/١، ٤٥٢، والأزرقي ١٥٢/١، والأوائل ٦١/١.

[2] أخبار مكة ٦٤/١، وشفاء الغرام للفاسي ١١١/١، وأيضاً: حسين عبد الله باسلامه، تاريخ الكعبة ص٤١.

وما يقابله هو الخلف، ولها يمين: وهو الجدار فيما بين الحجر الأسعد حتى الركن اليماني، ولها شمال: وهو الجدار المقابل الملاصق لحِجْر اسماعيل، وهذا بالتقريب، لأن المقابل لليمن هو الركن اليماني، والمقابل للشام هو الركن الشامي.

وقد تعارف العرب قديماً، وربما منذ عهد الخليل ابراهيم ـ عليه السلام ـ على إطلاق اسم اليمن على كل مايقع جهة يمين الكعبة، والشام على كل مايقع جهة شمالها .. وذلك بدلاً من أن يقولوا يميناً وشمالاً، فكانوا يقولون: يَمَناً وشَاماً.

يقول الأزرقي: لما انتهى ابراهيم ـ عليه السلام ـ من بناء الكعبة أمره الله أن يؤذِّنَ في الناس بالحج، فقال: يارب ما يبلغ صوتي؟ قال الله سبحانه: أذِّن وعليَّ البلاغ، فعلا المقام (أي مقام ابراهيم) وأدخل أصبعيه في أذنيه، وأقبل بوجهه يمنا (أي جهة اليمن) وشاماً (أي جهة الشام) مؤذناً في الناس بالحج ..[1] فكانوا يقولون لكل من اتجه جنوباً: ذهب إلى اليمن، حتى لو كان منتهى وجهته، وغاية ذهابه، هي أرض تهامة الحجاز، والسراة، ونجران .. وكذلك الحال بالنسبة لمن اتجه شمالاً، وبهذا أيضاً يعلل بعض المؤرخين إطلاق اسم اليمن عليها، لكونها تقع يمين الكعبة[2] وشاع

---

[1] أخبار مكة ١/٦٧.

[2] انظر مراصد الاطلاع للبغدادي ١٤٨٣/٣، ولم يصب ياقوت الحموي في قوله إن الكعبة ليس لها يمين ولا يسار، انظر ٥/٤٤٧.

هذا التعارف بين المؤرخين في كتاباتهم من أن اليمن اسم جهة، حتى أنهم كانوا يطلقونه على أجزاء الأرض التي تقطنها القبيلة الواحدة، إذا ما تفرعت إلى فروع، وانحاز كل فرع بجهة من الأرض، فيقولون مثلاً: آل فلان تيامنوا، وآل فلان تشاءموا .. أي جهة اليمن، وجهة الشام، بدلاً من كلمتي: جنوب، وشمال. يقول الهمداني، عند وصفه بلد وادعة النجدية: ... ووادي عَرَد، ووادي نجران، فإلى جبل شوك .. والذي تشاءم في هذه البلاد، وخالط: شاكر الجناحر ..[1] ويقول القزويني، عند حديثه عن تفرق الأزد عند انهيار سد مأرب: كانوا عشرة أبطن، ستة منهم تيامنوا .. وأربعة تشاءموا [2] بدلاً من أن يقول شمالاً وجنوباً ومعروف أن الذين تيامنوا لم يقيموا جميعهم بأرض اليمن، وإنما ذهب فريق إلى عمان، وأيضاً الذين تشاءموا لم يذهبوا إلى الشام جميعهم، وإنما منهم الأزد الذين أقاموا بالعراق، والأوس والخزرج الذين اختاروا يثرب، وطيء الذين أقاموا بجبلي أجا وسلمى وغيرهم، ومما يؤيده ما قاله يهود يثرب لمحمد بن مسلمة قبيل البعثة، من أنه يبعث نبي من قبل اليمن[3] . فمن قِبَل اليمن، أي من جهة اليمن بالنسبة ليثرب، وأنه يأتي بالحنيفية، فمكة المكرمة التي بعث النبي ﷺ منها هي في جهة اليمن بالنسبة لأهل يثرب، ومن المؤكد أنه ليس

---

(1) صفة جزيرة العرب ص٢٥٠، وانظر أيضاً اليمن الخضراء ص١٧٥، فقد جاء فيه: .. يقال عولان الشام للاحتراز عن عولان التي تسكن الجنوب.

(2) آثار البلاد وأخبار العباد ص٤١، وأيضاً انظر مراصد الاطلاع للبغدادي ١٤٨٣/٣.

(3) انظر المغازي للواقدي، ٣٦٧/١.

مقصودهم حين قالوا ذلك لمحمد بن مسلمة، هو أن النبي المنتظر سيبعث من أرض اليمن نفسها.

من هذا يتضح المراد من قولهم: ذهب إلى اليمن، أنه ليس بالضرورة أن تكون قدماه وطئت أرض اليمن. وإنما اتجه صوبها فقط .. فإن رغبنا تحري ذلك تتبعنا خطى الذاهب، فإن وجدناه دخل إحدى بلدانها، أو التقى بإحدى القبائل المتوطنة بها عرفنا أنه دخل أرضها ..

ومن الأسلوب الذى شاع استعماله بين العرب أنهم كانوا يطلقون عبارة "أهل اليمن"، أو اليمانية على القبائل التى تعود في نسبها إلى قحطان، بصرف النظر عن تواجدهم على أرض اليمن نفسها، أو غيرها من البقاع في شبه الجزيرة العربية، ومن يتتبع حركة الفتوحات الإسلامية يلحظ أن المؤرخين عند تدوينهم لها، يستعملون هذه العبارة لوجود قبائل من أهل اليمن في الشام، والعراق، وخراسان، ومصر وغيرها .. وقد جاء في عهد رسول الله ﷺ إلى صاحب أيلة ـ على حدود الشام ـ عندما قدم إلى الرسول ﷺ بتبوك، ليعلن إسلامه، فكتب له كتاب صلح جاء فيه: .. هذا أمان من الله ومحمد النبى رسول الله إلى يوحنا بن رؤبة، وأهل أيلة، أساقفتهم، وسائرهم .. ومن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمن[1]، أي القبائل المقيمة بتلك البلاد، والتى تعود في نسبها إلى قحطان .. وقحطان كانت مواطنهم الأصلية هى بلاد اليمن.

---

[1] المواهب اللدنية ٢/١٥٢.

كما نلحظ أن البعض من أبناء عدنان كان يخاطب الأنصار ــ الأوس و الخزرج ــ: أنتم يابني قَيْلة[1] ، وليس ذلك من قبيل الاستهجان بهم، وإنما من قبيل التكريم ، وهذا لايعني بالتأكيد إضافة البقاع التي انتقلوا إليها في هجراتهم المتتالية إلى أرضهم الأصلية، وهي اليمن .. بقدر مافيه إشارة إلى الموطن الأصلي لهم ..

وعموماً فعلينا تتبع ما دوّنه قدامى المؤرخين المنصفين الذين نشطوا في تدوين تاريخ الإسلام منذ انبثاق فجره، بمنهج الإسناد عن الرواة، عند ذكرهم الأخبار، وبالأسلوب الذى شاع بين العرب، أو تعرفوا عليه، ثم نتتبع جزئيات الحوادث، وحركة مسيرتها، ممعنين النظر لتحليلها، وإدراجها في كليات، حتى لانقع في وهم نبني عليه نتائج خاطئة، أو نرسل القول بغير دليل.

وعلى كل فإن الملامح والشواهد في عصر ماقبل الإسلام تؤكد ارتباط قبائل المنطقة بمكة، وهو بالتأكيد ليس ارتباط سيطرة وهيمنة، وإنما ارتباط ولاء روحي ووجداني للبيت العتيق، بالإضافة إلى المصالح المتبادلة في التجارة وغيرها. ولقد تأكد هذا الارتباط في ظل الإسلام.

---

[1] قيلة ـ بفتح القاف وسكون الياء ـ هي أم الأوس والخزرج ابني حارثة بن ثعلبة.

# الباب الثالث

## حالة شبه الجزيرة العربية عند ظهور الإسلام

### ١ –موقف القبائل العربية من الإسلام :

كان مجتمع وسط الجزيرة العربية ـ سواء أهل المدر أو الوبر ـ يسوده غالباً التشاحن والتنافر، والقتل والنهب، وينزع إلى عدم الخضوع إلى أية سلطة مدنيه تكون قيداً على تصرفاته، فيما عدا سلطة ذوى المكانة والرئاسة فيهم من بنى أبيهم، بالاضافه إلى تفشى الوثنية فيه، وتساوت دواعى العصبية في الحق، وفي غيره، وتجمعت فيه محاسن الفضائل وأضدادها، ولعل أبلغ وصف لحالة العرب فى ذاك الوقت هو ما وصفهم به جعفر بن ابى طالب، حين طلب منه النجاشى ملك الحبشة، أن يحدثه عن الدين الذى فارقوا من أجله دين آبائهم واتبعوه، فقال جعفر ــ وقد أجمع على يَصْدُقَه فيما ساءه وسره ــ: أيها الملك، كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه، وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا لتوحيد الله، وألا نشرك به شيئا، نخلع ما كنا نعبد من الأصنام، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانه، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وأمرنا بالصلاة، والصيام .. وعدد عليه

أمور الإسلام .. ثم قال: فعدا علينا قومنا فعذبونا، وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان. فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك[1]

ومع أنه كانت هناك إرهاصات توحي بقرب ظهور نبي، يعيد الناس إلى الحنيفية السمحة، دين الخليل إبراهيم ــ عليه السلام ــ، وكان أهل الكتاب في ترقب لبعثه، ويظنون كل الظن أنه منهم، فلما جاء من العرب حقدوا عليه وعليهم، وناصبوه العداء، إلا قليلاً منهم، وكذلك كان شأن حكماء العرب الذين ضاقت صدورهم بالوثنية، ونفذت بصيرتهم إلى ما هو أسمى وأجل، كانوا يتطلعون إلى هاد يهدي الناس إلى عبادة الإله الحق، وذلك مثل ورقة بن نوفل ابن عم خديجة أم المؤمنين، وزيد بن عمرو بن نوفل، ابن عم عمر بن الخطاب، وأمية بن أبي الصلت، والبعض حرم على نفسه الخمر كعبد المطلب بن هاشم، وابنه أبي طالب[2] والوليد بن المغيرة، وقيس بن عاصم التميمي، وغيرهم، من ذوي النظرة الثاقبة.

وكان من المنتظر أن تكون قبيلة قريش أول القبائل إيماناً واتباعاً لما جاء به محمد ﷺ ولو بدافع العصبية التي استشرت في نفوسهم، فجنحت بهم عن الحق أحياناً. لكنه دين بما يشتمل عليه من عقيدة، وعبادة،

---

[1] الكامل لابن الأثير ٢/٨٠، والطبري ٢/٣٢٩، والسيرة الحلبية ٢/٣١.

[2] السيرة الحلبية ١/١٨٤، والأوائل لأبي هلال العسكري ١/٨٣، والجمهرة ص١٥٠.

وتشريع يصلح للبشرية جمعاء لا مجال فيه للعصبية، والعاطفة، والقرابة، والرحم، إلا بحق .. ولذا خاطب الله نبيه بقوله ﴿إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء﴾[1] ﴿فإنما عليك البلاغ﴾[2] وتحددت فيه المسئولية الفردية ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾[3] كما تحددت أيضا المسئولية الجماعية ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾[4]

وفى قول الرسول ﷺ : كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته[5]

عادته قبيلة قريش بما لم تعاده قبيلة أخرى، ولا ريب أن هذا كان لحكمة أرادها الله سبحانه، وربما يكون منها القضاء على العصبية الجاهلية، التى تكون لغير الحق، فيما لو ناصرته قريش، مؤمنها ومشركها، من البداية، فهل كان يصمد المشركون من قريش أمام العرب؟ فغالب الظن أنهم كانوا لايصمدون مهما تقاربت أواصر القربى، ولكان موقفهم مثل المنافقين. أما المؤمنون منهم فقد أثبت التاريخ أنهم كانوا صادقين فى إيمانهم، وفدوه بأرواحهم وأولادهم وأموالهم، وتغير هنا عنصر الولاء إلى ما هو أسمى وأجل.

---

[1] سورة القصص، آية : ٥٦ .

[2] سورة آل عمران، آية : ٢٠ .

[3] سورة المدثر، آية : ٣٨ .

[4] سورة آل عمران، آية : ١٠٣ .

[5] رواه مسلم .

لما بُعث النبي ﷺ ، ظل ثلاث سنين يدعو سراً، ثم أمره الله بتبليغ الرسالة، والدعوة، بلا قتال[1] فلما اشتد إيذاؤهم بضعفاء المسلمين جاءه جماعة من الصحابة، منهم: عبد الرحمن بن عوف، والمقداد بن الأسود، وعثمان بن مظعون، وسعد بن أبي وقاص. فقالوا: يارسول الله كنا في عزٍ ومنعةٍ ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة، فأذن لنا يارسول الله في قتالهم؟! فقال لهم: إني لم أومر بقتالهم ، كُفوا أيديكم عنهم، واصبروا فسيجعل الله لكم مخرجاً[2] ثم لم يلبث إلا قليلاً حتى قال لهم: تفرقوا في الأرض فإن الله سيجمعكم، قالوا : إلى أين؟ قال: لو خرجتم إلى الحبشة، فإن فيها ملكا لا يظلم أحد عنده، حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه[3] فهاجروا إلى الحبشة مرتين.

وازداد سفهاء قريش في إيذاء الرسول ﷺ، ومن بقي بمكة من ضعفاء المسلمين، ودفعت الحمية بعض بني هاشم ممن لم يسلموا للدفاع عن محمد ﷺ، حتى أن حمزة بن عبد المطلب كان سبب إسلامه أن أخذته الحمية عندما علم أن أبا جهل قد آذى محمداً في بعض المرات أذى شديداً، فانطلق إليه مسرعاً، ورآه جالساً بالمنتدى مع بعض رؤساء قريش،

---

[1] نزل قول الله تعالى: "فاصدع بما تؤمر" لإظهار الدعوة، ثم نزل قوله سبحانه: "فأعرض عنهم" أي لا تقاتلهم إن آذوك أو قاتلوك، ومن معك .

[2] السيرة الحلبية ٢/٣٤٥.

[3] الكامل لابن الأثير، ٢/٧٦، والسيرة الحلبية، ٢/٣، والطبري، ٢/٣٢٨.

فضرب رأسه بالقوس الذى كان يحمله معه، فشجه شجة منكرة، وقال أتشتمه، وأنا على دينه، أقول ما يقول، فاردد على إن استطعت؟! .

وقامت بنو مخزوم تناصر أبا جهل على حمزة، لكن أبا جهل ـ وقد خشى من فرقة حزبه ـ قال: دعوا أبا عمارة فإنى قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً. ثم اندفع حمزة إلى الرسول فأعلن إسلامه[1] وظل بجوار الرسول يحميه. وقاطعت قريش بنى هاشم، لايبيعونهم، ولا يبتاعون منهم، ولا ينكحونهم ولاينكحون منهم، وكانت العير تنزل مكة بالتجارة، فيخرج أحد بنى هاشم إليها، فلا يبيعونه منها شيئاً، وإن باعوا فخفية وزيادة كبيرة فى ثمن السلعة[2] ثم توفى عمه أبو طالب وقبله زوجته خديجة، قبل الهجرة بثلاث سنين[3] وذهب الى ثقيف بالطائف يلتمس منهم النُّصرَة لتبليغ الدعوة، فلم يستجيبوا له[4] وكان يعرض نفسه فى المواسم على القبائل، التى تأتى مكة للحج، ولحضور عكاظ. علّه يجد من يحميه ليبلغ رسالة ربه، فأتى أحد بطون كندة التى قدمت إلى مكة فى موسم الحج، فدعاهم إلى الله، وإلى نصرته فأبوا، وأتى إلى بطن من بنى كلب، يقال لهم بنو عبد الله، فلم يقبلوا ما عرضه عليهم، وإلى بطن من بنى حنيفة فأعرضوا، وإلى بنى عامر فقال له رجل منهم: " أرأيت إن نحن تابعناك،

---

[1] الكامل لابن الاثير، ٨٣/٢.
[2] السيره الحلبيه ٢٥/٢، ٢٦ ، وابن الأثير ٨٧/٢ – ٩٠ .
[3] ابن الأثير ٩٠/٢.
[4] ابن الأثير ٩١/٢ .

فأظهرك الله على من خالفك ، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء، قال: أفتهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا ظهرت كان الأمر لغيرنا؟! لاحاجة لنا بأمرك[1] وأتى بنى عبس، وبنى سُلَيم وبنى مُحارب من فزارة، وبنى مرة، وعذرة، وقضاعة، وغيرهم، فكان بعضهم يقول له: آلك، وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك، وقال له بطن من بنى شيبان بن ثعلبة من بكر بن وائل، وكانوا يقيمون فى أرض السواد بالعراق، خاضعين للحيرة، نحن لانجير على كسرى، ولكن نأخذك لتظل فى بلاد العرب بالقرب من سواد العراق، وتنصرك مما يلى مياه وأرض العرب، دون مياه كسرى، فنحن لانجير عليه.[2]

ويبدو أنه كان للعرب قاعدة متبعة فى عملية الجوار، فليس كل القبائل يجير بعضها على بعض، وإذا دخلت قبيلة أو عشيرة فى أرض قبيلة أخرى وحالفتها، فإن الحليفة لاتجير على مخالفتها، لأنها تعتبر دخيلة فلا تكف يد الأصيلة، ولذا نلحظ أن بنى شيبان شرطوا فى حمايتهم له ﷺ، أنهم لايجيرون على كسرى فى الأرض الى يهيمن عليها، وتخضع لنفوذه، وهى سواد العراق، أما ما عداها من بلاد العرب فهم يجيرونه ويحمونه من أيٍّ من القبائل العربية. وفى هذا أيضا تأكيد لما سبق أن قلناه إن أرض العرب، وبالأخص وسط شبه الجزيرة لم تخضع لسلطة أيٍّ من تلك الممالك أو غيرها.

---

[1] ابن الأثير، ٢/٩٣.

[2] السيرة الحلبية ٢/١٥٤ ، ١٧٥.

ومما يؤكد قاعدة الجوار هذه أن الرسول ﷺ عندما كان في الطائف وأراد العودة إلى مكة بعث إلى سهيل بن عمرو بن عبد شمس، وهو قرشي ذو مكانة وثراء بمكة، أن يجيره حين دخوله مكة، فأجابه: إن بني عامر ـ عشيرة سهيل ـ لاتجير على بني كعب. وكانت بنو كعب لها بطون عديدة ، منهم بنو عدى رهط عمر بن الخطاب، فبعث الرسول ﷺ إلى المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف، فأجاره.[1]

ولما أراد الله إظهار دينه، وانجاز وعده، خرج النبي ﷺ في موسم الحج كعادته، يعرض دعوته ونفسه على وفود القبائل، فلقي رهطا من الخزرج، فعرض عليهم الدعوة، فقال بعضهم لبعض: هذا والله النبي الذى تتحدث عنه اليهود. فأمنوا وصدقوا، وعادوا إلى يثرب يبشرون به، حتى فشا الإسلام فيها، فلما كان الموسم التالى قدم وفد أكبر، وجلسوا إليه وآمنوا، وعاهدوه على نصرته وموازرته، واستأذنه ضعفاء المسلمين في الهجرة إلى يثرب، فمكث أياماً لايأذن لهم، ثم قال لهم: لقد أُريتُ دار هجرتكم، أُريتُ أرضاً سبخة ذات نخل بين لابتين ـ أى حرتان ـ ولو كانت السراة ـ جبال السراة ـ أرض نخل وسبخة لقلت هى، هى .. ثم قال لهم في اليوم التالى: أُخبرت بدار هجرتكم، إنها يثرب، من أراد أن

[1] السيره الحلبيه ٢/٦٢ ، والجمهره ، ص ١١٥.

يخـرج فليخـرج إرسـالاً .. ـ أى متتـابعين[1] ـ ثـم تـابعهم الرسـول ﷺ مهاجرا إليها، بعد حوالى ثلاثة أشهر من بيعة العقبة الثانيه مع الانصار .[2]

ومـن هنا بدأت مرحلة جديدة فى تاريخ الدعوة فقد آزرتهـا القـوة ممثلة فى فريضـة الجهـاد، لأعـلاء كلمـة الله. وإنصـاف المقهوريـن، الذيـن اضهـدوا، وعُذبُوا وسُلبت منهم أموالهم، وأخرجوا من ديـارهم بغـير ذنـب اقترفوه إلا أن قـالوا ربنا الله. ولو استطردنا فى الحديث عـن الذيـن عُذّبـوا حتى ارتـدوا، والذيـن مـاتوا خـلال التعذيـب، والذيـن فُـرّق بينهـم وبـين زوجـاتهم إبان الهجرة، والذين أعيدوا بعد الهجرة مكبّلين بـالأغلال، لطـال بنا الحديث .. لكننا نود أن نؤكد على أن الإسلام لم ينتشر بالسيف كمـا يشيع خصومه عنه تلك المقولة الباطلة، فلقد أقام الرسول ﷺ يدعـو أهـل مكة، ومن يفد إليها من قبائل العرب ثلاث عشرة سنة[3] وآزر السيفُ الدعوة عشر سنين، بل كانت الدعوة سابقة له فى كل المواطن الى استُل فيها من غمده، وكتب التاريخ شاهدة بما تحمله مـن وصايا الرسول ﷺ لأمراء الجيوش والسـرايا .

---

[1] ابن الأثير ، ٩٥/٢ ، والسيرة الحلبية ، ٢/ ١٨٠ .

[2] السيرة الحلبية ، ١٨٨/٢، وفى شفاء الغرام ٣٢٩/٢ ، نقلا عن صحيح البخارى من حديث أبى موسى الاشعرى " عن النبى قال : رأيت فى المنام أنى مهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وهمى أنها اليمامة ، أو هجر ، فإذا هى المدينة يثرب .." .

[3] إبن الأثير ، ١٠٨/٢ ، والسيرة الحلبية ، ١٥٢/٢.

وعلى كلٍ فإن الدعوة الإسلامية في مرحلة ما قبل الهجرة أخذت تنمو نموها الطبيعي رغم المعاناة التي لقيها الرسول ﷺ، وما نزل بأصحابه من سفهاء قريش، ليكون ذلك قدوة للمصلحين في كل عصر.

أما الهجرة نفسها فكانت بداية الانتصارات التي حققها الله للمسلمين، حيث باءت مؤامرة المشركين، وتدبيرهم قتل الرسول ﷺ ليلة الهجرة بالفشل، وأصبحت يثرب أول عاصمة للدولة الإسلامية، ونزل القرآن الكريم يُبكّت أهل مكة إخراجهم الرسول، وعدم مؤازرته: ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله﴾[1] وقال الرسول ﷺ، " لما خرج من مكة أما والله إني لأخرج منك، وإني أعلم أنك أحب البلاد إلى الله، وأكرمها على الله، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت"[2] ولما قويت شوكة المسلمين، وأصبحوا قادرين على الانتصار ممن ظلمهم، أذن الله لهم بامتشاق الحسام، دفاعاً عن النفس، وإعلاء كلمة الله، وتأمين الدعوة: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظُلِموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ [3] ومن ثَم كانت المواجهات مع قريش ومن والاها، أو تحزب معها، وحمي وطيس القتال في كثير من المواطن، وأصبح لاهم لقريش، ولاشاغل لها إلا القضاء على الدعوة. حتى قال الرسول ﷺ ، حين أراد أداء العمرة في السنة السادسة من الهجرة، ومنعته قريش من دخول مكة: ياويح قريش قد

---

[1] سورة التوبة ، آية ٤٠ .

[2] روى الحديث بعدة أسانيد في كتب السنة ، انظر أخبار مكة للأزرقي ، ١٥٣/٢ .

[3] سورة الحج ، آية ٣٩ .

أكلتهم الحرب! ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب، فإن أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله دخلوا في الإسلام وافرين .[1]

وعلى ضوء سير الأحداث فيما بعد الهجرة نلحظ أن موطن بعض القبائل على خريطة الواقع كانت بالصورة التالية تقريباً، وبخاصة مكة وما حولها التي تعتبر منطقة دراستنا امتداداً لها:

قبيلة قريش[2] بكافة بطونها تقيم بمكة، فيما عدا فرع من بني مخزوم كان يقيم في تهامة جنوب الطائف، وفرع آخر يقيم ناحية بيشة وتبالة[3] وكان يقيم بمكة وأحوازها بطون من خزاعة وكنانة، كما كانت تُحلّ بطون كنانة، وكذا بطون خزاعة تتوزع على الساحل ابتداء من جنوب ينبع ورضوى، ثم امتداداً إلى الجنوب بتهامة الحجاز حتى أم جحدم[4] وقد أسلمت بطون من كنانة وخزاعة قبل فتح مكة، ومعظم الذين لم يسلموا منهما قبل الفتح كانوا يميلون للرسول ﷺ، ويتعاطفون مع المسلمين، ولذا عندما اجتمعت قريش في دار الندوة[5] ليتشاوروا في

---

[1] ابن الأثير ، ٢/٢٠٠ .

[2] كل من كان من ولد فهر (وهو قريش) بن مالك بن النضر بن كنانة من مضر ، فهو قرشي ، وأما ما تفرع من أولاد أخوة فهر ، أو أبناء عمومته وأجداده فليسوا من قريش، وإنما من كنانة . انظر الجمهرة ص ١٢ ، ١٨٠ وقيل غير ذلك .

[3] صفة جزيرة العرب للهمداني ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٨ .

[4] انظر الهمداني ، ص ٥٨، ٦٥، ١٣٠، و السيرة الحلبية ، ٢/٥٥٣ .

[5] دار الندوه كان قد بناها قصي بن كلاب، الجد الأعلى للرسول ﷺ ، لتجتمع فيها قريش للمشورة في كل أمر ذي شأن .

أمر محمد ﷺ، ليلة الهجرة، قالوا: لايدخلَنَّ أحد معكم في المشورة من أهل تهامة لأن هواهم مع محمد[1] وعند عقد صلح الحديبية في العام السادس من الهجرة، دخلت خزاعة مع رسول الله ﷺ في الحلف، ودخلت بنو بكر بن عبد مناة من كنانة مع قريش ــ فقريش فرع من كنانة ــ وهذان البطنان من خزاعة وكنانة كانا يقيمان في مكة وأحوزاها، وكانت بينهما عداوة قديمة، ثم ما لبثت بنو بكر أن عدت على خزاعة، وقامت قريش بمساعدة بني بكر سراً، فكان ذلك نقضاً منهما للعهد، وسبباً في فتح مكة عام ٨ هـ، حيث خرج سالم بن عمرو الخزاعي إلى المدينة مستنجداً بالرسول ﷺ، ووقف أمامه وهو جالس بالمسجد، قائلاً:

| | |
|---|---|
| يارب إني ناشد محمداً | حلف أبينا وأبيه الأتلدا |
| إن قريشاً أخلفوك الموعدا | ونقضوا ميثاقك المؤكدا |
| هم بيتونا بالوتير هُجَّدا | وقتلونا رُكعاً وسُجداً [2] |

فقال النبي ﷺ: نُصِرْتَ ياعمرو بن سالم، واطلع عمرو بن سالم الرسول ﷺ على تفاصيل ما حدث، كما أطلعه أيضاً على عقد الحلف

(1) السيرة الحلبية ، ٢/١٨٩ ، ٢٠٠ .

(2) رويت هذه الأبيات في بعض المصادر فيها زيادات ، و نقص ، أنظر السيرة الحلبية ٢/٥ ، و ابن الأثير ٢/٢٤٠، و البداية و النهاية لابن كثير ٤/٣١٠ .

السابق الذى كانت خزاعة قد عقدته مع جده عبد المطلب بن هاشم. فطلب منه الرسول ﷺ أن يعود إلى مكة، ويخفى أنه أتى إلى المدينة ، وقال: اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها[1]

وكان من كنانة من تزعم الأحابيش[2] وهى مجموعة قبائل متفرقة، تحالفت مع قريش، كما كان من بطون كنانة التى أسلمت مبكراً بنو ضمرة بن بكر بن عبد مناة، منهم بطن غفار رهط أبى ذر الغفارى، الذى قدم مكة قبل الهجرة فأسلم، ثم رجع إلى قومه وأخذ يدعو للإسلام فأسلم على يديه بعض قومه ، وعندما بلغهم هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة أنطلقوا إليه، واسلمت عشيرتهم، وكانت مواطنهم بين رضوى وينبع، مجاورين لقبيلة جهينة فى مواطنها ينبع ورابغ.

ومن القبائل التى تقطن مواطن تعتبر منطقتنا ــ المعنية بهذه الدراسة ــ امتداداً طبيعيا لها، قبيلة هوازن، وهى بطون عديدة، منها ثقيف والأحلاف أهل الطائف، ومنهم سعد بن بكر، الذين استرضع فيهم النبى ﷺ، وكانوا بادية الطائف، ومنهم بنوا نصر بن معاوية عشيرة مالك بن عوف النصرى، قائد هوازن يوم حنين، وبنو جشم رهط دُريد بن الصمة،

---

[1] السيرة الحلبية ، ٢/١٠ ، وتاريخ ابن خلدون ، ٢/٤١ ، وابن الأثير ، ٢ /٢٣٩ ، والبداية والنهاية ٤/٣٧٨.

[2] بعض المؤرخين المحدثين . فهم خطأ أنها جالية حبشية كانت تقيم بمكة ، استدلالا على ذلك من اسمها، بينما الاسم اطلق عليها لكونها تعاقدت يومها بجوار جبل بمكة يقال له: حباشة، وقيل: من التحبيش أي التجميع، وهي بطون من كنانة، و هذيل، وهوازن ونحوها . أنظر الأزرقي ١/١١٥ ، والجمهرة ، ص ١٨٨ ، والسيرة الحلبية ، ٢/٤٨٩ ، ٦٩٥ .

الشاعر الفارس المشهور، ومنهم عثمان بن أبي العاص، الذى ولاه الرسول ﷺ إمارة الطائف، وكانت له جهود ومشاركات في فتوح فارس، وإليه ينسب شط عثمان بالبصرة، وكانت أمه صفية بنت أمية بن عبد شمس، ومنهم بنو عامر بن صعصعة أحد أفخاذها بنو هلال بن عامر، الذين منهم أم المؤمنين زينب بنت خزيمة، التي يقال لها أم المساكين، و أختها لأمها أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية، التي تزوجها الرسول ﷺ، بعد وفاة أختها زينب، كما كانت منهم لبابة الكبرى، أم خالد بن الوليد، وأختها لأبيها لبابة الصغرى أم الفضل بن العباس بن عبد المطلب وإخوته ، فهما ابنتا الحارث بن حزن بن بجير، وهما أيضاً أختان من الأب لأم المؤمنين ميمونة بنت الحارث، وكانت عمتهم صفية بنت حزن هي أم أبي سفيان ابن حرب[1] و غير هؤلاء من بطون هوازن العديدة، وقد توطنوا الطائف وأحوازها، وبعض بواديها، وبادية مكة، وأمتدت مواطنهم حتى تربه شرقاً، وجنوباً بالقرب من جرش، وجاوروا بطون الأزد، وخثعم ، وغامد وبارق، وزهران[2] وقد أوردت كتب السير والمغازي أن عمر بن الخطاب قاد سرية في السنة السابعة الهجرية إلى عجز هوازم في تربة[3] غير أن تلك المنطقه لم تكن وقفاً على بطون هوازن، إنما تخللتها بطون من قريش، وعنز والأزد وغيرهم[4] وكانت منازل هذيل فيما حول مكة، جهة يلملم وبطن

---

(1) أنظر فيما سبق: الجمهرةص٢٧٢-٢٧٤، و السيرة الحلبية ٣/٤٠٩، و الطبري ٣/١٦٧،١٦٨ .

(2) للبلادي ، ص ٢٥٨ - ٢٦٢ ، و السيرة الحلبية ١/١٤٦ ، و معجم ما أستعجم ١/٨٧ .

(3) الطبري، ٣/٢١،١٥٤، وابن الأثير، ٢/٢٢٦، والمغازي للواقدي، ص٧٢٢، والسيرة الحلبية ٣/١٩١

(4) البلادي ، ص١٤٨ ، ٢٥٣ ، ٣٥٥ .

عرنة، وعرفة، ونخلة، وأوطاس، وجبلي غزوان، ويسوم، أعلى جبل شاهق متصل بالطائف وتسكنه القردة في أعاليه[1]، وقديماً نظر أعرابي فرأى القردة في علو بعيد منه، تقذف نفسها هنا و هنالك، فقال متعجباً: الله أعلم من حطها جبل يسوم ![2] وتعجبه جاء من كيفية إرتقائها هذا الجبل الشامخ، تُرى إلى أي مدى يبلغ عجب هذا الاعرابي، لو عرف أن هذا الجبل أصبح ممهداً بقوة عزيمة الرجال في عصرنا الحاضر، حتى إرتقته السيارات؟! ونستطرد بعد ذلك إلى موقف قبائل المنطقة المعنية بالدراسة من الإسلام.

## ٢–موقف قبائل المنطقة من الإسلام :

سبق أن تناولنا في صدر هذا البحث[3] بالسرد معظم قبائل منطقتنا (حجازان وعسير ونجران) على وجه التقريب، وإنما قلنا على وجهه التقريب لعدة اعتبارات، منها أن منطقتنا في الوقت المتقدم تاريخياً ـ والذي نحن بصدد ذكر وقائعه وأحداثه ـ لم تكن فيه محددة إدارياً كما هو شأنها في الوقت الحاضر، فبطون القبائل المذكورة قد تتوزع فيهما ثم تمتد إلى ما جاورها من أراض، وهذا يعني أن التداخلات في مواطن القبائل في ذاك

---

[1] يبدو أنه جبل الهدى حالياً، الذي مازالت به القردة، وتم التغلب على علوه الشاهق.

[2] الجمهرة ص ١٩٦ – ١٩٨، و الهمداني، ص ٣٢٣ و أسماء جبال تهامة لعرام، ص٤٣٠ وآثار البلاد للقزويني، ص٨٩.

[3] أنظر ص ٣٤–٤٦ من هذا البحث .

الوقت أمر وارد، ومنها أنه حدثت تخلخلات في مواطن بعض القبائل ببلاد العرب بصفة عامة إبان الفتوحات الإسلامية، ونزحت بطون عديدة إلى البلدان المفتوحة ثم استقروا فيها. وحين نزوحهم شغرت مواطنهم في بلاد العرب، فشغلتها بطون أخرى من بني أبيهم، أو من غيرهم، لذا فإن الفترة التي نحن بصدد ذكر وقائعها، أعقبها نزوح وهجرات، واستيطان، ومن المجازفة أن يقال إن كل القبائل ظلت في موطنها منذ ذلك التاريخ حتى الآن، وعلى نفس مساحة الأرض التي كانت تشغلها في ذلك الوقت، بالإضافة إلى أن مساحات شاسعة من الصحارى والوديان لم يكن يسكنها أحد، وهي أرض موات من أحياها تملكها.

لكن الحقيقة المؤكدة أن الأرض نفسها ثابتة لاتنزح ولاتسرح، ومستقرة في موضعها تدور مع الكرة الأرضية، حيث دارت، وهي راسخة في مكانها بجبالها، وسهولها، ووديانها، ومياهها وغير ذلك من معالم الطبيعة، والتغيير إن حدث إنما يأتي من قاطنيها، وإلا فأين هم العرب البائدة، أول من قطنها؟

كما سبق أن أشرنا إلى أن قبائل المنطقه المعنية بالدراسة، وإن كانوا مستقلين إداريا في تصريف شئونهم على مواطن إقامتهم، وغير خاضعين لأية هيمنة، شأنهم في ذلك شأن كافة قبائل وسط شبه الجزيرة العربية، إلا أنهم كانوا يرتبطون وجدانياً بمكة المكرمة، لكونها شُرِّفت بوجود البيت العتيق فيها، والذي يعظمه العرب على كافة نحلهم، ويأتونه في الموسم كل عام للحج، فقد كان الحج من بقايا ملة ابراهيم ــ عليه

السلام ـــ[1] وقد حافظ العرب على أدائه بشعائر ومناسك معينة حتى جاء الإسلام، واحتلت الكعبة مكانة رفيعة من نفوسهم، وليس أدل على ذلك من تصدى أحد زعماء القبائل ـــ كما سبق أن قلنا ـــ وهو نفيل بن حبيب الخثعمى، لأبرهة الأشرم، حين مروره فى طريقه إلى مكة فقاد جموعاً من بطون شهران، وناهس، والأزد، وغيرهم، وقاتل أبرهة بالقرب من تبالة[2] كما كانت قبائل المنطقة تُكن لقريش الود ، لأنهم أهل الله، وخدَمة بيته، ويستنكفون أن يصدر منهم ما يُشين، ولهذا عقدت قريش حلف الفضول، لنصرة المظلوم، ومنع المظالم فى الحرم، وذلك عندما أتى رجل من زبيد، وظلمه العاص بن وائل السهمى، فى سلعة باعها منه، فقاموا مع الزبيدى حتى نال حقه، وقدم آخر من قبيلة بارق، وثالث من خثعم، فظُلما فى الحرم، فقام أهل حلف الفضول معهما حتى استردا حقهما[3] وتمثل حسن العلاقات فيما بين قبائل المنطقة وقريش فى تسهيلات مرور قوافل التجارة القرشية بأرض قبائل المنطقة، وتداول السلع فيما بينهم، وقيام بعض أهل المنطقة كمندوبين لها فى التجارة، كمدن بيشة، وجرش، ونجران[4].

---

[1] السيرة الحلبية ، ٤٧٩/٢ .

[2] سبق أن تعرضنا لذلك، انظر صفحة ٨٠ ومابعدها من هذا البحث، وانظر ايضاً الأزرقي ١٤٢/١، والطبري، ١٣١/٢، وابن الأثير ٤١/٢ .

[3] انظر أنساب الأشراف للبلاذري ، ص١٢، ١٣٠ ، و السيرة الحلبية ٣١٥/١ .

[4] دكتور السيد عبد العزيز سالم المصدر السابق ص٣٠٥ .

كما كان الإقدام على المصاهرات والزواج له أثره البالغ في توطيد العلاقات، فعصبية النسب بالمصاهرة لاتقل شأناً في معظم الأحوال عن عصبية الدم، فنلحظ أن قبائل المنطقة قد وقع بينها وبين قريش مصاهرات من قديم. فقد ذكر المؤرخون أن إحدى الفواطم والعواتك اللاتي ولدن الرسول ﷺ كانت من الأزد، فأمُّ قصي بن كلاب الجد الأعلى للرسول ﷺ هي فاطمة بنت سعد بن سيل من آزد شنوءة[1] وأيضاً: فإن عاتكة أم النضر بن كنانة، هي عاتكة بنت مر من الأزد، وكانت أمها أيضا اسمها عاتكة بنت الأزد بن الغوث[2] وتزوج سعد العشيرة من أسماء بنت أبي بكر بن مناة بن كنانة من مضر، وكان له منها، ومن غيرها، عشرة أبناء أكبرهم الحكم الذي به كان يكنى، وكان قد ذهب بهم إلى الحج فسألوه من هؤلاء؟ قال: هم عشيرتي، فسمي سعد العشيرة[3] وكان موطنه مع أخيه مراد (يحابر) بتهامة اليمن، فلما تكاثروا نزح منهم من نزح إلى أرض تهامة الحجاز، بجوار أخوالهم من كنانة، وكان منهم فيما بعد آل الحكم ابن سعد العشيرة، الذين حكموا منطقة جازان في بعض الفترات التاريخيه اللاحقة، وتزوج أحد أبنائهم وهو: عبد الله بن سعد بن جابر بن عمرو الحكمي، من آمنة بنت عفان أخت الخليفة عثمان بن عفان[4] وتزوج أبو أزيهر الدوسي، من قبيلة دوس رهط أبي هريرة، من أخت هشام بن المغيرة

---

(1) ابن الأثير، ٣٤/٢، و البدء و التاريخ، ٥/٥، و الأزرقي، ١٠٤/١.

(2) ابن الأثير، ٣٥/٢.

(3) الجمهرة، ص ٤٠٧، و البدء و التاريخ للمقدسي، ١٢٠/٤.

(4) الجمهرة، ص٤٠٩.

المخزومي، القرشي، كما تزوج عثمان بن عفان أم عمرو بنت جندب بن عمرو الدوسي[1] وتزوج عبد الله بن الحارث بن سخبرة بن نصر من زهران من أم رومان بنت عامر بن عمير من كنانة، فولدت له: الطفيل بن عبد الله، ثم خلفه عليها، أبو بكر الصديق، فولدت له أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر، وأخاها عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، فالطفيل أخوهما من الأم وكان أسن منهما[٢]. وكانت خثعم بني عمومة بجيلة، لها بطون عديدة منها شهران الذين منهم بنو عُميس عشيرة أسماء بنت عُميس زوجة جعفر بن أبي طالب وأم أبنائه، وأختها سلمى بنت عُميس زوج حمزة بن عبد المطلب، وأم ابنته الوحيدة أمامة[٣] وغير ذلك من زيجات ومصاهرات أضفت جواً من الوُد وأسهمت في توطيد العلاقات بين قبائل المنطقة وأهل مكة، وأشاعت الأمان إلى حد ما، فأصبحوا يتنقلون من مكان إلى آخر دون خفارة لتجارتهم، ويرتادون الأسواق التي كانت تقام في غير الأشهر الحرم[٤] دون خوف، فمثلاً كانت توجد سوق حُباشة بتهامة لقبائل الأزد وبارق ودوس وغيرها من القبائل، وتقام فيما بين وادي حلىّ ومحايل، على مسافة ست ليال من مكة، وتقام في غير الأشهر الحرم وهي آخر سوق خُرِّبت من أسواق الجاهلية، وكان ذلك في عهد الدولة العباسية فقد كان ولاة مكة بعد الإسلام يرسلون إليها والياً معه الحراس للحفاظ على الأمن

---

[١] الجمهرة ص٣٨٢ ، ٣٨٣ .

[٢] الجمهرة ، ص١٣٧ ، ٣٨٣ .

[٣] الجمهرة ، ص٣٩١ ، و الطبقات لابن خياط ، ص٨ .

[٤] الأزرقي ، ١٩١/١.

فيها، وفى الطريق المؤدية إليها ، فلما كانت ولاية داوود بن عيسى بن موسى لمكة عام ١٩٧هـ، بعث والياً إليها ومعه بعض الجند، فقتلت الأزد والي السوق من قبل داوود أمير مكة، فأشار عليه فقهاء مكة فى ذاك الوقت بتخريبها وإغلاقها .[1]

وكان النبى ﷺ يعمل بالتجارة قبل البعثة، وكان شريكاً فى التجارة لقيس بن السائب، وقيل: لأبيه السائب بن يزيد بن أبى السائب الصيفى، ولذا لما قدم عليه السائب يوم فتح مكة، قال له النبى ﷺ: مرحباً بأخى وشريكي، كان لايدارى ولايمارى (أى لايماطل أو يخاصم شريكه، فى بيعه وشرائه) وقيل إن حكيم بن حزام اشترى وقتها من الرسول ﷺ، بَزًّا من بزّ تهامة، كان قد اشتراه الرسول من سوق حُباشة وقدم به إلى مكة، فلما رأته خديجة عند ابن عمها حكيم بن حزام ـ ولم يكن الرسول قد تزوجها بعدُ ـ أرسلت خادمها ميسرة إلى الرسول فذهب معه إلى سوق حباشة واشترى لها بزّا، وحمله إليها ميسرة[2] وعرفت فيه الأمانه يومها، فعرض عليه الذهاب بتجارتها إلى الشام، والتى صحبه فيها أيضاً ميسرة، ثم تزوجها الرسول ﷺ بعد عودته من تجارة الشام بفترة قليلة.[3]

---

[1] الأزرقي ، ١٩٢/١ .

[2] السيرة الحلبية ، ٢٢٢/١ ، ٢٢٣ ، ومعجم البلدان ، ٢١٠/٢ .

[3] السيرة الحلبية ، ٢٢٨/١ .

ونلحظ أن بعض الأفراد قدموا مكة عندما علموا بمبعث الرسول ﷺ وأسلموا وعادوا إلى مواطنهم، بعد أن طلب منهم الرسول العودة خوفاً عليهم من أذى قريش، وذلك قبل الهجرة، على أن يوافوه بالمكان الذي يهاجر إليه عند سماعهم به[1] من هؤلاء: سواد بن قارب الدوسي، كان يتكهن في الجاهلية ، فأتاه رِئِيُّه من الجن وأخبره بمبعث الرسول ﷺ، فقدم مكة قبل الهجرة، وأسلم، ثم أخبره النبي بما سمعه من رئيه، فسُرَّ به النبي ﷺ وقال له: أفلحت ياسواد[2] وقدم ضماد الأزدي وقيل خالد بن ضماد الأزدي[3]، من أزد شنوءة ـ وكان يُرقى من مَس الجن ـ عندما بلغه قول سفهاء قريش: إن محمداً مسه الجن، فقدم مكة قبل الهجرة وجلس إلى الرسول ﷺ، وقال: يامحمد إني أرقي من الريح (أي الجن) وإن الله يشفي على يديَّ من شاء، فهل لك؟. فقال له الرسول ﷺ : "إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لاشريك له، وأن محمداً عبده ورسوله. أنزل عليه قرآنا هدى للمتقين." فقال ضماد: أعد عليَّ كلماتك هذه، فأعادها الرسول ثلاث مرات، فقال ضماد: لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هذه، هات يدك أبايعك على الإسلام، فبايعه الرسول وقال له: وعلى قومك يا ضماد، قال: وعلى

---

[1] وكان من الذين قدموا مكه قبل الهجرة و أسلموا ، وطلب منهم الرسول العودة إلى موطنه ، أبو ذر الغفاري ، أنظر السيرة الحلبية ١/٤٥١ .

[2] السيرة الحلبية ، ١/٣٢٢ .

[3] مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي و الخلافة الراشدة ، للدكتور / محمد حميد الله ، ص ١٩٥ .

قومي يارسول الله[1] ثم انفلت قائما فتعرض له أبوجهل، فمنعه بعض رؤساء قريش قائلين له: أتريد هلاكنا، إن قومه تمر بأرضهم تجارتنا.

وقدم مكة الطفيل بن عمرو الدوسي، وكان شريفاً في قومه دوس، فمشى إليه رجال من قريش يحذرونه من الجلوس إلى محمد، أو سماع ما يقول، وأكثروا عليه في النصح لأنهم خشوا إن اتبعه مثل هذا بما له من رئاسة في عشيرته، يتبعه الكافة منهم، يقول الطفيل: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئاً، ثم غدوت إلى الكعبة، فوجدت الرسول قائماً يصلي، فسمعت منه كلاماً حسناً، فقلت في نفسي: ما يخفى عليّ الحسن من القبيح فما يمنعني من سماع ما يقوله، فإن كان حسناً قبلته، وإن كان قبيحا تركته، فمكثت حتى انصرف إلى بيته، وتبعته، وسمعت منه القرآن، بعد أن أخبرته خبر قومه معي، فما سمعت قط خيراً من ذلك. فاسلمت، ثم قلت: يارسول الله إني امرؤ مطاع في قومي، وأنا راجع إليهم أدعوهم إلى الإسلام، فادع الله أن يكون لي عوناً، فقال: اللهم اجعل له آية، فخرجتُ حتى إذا كنت في ثنية في ليلة كانت مظلمة خرج نور من بين عينيَّ مثل المصباح، فقلت: اللهم في غير وجهي، فإني أخشى أن يظنوا أنها مُثلَة، فتحول النور من رأسي إلى سوطي، فجعل الناس يتراؤون ذلك النور كأنه قنديل معلق في سوطي، وعُرِف الطفيل

[1] السيرة الحلبية ، ٣٩/٢ .

بذي النور[1]، ولما عاد الطفيل إلى أرض قومه دوس، جعل يدعو قومه إلى الإسلام، ولما بلغهم هجرة الرسول إلى المدينة قدم وفد دوس من ثمانين رجلا مسلماً يقودهم الطفيل، ومنهم أبوهريرة[2] وتوافق وصولهم المدينة مع وصول وفد الأشعريين، وفيهم أبوموسى الأشعرى، قادمين عن طريق الحبشة مع جعفر بن أبى طالب، ومن معه من مهاجرى الحبشة، فوافوا المدينة والرسول يحاصر خيبر سنة ٧ هـ، فبيتوا ليلتهم بالمدينة، ثم انطلقوا جميعاً منها بعد صلاة الفجر إلى خيبر، فسر الرسول ﷺ بقدومهم وأشركهم فى غنائم خيبر، وقال: والله ما أدرى بأيهما أفرح؟ بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر؟[3]

ولما أراد الرسول ﷺ، المسير إلى الطائف بعد حنين وفتح مكة، بعث الطفيل بن عمرو الدوسي إلى هدم صنم ذي الكفين ببلاد دوس[4] وأن يأتي بمن أسلم من قومه، ويوافيه بالطائف، فانطلق مسرعاً، فهدم الصنم، ثم قدم ومعه أربعمائة من رجالات قومه، وبعض مسلمى القبائل المجاورة، ووافى رسول الله ﷺ بعد مقدمه بموقعه بالطائف بأربعة أيام،

---

[1] البداية والنهاية لابن كثير ٧٨/٥ و المواهب اللدنية ، ١٩٢/٢ – ١٩٥ ، وقيل إن الذي أضاء له عصاته هو : عباد بن بشر الأشهلي ، وفي حديث رواه البخاري ، وقيل هو : أسيد بن حضير الأنصاري
انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ، ٢٩٩/١ ، و يجوز أن يكون قد وقع ذلك لهم جميعاً .

[2] السيرة الحلبية ، ٦٩/٢ ، ٧٥٨ ، و الجمهرة ص ٣٨٢ ، ٩٢٧ ، و المغازي للواقدي ص ٦٨٣

[3] السيرة الحلبية ٧٥٥/٢ – ٧٥٨ ، والبداية والنهاية لابن كثير ، ٧٩/٥ .

[4] أورد الأستاذ رشدي صالح ملحس ، محقق كتاب أخبار مكة للأزرقي ، تعليقات مفيدة عن صنمي ، ذي الخلصة ، و ذي كفين ، بما لا مزيد عليه هنا ، أنظر : ٣٧٤/١ – ٣٧٩ ، و المغازي ص ٨٧٠ .

فلما رآهم الرسول ﷺ، سُرَّ، وقال: يامعشر الأزد من يحمل رايتكم، فقال الطفيل ومن معه: من كان يحملها في الجاهلية وهو النعمان بن الزّرافة اللهبي، فقال النبي ﷺ: أصبتم، وحملها النعمان يوم الطائف.[1]

وقدم الطفيل ومعه دبابة ومنجنيق، ونصبت يوم الطائف، وقيل إن الذي قدم بها يزيد بن زمعة، ويقال خالد بن سعيد بن العاص، قدم بها من جرش، ويقال إن الذي صنعها ونصبها يوم الطائف هو مسلمان الفارسي كما وفد على الرسول ﷺ سعد بن مالك الأزدي ، وعقد له الرسول راية على قومه، استمرت معه حتى شهد بها فتح مصر مع عمرو ابن العاص[2]، وقدم المدينة في السنة العاشرة جرير بن عبد الله البجلي، وكان الرسول ﷺ، قال لأصحابه: يطلع عليكم من هذا الفجّ (أي هذه الناحية مشيراً بيده) من خير ذي يمن (أي من خير قبائل جهة اليمن)[3]، على وجهه مسَحةُ مُلك ، فطلع جرير، على راحلته، ومعه مائة وخمسون من قومه، فنزلوا، فأسلموا وبايعوا، يقول جرير: فبسط الرسول ﷺ يده، فبايعني، وقال: على أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتنصح المسلم، وتطيع الوالي وإن كان عبداً حبشياً. قلت: نعم، فبايعني، ثم جعل الرسول ﷺ يسائله عما

---

[1] الجمهرة ص ٣٨٢ ، و المغازي ص ٩٢٣ ، و لقد ورد فيه : النعمان بن الزرافة اللهبي ، و قيل : النعمان بن الزراع عريف الأزد .

[2] المغازي للواقدي ، ص ٩٢٧ .

[3] كتاب " نظام الحكومة النبوية ، المسمى التراتيب الإدارية " للشيخ عبد الحي الكتاني ، ١/٢٢٠ .

وراءه، فقال: يارسول الله قد أظهر الله الإسلام، وأظهر الأذان في مساجدهم وساحاتهم، وهدمت القبائل أصنامهم، التي كانت تعبد، قال: فما فعل ذا الخلصة — وهو صنم لبجيلة والأزد وخثعم — قال: هو على حاله قد بقي، والله مُريحٌ منه إن شاء الله، فبعثه رسول الله ﷺ إلى هدم ذي الخلصة، فأنطلق فما أطال الغيبة حتى رجع، فقال له الرسول ﷺ: هدمته؟. قال: نعم، والذي بعثك بالحق، وأخذت ما عليه وأحرقته بالنار، فتركته كما يسوء من يهوى هواه، وما صدّنا عنه أحد[1] وكان قدم الى المدينة في أعقاب جرير، قيس بن أبي غرزة الأحمسي، بطن من بجيلة، ومعه مائتان وخمسون رجلاً من أحْمَس، فقال الرسول ﷺ: من أنتم؟ قالوا نحن أحْمَسُ الله. فقال: وأنتم اليوم للّه، وأمر الرسول بلال أن يعطي ركب بجيلة، وأن يبدأ بالأحمسيين، فلما أمر الرسول جرير بالذهاب لهدم ذي الخلصة، قال جرير يارسول الله: إني لا أثبت على الخيل، قال جرير: فمدّ الرسول يده ومسح على صدري، وقال: اللهم اجعله هادياً مهديّاً، يقول جرير: فما وَهَنتُ بعدها أبداً. ثم قاد زهاء مائتين من خيل أحمس وانطلق فهدم الخلصة وعاد. فبارك الرسول في رجال وخيل أحمس[2] ودعا لهم.

وكان جرير قد قاتل بعض رجال من خثعم بعد هدم ذا الخلصة، فقدم منهم وفد فيهم عَثعَث بن زحر، وأنس بن مُدرِك، إلى المدينة، وأعلنوا

---

[1] طبقات ابن سعد ٣٤٧/١، والأزرقي ٣٨٠/١، والطبري ١٥٨/٣، والبداية والنهاية لابن كثير ٨٨/٥ — ٩٠.
[2] طبقات ابن سعد ، ٣٤٧/١ ، ٣٤٨ ، و البداية والنهاية لابن كثير ، ٤٢٢/٤ .

إسلامهم وطاعتهم، وقالوا: آمنا بالله ورسوله، وما جاء من عند الله، فاكتب لنا كتاباً نتبع ما فيه، فكتب لهم الرسول ﷺ كتاباً، شهد فيه جرير ابن عبد الله، ومن حضر من الصحابة.[1]

وقدم وفد الأزد، فيهم صُرَد بن عبد الله الأزدي، أزد شنوءة، في بضعة عشر رجلا، فأسلموا وأمّره الرسول ﷺ على قومه، فقد كان أفضلهم، ثم أمره الرسول أن يجاهد بقومه من يليه ممن لم يسلموا من القبائل، فخرج حتى نزل جرش، وكانت مدينة حصينة، دخلها بعض بطون متفرقة من القبائل وأغلقوها عليهم، وتحصنوا بها، فحاصرهم شهراً، فاستعصت عليه، ثم تنحى عنها إلى جبل يقال له: شَكَر، فظنوا أنه انهزم، فخرجوا في طلبه، فصف جيشه، وعطف عليهم، وأعمل فيهم السيف، وقتل منهم عدداً، وأخذ خيلهم، وكان أهل جرش قد بعثوا رجلين قبل وصول صُرد إليهم، ليذهبا إلى المدينة، فينظران ويكلمان الرسول ﷺ في شأن إسلام أهل جرش، ويبدوا أنهما تباطأ في إعلان إسلام قومهما، وأخذ العهد لهم من الرسول، مع أنهما أسلما عقب وصولهما المدينة، فكانا ذات يوم بمجلس الرسول ﷺ عصرا، فسأل الرسول ﷺ، من بمجلسه بأيِّ بلاد الله شَكر هذا؟ فقام الجرشيان، وقالا: يارسول الله،

---

[1] طبقات ابن سعد ، ٣٤٨/١ ، قيل كان هناك جماعة من الصحابة قد فاقوا الناس طولاً وحسن هيئة منهم: العباس ابن عبد المطلب ، وولده الفضل بن العباس ، وقثم بن العباس وجرير بن عبد الله البجلي ، وقيس بن سعد بن عبادة ، و الأشعث بن قيس الكندي ، وعدي بن حاتم الطائي ، وزيد الخيل بن مهلهل الطائي .
انظر : الكامل للمبرد ، ٣٠٩/١ ، و البداية والنهاية لابن كثير ، ٩١/٥ .

ببلادنا جبل يقال له: كَشر، فقال: إنه ليس بكشر، ولكنه شَكر، قالا: فما له يارسول الله؟ قال: إن بُدنَ الله لتنحرَ عنده الآن، فلم يفهم الرجلان معنى قول الرسول، فسألا أبا بكر وعثمان بن عفان وكانا على مقربة منهما بالمجلس، فقالا لهما : إنه ينعى لكما قومكما، قوما إلى الرسول فاسألاه أن يدعو الله فيرفع عن قومكما، فقاما إليه وسألاه، فقال: اللهم ارفع عن قومهما، واهدهم. ثم خرج الرجلان مسرعين إلى قومهما، فوجدا أن صُرَد بن عبد الله أصاب قومهما في اليوم والساعة التي أخبرهما فيها رسول الله، فأنهيا لقومهما ما أعلمهما به الرسول، فأسلموا جميعاً، وخرج منهم وفد إلى المدينة ، فلما وقفوا على الرسول ﷺ، قال لهم: مرحبا بكم[1] أحسن الناس وجوها، وأصدقه لقاءه، وأطيبه كلاماً، وأعظمه أمانة، أنتم مني وأنا منكم، وجعل شعارهم: مبرور — وهو الشعار الذي اختاره صُرَد بن عبد الله — فطلبوا من الرسول أن يحمي لهم حمى حول قريتهم جرش، على أعلام معلومة، للفرس، والراحلة، وللمثيرة التي تثير الأرض، وتكون حمى لهم ومرعى، ومن رعاها غيرهم فهو سحت، وكتب لهم بذلك كتاباً[2] ويعتبر أهل جرش بهذا الطلب الجماعي، أول

---

[1] كلمة "مرحباً" يقال إن العرب لم تكن تستعملها ، إلا نادراً ، ثم استعملوها بعد أن تكرر وقوعها من الرسول ﷺ ، السيرة الحلبية ٣/٢٥١ .

[2] الطبري ٣/١٣٠ ، ١٣١ ، وطبقات ابن سعد ، ١/٣٣٧ ، ٣٣٨ ، و سيرة ابن هشام ٤/٢٣٤ و الإصابة ، ٢/١٨٧ ، تجريد أسماء الصحابة للذهبي ١/٢٦٤ ، و مجموعة الوثائق السياسية ، ص٢٤٢ .

بلد تم تحديده بحدود معلومة في بداية تكوين الدولة الإسلامية بعد مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والطائف، على ما نعتقد.

وذكر ابن كثير[1] أن وفداً من الأزد، سبعة نفر، فيهم سويد بن الحارث الأزدي قدموا على رسول الله ﷺ، فلما دخلوا وسلموا على الرسول أعجب بما رأى من سمتهم وزيهم، فقال: ما أنتم؟ قالوا: مؤمنون، فتبسم النبي وقال: إن لكل قوم حقيقة، فما حقيقة إيمانكم، وقولكم؟ قالوا: خمس عشرة خصلة، خمس منها أمرتنا رُسُلك أن نؤمن بها، وخمس أمرتنا يارسول الله أن نعمل بها، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية، فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئاً .. وبعد أن عددوها على مسامع الرسول ﷺ، قال لهم حكماء، علماء، .. وأثنى عليهم ثم أوصاهم بوصايا خمس وأكرم وفادتهم.

وقدم وفد غامد على رسول الله ﷺ في شهر رمضان عام ١٠هـ، وكانوا عشرة رجال، نزلوا ببقيع الغرق، فلبسوا من صالح ثيابهم، ثم انطلقوا إلى الرسول ﷺ فسلموا عليه، ثم أقروا بالإسلام، وكتب لهم كتاباً فيه شرائع الإسلام، وأتوا أبيّ بن كعب فعلمهم قرآناً، وأجازهم الرسول مثلما يجيز الوفود، وعادوا إلى بلادهم .[2]

---

[1] انظر البداية و النهاية ، ٥/١٠٦ .

[2] طبقات ابن سعد ، ١/٣٤٥ .

كما قدم وفد بارق على الرسول ﷺ بالمدينة، فأسلموا، وبايعوا، وكتب لهم الرسول ﷺ كتاباً، جاء فيه: هذا كتاب من محمد رسول الله لبارق، لا تُجزُّ ثمارهُم، ولاتُرعى بلادُهُم في مربع، ولامَصيفٍ إلا بمسألة من بارق، ومن مرَّ بهم من المسلمين في عَرَكٍ أو جَدْبٍ فله ضيافة ثلاثة أيام، وإذا أينعت ثمارهم فلابن السبيل اللقاط، يوسع بطنه من غير أن يقتثم (أي يجتثه ويقتلعه ليحمله معه)[1].

ووفد على رسول الله ﷺ، بالمدينة خالد بن ضماد الأزدي، وكتب له كتاباً جاء فيه: أن له ما اسلم عليه من أرضه على أن يؤمن بالله، لايشرك به شيئاً، ويشهد أن محمداً عبده ورسوله، وعلى أن يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويصوم شهر رمضان، ويحج البيت، ولايأوي محدثاً، ولايرتاب، وعلى أن ينصح لله ولرسوله، وعلى أن يحب أحباء الله، ويبغض أعداء الله، وعلى محمد النبي أن يمنعه مما يمنع منه نفسه وماله واهله، وأن لخالد الأزدي ذمة الله، وذمة محمد النبي إن وفّى بهذا[2] وكان ضماد أبو خالد قد وفد قبلُ على النبي. كما وفد على الرسول ﷺ جنادة الأزدي، وقومه، فكتب لهم الرسول ﷺ بمكة كتاباً جاء فيه: إن

---

[1] طبقات ابن سعد ، ٢٨٦/١ ، ٣٥٢ .

[2] طبقات ابن سعد ، ٢٦٧/١ ، ويبدو ان خالد وفد على رسول الله ﷺ مرتين : إحداهما قبل الهجرة ، والثانية بعدها .

لجنادة وقومه ومن اتبعه، عهد الله، ما اقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأطاعوا الله ورسوله، وذمة محمد بن عبد الله[1] .

وعام الفتح بعث الرسول ﷺ إلى أبي ظبيان الأزدي من غامد كتاباً يدعوه ويدعو قومه إلى الإسلام، فأجابه في نفر من قومه بمكة عام ٨ هـ بعد فتحها، وكان مع أبي ظبيان من قومه: مخنف، وعبد الله، وزهير بنو سُليم، وعبد شمس بن زهير، وجندب بن كعب، وكتب النبي ﷺ لأبي ظبيان كتاباً، وكانت له صحبة، وأدرك عهد عمر بن الخطاب وكان صاحب راية قومه يوم القادسية[2] .

وكان الرسول ﷺ قد كتب كتابا لمن جاء من خثعم مع جرير بن عبد الله البجلي، عندما ذهب لهدم صنم ذي الخلصة، جاء فيه: هذا كتاب من محمد رسول الله لخثعم من حاضر بيشة، وباديتها، أن كل دم أصبتموه في الجاهلية فهو عنكم موضوع، ومن أسلم منكم طوعاً أو كرهاً، في يده حَرثٌ من خبارٍ أو عزازٍ، (أي ما سهل ولاَنَ من الأرض أو ما صلب منها) تستقيه السماء، أو يرويه اللَّثيُّ فزكى ( أي نما) عمارة في غير أزمةٍ، ولا حطَمةٍ، فله نشره وأكله، وعليهم في كل سيح العشر، وفي كل غَربٍ نصف العُشرِ[3] كما كتب الرسول ﷺ كتاباً لبطن من باهلة كان في

---

[1] طبقات ابن سعد ، ١/٢٧٠ .

[2] طبقات ابن سعد ، ١/٢٨٠ .

[3] طبقات ابن سعد ، ١/٢٨٦ ، و مجموعة الوثائق السياسة ، ص٢٤٣ .

بيشة[1] ووفد على الرسول ﷺ، بالمدينة عقب الهجرة، الحارث بن عُمير من بني لهب من الأزد، وكان بنو لِهب وبنو أسد بن خزيمه أعيف العرب[2] في زجر الطير، وتقصي الأثر، والأشباه وقوة الفراسة، وظل الحارث ملازماً للرسول ﷺ قيل هو الذى حمل كتاب النبى الى ملك بُصرى بالشام، فلما نزل أرض مؤتة تعرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى، ولما عرف أنه يحمل كتاباً من رسول الله ﷺ، وأنه أحد الرسل الذين بعث بهم رسول الله ﷺ إلى الملوك، قتله، ولم يُقتل من حَمَلةِ كتب النبى سواه، ولما بلغ ذلك النبى اشتد عليه الأمر، وندب الناس للخروج إلى مؤتة عام ٨هـ[3] وكان ذلك قبل فتح مكة.

وكان من بارق، من الأزد: عروة بن أبي الجعد البارقي، الذى صحب الرسول ﷺ وروى حديث: " الخيل معقود فى نواصيها الخير"[4] كما كان من غامد: مخنف بن سليم بن الحارث، والحجن بن المرقّع بن سعد بن الحارث، وأبو زينب زهير بن عوف، أحد من شهدوا على الوليد

---

(1) مجموعة الوثائق السياسية ، ص٢٤٤ .

(2) الجمهره ، ص٣٧٦.

(3) المغازي ، ص٧٥٥ .

(4) طبقات ابن خليفه خياط ، ص١١٣

ابن عقبة بأنه شرب وسكر[1] ومن غامد صخر الغامدى له صحبة روى حديث الرسول ﷺ: "بورك لأمتى فى بُكُورِها"[2] وغيرهم .

كما وفد على الرسول ﷺ، بالمدينة عبد الجد بن ربيعة بن حجر الحكمى، من بنى الحكم بن سعد العشيرة[3] وكان لعبد الجد صحبة ورواية[4] ومن بنى الحكم أبوموسى الحكمى محدث[5] ومنهم عبد الله بن سعد بن جابر الحكمى، كانت تحته آمنه بنت عفان أخت الخليفة عثمان ابن عفان، وولدت له محمد بن عبد الله[6]. كما كان من رجالاتهم عبيد ابن خُليل الحكمى[7] وأبو عقبة الجراح بن عبد المطلب الحكمى، الذى كان والياً على خراسان، و البصرة، من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز، عام ٩٩هـ، ثم والياً على أرمينية من قبل هشام بن عبد الملك عام

---

[1] طبقات ابن خليفه خياط ، ص١١٣ ، و الجمهرة ، ص٣٧٨ .

[2] طبقات ابن خليفه خياط ، ص١١٣.

[3] سمي بسعد العشيرة ، قيل : لأنه حضر للموسم في الحج قبل الإسلام و حوله بنوه العشرة ، فسئل من هؤلاء ؟ فقال : هم عشيرتي ، وقيل : لأنه كان يركب حوله من بنيه من صلبه ثلاثمائة فارس ، انظر الجمهرة ، ص٤٠٥ ، وتتمة للمختصر في أخبار البشر ، لابن الوردي ، جـ١ ص١٤٣ .

[4] كتاب الأنساب للسمعاني ، ١٨٢/٤ .

[5] الطبقات لخليفه خياط ، ص٧٣ .

[6] الجمهرة ، ص٤٠٩.

[7] الأنساب للسمعاني ، ١٨٣/٤ .

١١٢هـ[1] وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي، الذي أرسله عبد الملك بن مروان في ألفين من أهل الشام مدداً إلى الحجاج بن يوسف الثقفي لقتال شبيب الحروري عندما هاجم الكوفة عام ٧٧ هـ ثم لقتال ابن الأشعث عام ٨٢هـ[2].

وعلى كل فقد كان موطنهم يبدأ من جنوب أم جحدم بتهامة الحجاز، ويمتد جنوباً حتى حدود ولاية فروة بن مسيك المرادي بتهامة اليمن، ويجاورهم جنوباً بطون من قبيلة عَكٍّ، وواقد من ثقيف، وبنو عقيل ابن كعب بن عامر، ويحاذيهم شرقاً بطون من حاشد وبكيل والأزد وغيرهم من القبائل التي لاتخضع لأية سلطة عليهم قبل الإسلام، وسوف تتضح الصورة أكثر عند التعرض للترتيبات الإدارية للدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ بالباب الرابع من هذا البحث .

وخلاصة هذا السرد للوقائع أنه منذ البعثة والوفود من أبناء المنطقة تترى، وتحث الخطى، سواء كانوا أفرداً أو جماعات، نحو الرسول ﷺ، تعلن إسلامها، وطاعتها، وانقيادها، ومن الوفود من ظل بجوار الرسول ﷺ، ومنهم من عاد لموطنه يدعو إلى الإسلام، حتى إذا كان فتح مكة عام ٨هـ، ومن ثم إسلام أهلها وأهل الطائف، إلا ودخلت جميع البوادي

---

[1] وكان ولياً للحسن بن هاني ، الشاعر المعروف بأبي نواس ، و قيل : بل هو منهم و ليس من موالي الجراح الحكمي ، انظر : نسب عدنان و قحطان للمبرد ، ص٢٩ ، و الجمهرة ، ص ٤٠٨ ، والأنساب للسمعاني ١٨١/٤ ، وانظر الطبري ، ٥٥٧/٦ ، ٥٥٩ ، و ٧/ ٢٠-٧٥.

[2] الطبري ، ٢٥٩/٦ ، ٢٧٧ ، والبداية والنهاية، ٩/ ٢٠-٤٦ .

والأحواز المحيطة بهما ممن لم يكن أسلم منهم من قبل، دخلوا فى حظيرة الإسلام جميعاً، وضمهم ترتيب إدارى واحد، نتحدث عنه فى موضعه كما سبق أن قلنا. ونتقل الآن إلى منطقة نجران، نتعرف وقائع الأحداث فيها منذ ظهور الإسلام .

## نجـــران :

اكتسبت نجران شهرة تاريخية بحادث الأخدود الـذى ورد ذكـره فـى القرآن الكريـم[1] وسبق أن تحدثنا عنه[2]، وحملت المنطقة اسـم أحـد أشـهر أوديتها الستة وهـو وادى نجـران[3] الـذى يخترقهـا مـن الشـرق إلى الغـرب، وتقـع عليه أشهر بلدانها، والتى كـانت ماعدتها فى ذلـك الوقـت (نجـران) وبجوارها بلـدة (رعـاش أوالحصن) موطـن نصارى نجران فقـد جـاء ذكرهـا فـى عهـد الخليفـة عمر بن الخطـاب إلى نصـارى نجـران، حيـث قـال: إلى أهـالى رعـاش كلهـم..، [4] وكـانت محاطـة بسـور منيـع، ولـذا كـان يطلـق عليهـا الحصـن، وكـان بداخلهـا مبنى الكنيسـة، ونلحـظ أنه يوم فتـح مكـة هـرب إلى نجـران كـلا مـن هبـيرة بـن أبـى وهـب المخزومى وعبـدا لله بـن الزبعـرى[5]، ولم

---

[1] سورة البروج.

[2] انظر ص٥٢-٥٦، من هذا البحث.

[3] فى بلاد عسير لفؤاد حمزة، ص ١٦٧، وقيل كـان هنـاك نهر يقـال لـه : البحيروان بيـت عليه تلـك الكنيسـة المشهورة، أو كما يقال عنها : كعبة نجران، وأنها بيت من قبة تتكون من ثلاثمائة جلد أدم، وأنه لم يكن يأتيهـا خائف إلا أمن، ولا جائع إلا شبع، وكان عبدالمسيح بن دارس بن معيفر، العاقب، يجنى مـن هـذا النهر عشرة آلاف دينار كل عام، ولهذا فقد كان غنيا، ولم ينجب إلا إبنة تزوجها يزيد بن عبد المدان، فـورث هـذا الثراء. الأغانى، ١٠/١٣٥ ومابعدها.

[4] كتاب الأموال لابن زنجويه، ١/٢٧٩، ومعجم ما استعجم للبكرى، ٢/٦٦٠.

[5] كان هبيرة بن وهب متزوجا من أم هانئ بنت أبى طالب، وأنجبت منه جعدة وهانئ، وكـان هـو وابـن الزبعرى يهجوان بشعرهما الرسول ﷺ ، والمسلمين فأباح دمهما يوم الفتح، فلما علما بذلك فرا إلى نجران يحتميان بهـا، فبعثت أم هانئ إلى هبيرة كى يعود بعد أن استأمنت له من النبى ﷺ ، فلـم يعـد، ثـم مـا لبـث أن مـات ـــ

يأمنا من الخوف ــ كما يقول الواقدى ــ حتى دخلا حصن نجران، فقيل لهما ما وراءكما؟ قالا: أما قريش فقد قتلت، ودخل محمد مكة، ونحن والله نرى أن محمداً سائر إلى حصنكم هذا، فجعلت بنو الحارث بن كعب يصلحون ما رثّ من حصنهم وجمعوا ماشيتهم فى الحصن[1] وكان يقيم بمنطقة نجران فى ذلك الوقت بطون من قبائل مختلفة منها:

- بطون من بنى الحارث بن كعب بن عمرو من مذحج وأشهرهم بنو عبد المدان بن عمرو بن الديان، وكانت لبنى الحارث سطوة وجاه، أصحاب زرع وتجارة، وكانت لهم مع غيرهم وقائع مشهورة لهم الغلبة فى معظمها ولذا فإن الرسول ﷺ سأل وفدهم حين قدم بإسلامهم: بم كنتم تغلبون من قبل من قاتلكم فى الجاهلية؟. قالوا، استحياء: لم تكن نغلب أحداً، قال: بلى، قد كنتم تغلبون من قاتلكم قالوا: كنا يا رسول الله نجتمع ولا نتفرق، ولا نبدأ أحداً بظلم قال: صدقتم، وأمّر عليهم قيس بن الحصين ذى الغصة[2] وكان يقصدهم الشعراء فيمدحونهم لينالوا جوائزهم، وقد مدحهم الأعشى قائلا:

--- مشركاً ولما ابن الزبعرى فكتب له حسان بن ثابت شعرا يحثه فيه على القدوم، والدخول فى الإسلام فعاد، وأسلم، واعتذر للرسول عليه السلام، وندم على ما كان منه، الجمهرة، ص ١٦٥ وابن الأثير ٢/٢٥٠.

[1] المغازى للواقدى، ص ٨٤٧، والطبرى ٦٢/٣، وابن الأثير، ٢/٢٥٠، والجمهرة، ص ١٤١، ١٦٥.

[2] سمى ذو الغصة، لغصة كانت تعتريه فى حلقه حين يتكلم، وكان فارسا من ذوى المرباع، أى الذين كانوا يأخذون ربع الغنيمة التى يغنمها قومه فى حروبهم مع غيرهم، حضرها أم لم يحضرها. أنظر سيرة ابن هشام ٢٤١/٤.

فكعبـة نجران حتمٌ عليـــ ـــك حتى تناخى بأبوابهـــا

نزور يزيـد وعبـد المسيـح وقيسـاً همـو خـير أربابهـــا

ونظرا لمنعتهم هـذه فلم يخضعـوا لهيمنـة أحـد، والكعبـة التـى عناهـا الأعشى هى البيعة أو الكنيسة التى بنوها فـى نجـران[1]، وقيـل لدريـد بـن الصمة وكـان فـارس هوازن، ولـه معهم وقـائع مشهورة: أينحو بنو الحـارث ابن كعب مـن هجائك؟ وقـد قتلوا أخـاك خـالدا ؟[2] فقـال: إن القـوم جمـرة مذحج، وهـم أكفـاء جشـم ـ أى قبيلـة دريـد ـ ولا يجمـل بـى هجـاؤهم، ولكنـه لم يلبث أن عـابهم بشعر، فرد عليه عبدالله بـن المـدان بشـعر ممـاثل ليس فيـه كثير هجوٍ[3]، منهم الربيع بن زياد بن عبد المدان والى خراسـان عام ٥١ هجريـة فى عهـد معاوية[4] .

– بطن من بنى يام بن أصبى بـن رافـع مـن حاشـد مـن همـدان وتفرعـت منهـم بطون عديدة، وكـانوا يتصفـون بـالقوة والمنعة، وكــان منهـم رجـال صـالحون: كزيـد بن الحـارث اليـامى، وابـن عمـه طلحـة بـن مطـرف النعلى اليـامى، وكـان أحدهمـا مـن شـيعة علـى بـن أبـى طـالب، والثـانى

---

(1) تاريخ ابن خلدون، ٢/٥٧، والأغانى، ١٠/١٣٥.

(2) قيل إن الذى قتله من أخوة دريد هو عبدالله بن الصمة، وليس خالدا.

(3) الأغانى، ٩/١٥، ١٦.

(4) الصورى، ٥/٢٨٥.

عثمانيا من أتباع معاوية، وكانا يلتقيان فلم تحدث من أحدهما للأخر كلمة خشنة إلى أن ماتا[1]

– قبيلة نهد بن زيد بن ليث، من قضاعة، وكان منهم حنظلة بن نهد، الذى كان يعد من أشراف العرب فى الجاهلية، وكانت له منزلة بعكاظ فى مواسم العرب، وكان يجاورهم فى منازلهم بنجران بنو عمومتهم من جرم، ثم وقع بينهم خلاف وتباعد، فلحقت نهد وحالفت بنى الحارث، ونزحت جرم إلى زبيد ببلادهم وحالفتهم، ثم ما لبث أن وقعت حرب بين بنى الحارث بن كعب وبين زبيد،؟ وكانت الواقعة فيها على زبيد، فعادت جرم مرة ثانية إلى بنى عمومتهم نهد، وأقاموا معهم بنجران حتى ظهر الإسلام[2] وكانت مواطنهم بنجران تتصل فى جنوبها الغربى بأرض بنى عقيل بن عامر، وأرض خثعم[3] بالقرب من تبالة، ومما لوحظ أنه فى عمرة الحديبية عام ٦هـ والرسول ﷺ مقيم على أبواب مكة، وقد منعته قريش من دخولها لأداء العمرة، والرسل تروح وتعود بينه وبين قريش، لقى بعض الصحابة جماعة من رعاة الشاة والنعم، يسوقون قطيعا ضخما، فاستوقفوهم وسألوهم من أين؟ قالوا: من بنى نهد نستتبع مواقع الغيث نرعى الشاة والإبل، فاشترى منهم الصحابة بعض ما كان معهم من لبن وغيره، وأخبروا الرسول ﷺ بأمرهم، فأذن لأصحابه أن يأكلوا مما

---

(1) الجمهرة، ص ٢٩٤.

(2) معجم ما استعجم للبكرى ٣٢/١، ٤٣، وتتمة المختصر فى أخبار البشر (تاريخ ابن الوردى) ١٤٠/١.

(3) الأغانى ، ١٤١/١١.

اشتروه منهم[1]، ونزحت منهم بطون عديدة إبان الفتوحات الإسلامية، واستوطنوا الشام والعراق، وخراسان، وإفريقيا، والأندلس، منهم قسورة ابن معقل النهدى ولى سجستان لبنى أمية، ومنهم المحدث عثمان النهدى، الذى أدرك الجاهلية وأسلم فى حياة النبى ﷺ ولم يره وأدى الزكاة لعماله ثلاث سنين ثم قدم المدينة فى عهد عمر بن الخطاب وشهد اليرموك، والقادسية، وغيرها، وتوفى وعمره مئة وثلاثون عاما[2] .

أما بنو جرم فأقبل وفد منهم على رسول الله ﷺ بالمدينة عام ٩هـ يتقدمه سلمة بن قيس الجرمى، والأصقع بن شريح الجرمى، وهوذة بن عمرو بن يزيد الجرمى، فأعلنوا إسلامهم، وإسلام من وراءهم من قومهم، وكتب لهم الرسول ﷺ كتابا على ما أسلموا عليه من أرضهم[3]

ونلحظ أن الراوى عن وفد قبيلة جرهم يعطينا صورة واقعية عن بعض ما كان يدور فى المنطقة إبان البعثة النبوية وعن مدى ارتباطها وتأثرها بما يحدث وسط بلاد العرب، وبالأخص مكة المكرمة. يقول عمرو ابن سلمة بن قيس الجرمى: كنا بحضرة ماء يمر الناس عليه، وكنا نسألهم: ما هذا الأمر الذى حدث فى مكة؟ فيقولون: رجل زعم أنه نبى الله، وأن الله أرسله، وأن الله أوصى إليه كذا .. وكذا. فجعلتُ لا أسمعُ شيئا مما

---

(1) المغازى، ص ٥٧٥، والسيرة الحلبية، ٧١٦/٢.

(2) البداية والنهاية لابن كثير، ٢١٢/٩، والجمهرة، ص ٤٤٦-٤٤٧.

(3) الطبقات لابن سعد، ٣٣٥/١، ٣٣٦.

يتلونه من القرآن إلا حفظته، كأنما يُغَرّى في صدري بغراء حتى جمعت وحفظت قرآنا كثيراً، وكانت العرب إذ ذاك تُعاب وتُلوّم لتركها دين آبائها إلى الإسلام، قبل فتح مكة، فيقولون: انتظروا فإن ظهر وانتصر على قومه فهو صادق، وهو نبي، فلما جاءتنا وقعة الفتح بادر كل قوم بإسلامهم، فانطلق أبي بإسلام حيِّنا وعشيرتنا مع رؤساء القبيلة، وأقام مع رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقيم، ثم أقبل، فلما دنا منا تلقيناه، فلما رأيناه، قال: جئتكم والله من عند رسول الله حقا، إنه يأمركم بكذا .. وكذا، وينهاكم عن كذا .. وكذا، وأن تُصلُّوا كذا .. وكذا .. وليؤمكم أكثركم قرآنا. فنظروا فلم يجدوا أحداً أكثر قرآنا مني، للذي كنت أحفظه من الركبان العابرين بحينا فقدموني بين أيديهم فصليت بهم وأنا أصغرهم[1]

وكانت أرض نهد وأرض جرم مجاورة لأرض بني عقيل بن كعب ابن ربيعة بن عامر، وذهب وفد عقيل بإسلامهم إلى رسول الله ﷺ، وبعد إعلان إسلامهم، قدموا للرسول ﷺ ما يثبت أن هناك واد في حوزتهم، وهو وادي العقيق، وكان به نخل ومياه، وقيل معدن، فكتبه الرسول ﷺ لهم في كتابهم[2]، وكان هناك عقيق آخر، ماء لبني جعدة وجرم، تخاصموا فيه إلى النبي ﷺ، مع بني عقيل فقضى به لبني جرم[3] وهو ماء

---

(1) الطبقات لابن سعد، ٣٣٧/١.

(2) مجموعة الوثائق السياسية، ص ٢٦٣، وطبقات ابن سعد، ٣٠٢،٣٠١/١.

(3) معجم البلدان لياقوت الحموي، ج٤، ص١٣٩، والجمهرة ص٤٥١.

فى أرض بنى عامر، كما جاء فى الاصابة[1] فقال أسماء بن رباب بن معاوية الجرمى، يخاطب عشيرته من جرم :

| | |
|---|---|
| وإنى أخو جرم كما قد علمتم | إذا جمعت عند النبى المجامع |
| فإن أنتم لم تقنعوا بقضائه | فإنى بما قال النبى لقانع |

كما كان بنجران بطن من شاكر، وسواها[2] والذين تنصروا كانوا من أفراد هذ القبائل ومن غيرهم، كما كانت بها طائفة حرفية تعمل فى صناعة الجلود، والنسيج وغيره مما اشتهرت به نجران. ويبدو أن معظم قبائل منطقة نجران كانت تضمهم تحالفات فيما بينهم.

وكانت تربطهم بقريش علاقات تجارية، بالإضافة إلى ترددهم على مكة فى مواسم الحج ممن لم يَتَنصَّر منهم، وكانوا هم الأغلبية من أبناء المنطقة، أما الذين تنصروا فقد بلغهم خبر بعثة رسول الله ﷺ من المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة، فالظاهر أنهم كانوا يترددون عليها لأنه تجمعهم ديانة واحدة، فقدم وفد منهم إلى مكة قبل الهجرة، وسألوا عن رسول الله ﷺ، فوجدوه جالسا حول الكعبة، فجلسوا إليه، وأخذوا يسألونه، ثم قرأ عليهم القرآن، فسالت أعينهم من الدمع، ويقال إنه نزل فى شأنهم قوله

---

[1] الاصابة، ج١، ص٣٩، ٤٠، ترجمة اسماء بن رباب، وفى معجم البلدان، أن قائل هذين البيتين هو معاوية بن عبد العزى بن ذراع الجرمى، بينما فى الاصابة أن قائلهما هو اسماء بن رباب، بالباء بعد الراء.

[2] الهمدانى، ص ٢٧٩.

تعالى: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق﴾[1] فقد عرفوا أنه الموصوف فى كتابهم، لكنهم قاموا، وقالوا: ننظر ونرى، فلما قاموا من حول الرسول ﷺ إعترضهم نفر من قريش، فقالوا لهم خيبكم الله من ركب، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون الأخبار لهم، لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى كدتم تفارقون دينكم، وتصدقوه فيما قال ؟! لا نعلم ركبا أقل وأحمق عقلا منكم. فقالوا لهم: لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه[2].

لكن للمرء أن يتساءل إذا كان أصحمة ملك الحبشة قد تعاطف مع المسلمين الذين هاجروا إلى بلاده، وحماهم من قريش عندما بعثت تطلب ردهم إليها فامتنع، وازداد عطفه عليهم، وفى بعض الروايات يقال إنه أسلم[3]، أفلم يكن من الأولى بنصارى نجران أن يتبعوا الرسول ويدخلوا فى حظيرة الإسلام؟ خاصة وأن النبى الذى ينتظرونه جاء من بين العرب وأن غالبيتهم عرب مثله، أحرى بهم أن يدعموه، ويسارعوا فى تأييد ما جاء به، لكن يبدو أن الرهبانية قد فعلت فعلها فيهم، ورانت على أبصارهم غشاوة العصبية لعقيدتهم[4] أو خشوا على مناصبهم مثل غيرهم

---

(1) سورة المائدة، آية ٨٣.

(2) السيرة الحلبية، ٢/٣٨.

(3) ابن الأثير، ٢/٢١٣.

(4) تاج العروس، للزبيدى، يقول أنه كان بالبيعة (الكنيسة) أساقفة متيمون، أى ترهبنوا، ٣/٦٥٥.

ممن لم يسلموا لهذا السبب.. لكن الحقيقة أنه أسلم منهم أناس، وحتى الذين لم يسلموا ظلوا موادعين ومسالمين، ولم ينحرفوا غالبا ـــ في تيار النزاع بين المسلمين وخصومه كما فعل اليهود من بني قينقاع، وبني النضير، وقريظة، وخيبر. ولذا نلحظ أن جيوش المسلمين التي وجهت إلى المنطقة لم ترغمهم على الدخول في الإسلام، مثلما أرغمت القبائل جيرانهم التي تدين بالوثنية على الدخول في الإسلام، وإنما خيرتهم بين الإسلام، أو دفع الجزية إن استمروا على نصرانيتهم، وهو مبدأ إسلامي في غاية العدل والإنصاف بالنسبة لمعاملة أهل الكتاب بصفة عامة، ثم وَفَد منهم وفد على النبي ﷺ بالمدينة في السنة العاشرة من الهجرة. وقيل كان لهم فيما بعد إتصال بالأسود العنسي[1]

واختلف في عدد الوفد[2] ولما قدموا المدينة، دخلوا المسجد وجلسوا إلى الرسول ﷺ فعرض عليهم الإسلام، وتلى عليهم القرآن، فامتنعوا وقالوا:

قد كنا مسلمين قبلك، فقال لهم: كذبتم، يمنعكم من الإسلام ثلاث: عبادة الصليب، وأكلكم لحم الخنزير، وزعمكم أن لله ولداً.

---

(1) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي، ص ٤٦٣، طبعة قطر.

(2) فمن قال إنهم كانوا أربعة عشر، الطبقات لابن سعد، ١/٣٥٧، ومن قال إنهم كانوا ستين، السيرة الحلبية، ٣/٢٣٥، ٢٣٦.

وجلسوا يحاورن الرسول، حتى هَمَّ بمباهلتهم، فتراجعوا وطلبوا الموادعة والصلح، فصالحهم، وكتب لهم بذلك كتابا للصلح جاء فيه : عليهم دفع جزية ألفى حلة منها ألف تدفع فى رجب، وألف فى صفر[1]، وكل حلة أوقية (أى قيمتها أوقية من فضة)، وعليهم مثواة (أى ضيافة) رسلى عشرين يوما فدون ذلك، وعليهم عارية" ثلاثون درعاً، وثلاثون فرساً، وثلاثون بعيراً، إذا كان باليمن كيد (للمسلمين) وما هلك مما أعاروا رسلى من دروع، أو خيل أوركاب فهو ضمان على رسلى حتى يؤدوه إليهم ولنجران (أى النصارى منهم) وحاشيتهم جوار الله، وذمة محمد النبى ﷺ على أنفسهم، وملتهم، وأرضهم، وأموالهم، وغائبهم وشاهدهم، وبيعهم وصلواتهم، لا يُغَيّر أسقف عن أسقفيته، ولا راهبا عن رهبانيته، ولا واقفا عن وقفانيته، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ليس ربا (أى لا يتعاملوا بالربا) ولا دم جاهلية، ومن سأل منهم حقا فبينهم النَّصف، غير ظالمين، ولا مظلومين لنجران، ومن أكل ربا من ذى قبل، فذمتى منه بريئة.

وشهد على هذه الصحيفة كل من أبى سفيان بن حرب وغيلان بن عمرو، ومالك بن عوف النصرى، والأقرع بن حابس، والمستورد بن

---

[1] عن كل حالم : أى بالغ، حلة واحدة فى العام كما هو الشأن فى معاملة أهل الذمة بالمناطق الأخرى كاليمن، وعمان، والبحرين.

عمرو، والمغيرة بن شعبة، وعامر مولى أبى بكر الصديق[1]، وكان وفدهم يتقدمه من رؤساء نصارى نجران كل من العاقب، وهو عبدالمسيح بن دارس بن عربى بن معيفر، من كندة، وكان يعتبر أميرهم وصاحب مشورتهم وكذلك السيد أبو الحارث بن علقمة، قيل إنه من بكر وائل[2] وهو أسقفهم وحبرهم، وأخوه كرز بن علقمة، وبشير بن معاوية بن علقمة النجرانى وغيرهم، وكانوا قد طلبوا من الرسول ﷺ قبل عودتهم أن يبعث معهم رجلا أمينا يحكم بينهم فى بعض الأمور، ويقبض الجزية، ومن ثم يعود. فقال لهم: سأبعث معكم أمينا، أىّ أمين؟ ونادى أبا عبيدة بن الجراح وقال لهم: هذا أمين هذه الأمة، ثم لحقهم أبو عبيدة بعد رحيلهم[3]، فكان هو أول من قبض الجزية من نصارى نجران.

وفى طريق عودتهم كان الأسقف أبو الحارث يركب دابة فعثرت به فذكر أخوه بشير ـ الذى كان يسير على مقربة منه ـ النبى ﷺ بسوء وهو يزجر الدابة، فزجره أخوه الأسقف قائلا: لقد ذكرت نبيا مرسلا بسوء، فقال بشير فى عجب: لا جرم، والله لا أحل عن دابتى حتى ألحق به، وأتبعه، ثم ضرب وجه دابته نحو المدينة فأسلم، وظل ملازما للرسول

---

[1] الطبقات لابن سعد ٢٨٨/١، ٣٥٧، والطبرى ١٣٩/٣، وابن الأثير ٢٩٣/٢، والسيرة الحلبية ٢٣٥/٢-٢٣٦، وكتاب "الأموال" لحميد بن زنجويه، ٤٤٩/٢، والأموال لابن سلام، ص ٣٩، والبداية والنهاية لابن كثير، ٦٠/٥-٦٥.

[2] تاريخ بن خلدون، ٥٧/٢، وفيه : أبو حارثة، بدلا من أبى الحارث.

[3] الإصابة لابن حجر، ٢٥٢/٢، ترجمة أبى عبيدة، وقيل : ذهب مع وفد غير نصارى نجران، وانظر : التبيين فى أنساب القرشيين لموفق الدين بن قدامة، ص ٤٤١، وسيرة ابن هشام ٢١٩/٢، والتراتيب الإدارية ٣٩٢/٢.

ﷺ بالمدينة، يجاهد حتى استشهد فى أحد المعارك[1] وما أن استقر الوفد بنجران قليلاً، حتى عاد العاقب عبدالمسيح، والأسقف أبو حارث إلى المدينة، فأسلما وحسن إسلامهما[2] وعادا إلى موطنهما نجران ليكونا ضمن الدعاة إلى الإسلام.

ثم أقام نصارى نجران على ما كتب لهم به النبى ﷺ حتى قبضه الله، ولما ولى أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ جدد لهم عهدهم، وفى بداية عهد عمر رضى الله عنه، أصابوا ربا، وكان فى عهدهم شرط ألا يأكلوا الربا، فأجلاهم عمر عن نجران[3]، وقيل كانوا قد تكاثروا وتحاسدوا فيما بينهم، فأتوا عمر بن الخطاب وطلبوا منه أن يجليهم عن نجران إلى موقع آخر، وكان عمر قد خافهم على المسلمين بالمنطقة، فاغتنمها فرصة وأجلاهم، أو وافق على إجلائهم، ولكنهم ما لبثوا أن ندموا وأرادوا أن يتراجعوا، وأتوا عمر يطلبون منه أن يستقيلهم من طلبهم الجلاء فأبى عمر[4]، وقيل أخرجهم لحديث روى عن رسول الله ﷺ فى مرضه الذى توفى فيه أنه قال : لئن عشت لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب، حتى لا أدع فيها إلا مسلماً، وفى رواية : لأخرجن

---

[1] طبقات ابن سعد، ١/٣٥٨، الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر، ١/٣١٥.
[2] طبقات ابن سعد، ١/٣٥٨، وابن الأثير، ٢/١٩٣،١٩٤. وابن خلدون، ٢/٥٧.
[3] السيرة الحلبية، ٢/٧٧١، طبقات ابن سعد، ١/٣٥٨، وابن الأثير، ٢/١٩٤.
[4] ابن الأثير، ١/٣٥٨، وكتاب "الأموال" لحميد بن زنجويه، ١/٢٧٦.

اليهود، والنصارى من الحجاز، وفي رواية أخرى : لا يجتمع فيه دينان[1]، ويقول البعض إن مقصد الرسول ﷺ إخراجهم من الحجاز بدليل الرواية التي تنص على ذلك، وليس من جميع بلاد العرب، ولذا فإن عمر أجلاهم عن الحجاز فقط، فأجلى بقية اليهود الذين كانوا بخيبر، وفدك، و النصارى من نجران لأن نجران تعد آخر مناطق الحجاز و لم يجلهم عن تيماء، وهي من جزيرة العرب لكنها ليست من الحجاز، و لم يجل آخرين في مناطق أخرى من بلاد العرب[2] وقد جرت مناقشات في القرن الثاني عشر الهجري بين فقهاء الزيدية حول مسألة إقامة اليهود في اليمن، وكان من رأي بعضهم أن قول الرسول ﷺ لا يسري على اليمن[3] ولعل هذا يؤكد ما سبق أن قلناه عن نجران من كونها مرتبطة بالحجاز وجزء منه.

وقد كتب لهم عمر كتابا عند جلائهم يوصي بهم من نزلوا لديه من أمراء الشام والعراق، وفي المكان الذي يودون النزول فيه، وأن يوسعوا عليهم الأرض التي يريدونها وكان قد عوضهم أثمان أرضهم وبيوتهم وكل ما تركوه، وما لم يستطيعوا حمله معهم[4]، وهذا يعني أن بلدهم وأرضهم التي عوضهم عنها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أصبحت ملكا

---

(1) أنظر : أبو داود، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وكتاب الأموال لابن سلام، ص ١٤١-١٤٢.

(2) أنظر : السيرة الحلبية، ٧٧١/٢، والأحكام السلطانية للماوردي، ص١٦٧، ١٦٨، وابن الأثير ٢٩٣/٢.

(3) كتاب اليمن قبل الإسلام، م.ب بيتروفسكي، ترجمة الشعبي، ص ٢٤١.

(4) كتاب الأموال للقاسم بن سلام، ص ١٤٣، والسيرة الحلبية، ٧٧١/٢، والطبقات لابن سعد ٣٥٨/١.

للدولة يستثمرها لصالح الدولة، كما استثمرت أراضي بني قينقاع والنضير، وقريظة، ثم خيبر في عهد الرسول ﷺ .

وعلى كل فإن هذا هو موقف نصارى نجران، أما موقف القبائل أو بالأحرى موقف أهل الحضر والبادية وهم الغالبية الغالبة في نجران فقد كان للإسلام معهم موقف آخر، أي لا صلح ولا دفع جزية كالنصارى أو اليهود، وإنما كانوا مثل بقية العرب، في بلاد العرب خاصة، لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، ودعونا ننظر تتابع الأحداث وترابطها في خلال فترة تكوين الدولة في عهد الرسول ﷺ.

كان بنو الحارث بن كعب لهم صولة ومنعة في الجاهلية، ودخلوا في تحالفات مع القبائل الأخرى بنجران، كبني نهد وجرم[1]، وغيرهم، فازدادوا بذلك قوة ومنعة، وربما يكون إحساسهم بقوتهم دفعهم إلى التباطؤ في الدخول إلى الإسلام، وليس مثل القبائل المجاورة لهم في الشمال الغربي، خثعم، والأزد، وبجيلة ، وغيرها، فقد كانت ديار بني نهد ويسام، وجرم، وهي قبائل معظمها نجرانية تجاور ديار خثعم، وغيرها في الجنوب من بيشة وتبالة[2]، وهذه أسلمت، وتباطأ بنو الحارث بن كعب ومن

---

(1) الطبقات لابن سعد، ٢٦٨/١، وابن الأثير ٦٣٣/١، والبداية والنهاية لابن كثير ١١٠/٥-١١٢، وأيضاً معجم ما استعجم للبكري ٤٣/١، ونزحت بطون عديدة من نهد خلال الفتوحات.

(2) صفة جزيرة العرب للهمداني ص ٢٥٣،٣٥٢ جاء فيه "ليام وطن بنجران، يطرد ويتتابع منها ناحية الحجاز إلى حدود زبيد ونهد من ناحية حارة، وملاح، وعتاد، فإلى ما يصاقب عليف دكم من أعالي جبونة.

حالفهم بنجران، مما دعا الرسول ﷺ إلى أن يبعث لهم خالد بن الوليد يقود أربعمائة من المسلمين إليهم في شهر ربيع الأول عام ١٠هـ[1]

وأمر الرسول ﷺ خالدا، إذا نزل بساحتهم أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثة أيام، قبل أن يقاتلهم، فإن استجابوا للإسلام قبله منهم، وإن لم يستجيبوا قاتلهم، فخرج خالد حتى قدم عليهم بلادهم فبث الركبان يضربون في كل وجه، يدعون الى الإسلام ويقولون: أيها الناس أسلموا تسلموا. فأسلم الناس ودخلوا فيما دعوا إليه، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وبذلك دخل أهل نجران جميعا في الإسلام، حاضرتهم، وباديتهم، ـ فيما عدا أهل الذمة، النصارى ـ وكتب خالد بذلك للرسول ﷺ يعلمه بإسلامهم وطاعتهم، فكتب له الرسول ﷺ أن يقبل إلى المدينة، وليقبل معه وفدهم[2] وكان خالد خلال إقامته بنجران يعلم أهلها الدين ويفقههم هو ومن معه من الصحابة بأمور الإسلام، وكان يبث الركبان والدعاة إلى القبائل اليمنية المجاورة، وبالأخص قبيلة مذحج، التي كانت تقيم فيما بين صعدة وصنعاء في الجنوب الشرقي من تلك المنطقة، ومذحج بطون وأفخاذ عديدة، منهم من كان أسلم ومنهم من هو متباطئ، فبعث إليهم خالد الدعاة فلم يستجيبوا، ويبدو أنه أفاد

---

[1] طبقات ابن سعد، ٣٣٩/١، وقيل ذهب إليهم في جمادى الأولى، سيرة ابن هشام، ٢٣٩/٤، ويقول محقق سيرة ابن هشام في تعليقه على نجران : إنها بلد بين اليمن وهجر. أي أنها ليست من اليمن.

[2] سيرة ابن هشام، ٢٣٩/٤، والطبقات، ٣٣٩/١، وتاريخ ابن خلدون، ٥٣/٢، والطبري، ١٢٦/٣ وبهجة المحافل وبغية الأماثل، لابن يحيى العامري، ٧٥/٢،٧٦، والبداية والنهاية ١١١/٥.

الرسول ﷺ بموقف هؤلاء المتباطئين، لكي يأذن له بقتالهم .. لأن مهمته التي حددها له الرسول ﷺ، هي قبائل نجران، ولأن خالد استمر بنجران حوالي ستة أشهر، فإن الرسول ﷺ، أراد أن يوكل مهمة قبائل مذحج وغيرها من القبائل التي لم تسلم بعدُ بأرض اليمن إلى قائد آخر غير الذي طالت غيبته، فأوكل تلك المهمة إلى علي بن أبي طالب بدلا من خالد، وطلب من خالد أن يقدم بوفد من أهل نجران الذين أسلموا، وكانت تعليمات الرسول، إلى علي بن أبي طالب أن يذهب أولا إلى نجران ليقابل خالد ويقبض منه خمس ما معه من الغنائم، وماقبضه من زكاة ممن أسلموا، أو جزية من النصارى، وأن يخير جنود خالد في البقاء معه أو العودة مع خالد، ومن أراد منهم الإستمرار في الجهاد فلينضم إلى من معه من جند، وكان مع عليّ حين خرج من المدينة ثلاثمائة جندي[1] كما كان ضمن التوجيهات النبوية لعلي ألا يقاتلهم إذا نزل بساحتهم حتى يقاتلوه، فإن قاتلوه فلا يقاتلهم حتى يقتلوا منه قتيلاً، وأن يبدأ بدعوتهم إلى الإسلام وأن يحرص على إسلامهم دون قتال، وقال له: لأن يهدي الله على يديك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت[2] فانطلق إليهم علي بن أبي طالب وكما يقول أهل السير والمغازي، كانت خيله أول خيل دخلت تلك البلاد ـ أي أرض اليمن ـ وبدايتها أرض مذحج[3] بين

---

[1] بهجة المحافل وبغية الأماثل، لابن يحيى العامري، ٢/٧٨، وسيرة ابن هشام، ٤/٢٠١-٢٠٥.

[2] المغازي للواقدي، ص ١٠٧٩، والطبقات لابن سعد، ١/١٦٩.

[3] أنظر السيرة الحلبية ٣/٢٢٤، والمغازي للواقدي، ص ١٠٧٩، وطبقات ابن سعد ٢/١٦٩.

صعدة وصنعاء المجاورة لنجران ويقول البراء بن عازب، وكان ممن عَقَّب مع علي، أي انتقل من جيش خالد إلى جيش علي، أي أنه كان قبلُ في نجران يقول: فلما انتهينا إلى أوائل اليمن بأرض مذحج[1]، وهذا قول صريح في أن أرض مذحج هي أول اليمن وليس قبلها شيء .. وكان هذا الجيش هو الجيش الوحيد الذي دخل أرض اليمن حتى توفي رسول الله ﷺ، وقد حدثت معه بعض مناوشات يسيرة من بعض مذحج، ثم أسلموا، فتقدم إلى أرض همدان فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا، وكانت بطون من همدان ومذحج وغيرهم أسلموا قبل ذلك. فكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ [2] ثم وافى رسول الله بمكة في حجة الوداع ليؤدي معه الفريضة، وخلف على الجيش أحد القواد وهو عائد، أما خالد بن الوليد فقد عاد إلى المدينة ومعه وفد بني الحارث بن كعب، منتصف شوال عام ١٠هـ، وكان الوفد يتقدمه كل من: قيس بن الحصين ذي الغُصَّة، وكان من ذوي الشأن والمكانة، حتى أن الخليفة عمر بن الخطاب وقف يوماً يخطب الناس في خلافته، وتحدث عن موضوع تحديد الصداق ـ أي تحديد مهور النساء ـ فقال في خطبته: لا تزدد امرأة في صدقتها عن كذا .. وكذا .. ولو

[1] الطبري، ٣/١٣١، وتاريخ ابن خلدون، ٢/٥٥، وفيه فلما بلغ علي بن أبي طالب أوائل اليمن (هكذا)، وانظر أيضا المغازي للواقدي ص ١٠٧٩، والطبقات لابن سعد، ١/١٦٩.

[2] ابن الأثير، ٢/٣٠٠، والطبري، ٣/١٤٨، والسيرة الحلبية، ٣/٢٢٤

كانت بنت ذي الغصة[1]، كما كان ضمن الوفد يزيد بن عبد المدان، وكان بنو عبد المدان هم أولو الأمر في بني الحارث بن كعب بنجران في ذلك الوقت، ومن الوفد أيضا أخوه يزيد بن عبد المدان، ويزيد بن المحجل، وعبد الله بن قراد الزيادي، وشداد بن عبد الله الضبابي وعمرو بن عبد الله الضبابي، وعند قدومهم المدينة أنزلهم خالد بن الوليد لديه حتى استراحوا وأصلحوا من هندامهم، ثم صحبهم إلى رسول الله ﷺ فسلموا وأعلنوا إسلامهم ومبايعتهم، وتقول بعض الروايات إن الرسول قال لهم بعد أن سلموا، أنتم الذين إذا زُجِرُوا استُقدموا، قالها لهم على سبيل التقريع لتباطئهم في الانضمام إلى الإسلام حتى وطأتهم الخيل[2]، ثم أخذ الرسول ﷺ يتحدث معهم عن حروبهم في الجاهلية، وكيف كانوا يتغلبون على من حاربهم، وهو دليل على قوة بأسهم في الجاهلية، وكانوا قبيل الإسلام وقعت بينهم وبين كندة حرب أسروا خلالها الأشعث بن قيس الكندي، فافتدى بثلاثة آلاف بعير، وكانت تعد أكبر فدية دفعت لعربي حتى ذلك الوقت[3]، وبعد أن أكرمهم الرسول ﷺ وأهداهم كما يهدي الوفود، أمّر عليهم قيس بن الحصين وعادوا إلى نجران أواخر شوال عام ١٠هـ، ثم بعث الرسول ﷺ خلفهم عمرو بن حزم الأنصاري ليفقههم في الدين

---

[1] أنظر : بهجة المحافل وبغية الأماثل، لأبي بكر العامري، ٢/٧٥، والظاهر أن خطبة عمر هذه هي التي اعترضت فيها المرأة القرشية على قوله في تحديد المهور، مستدلة بكتاب الله، مما جعل عمر يقول: أصابت امرأة وأخطأ عمر، أو قال : كل الناس أفقه منك ياعمر، أنظر كتاب "مناقب أمير المؤمنين عمر لابن الجوزي" ص١٤٩.

[2] سيرة ابن هشام ٤/٢٣٩-٢٤١، وتاريخ ابن خلدون، ٢/٥٣، وبهجة المحافل ص٧٦.

[3] جمهرة أنساب العرب، ص ٤٢٦.

ويأخذ منهم صدقاتهم وزكاتهم، وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهداً وأمره فيه بأمره، ويقول عنه بن خلدون: إنه كتاب وقع في السير مرويا واعتمده الفقهاء في الإستدلالات، وفيه أسس كثير من الأحكام الفقهية[1]، وكان قيس بن الحصين يعتبر أميرا على بني الحارث بن كعب فقط، ويبدو أنه كان لكل قبيلة أمير، والجميع يخضعون لرئاسة عمرو بن حزم لأن هذا هو الملاحظ في المناطق الأخرى.

المهم أن عمرو بن حزم استمر وليا على منطقة نجران بكاملها في عهد الرسول ﷺ مع أنه كان يقدم إليها بعض الصحابة، إما لحمل باقي الصدقة إلى المدينة، أو لتعليم الناس أمور دينهم، ثم يعودون عند انتهاء مهمتهم إلى المدينة مثل أبي سفيان بن حرب الذي أرسله النبي ﷺ ليفقه الناس في أمور دينهم ويؤمهم في الصلاة، وراشد بن عبد ربه السلّمي للنظر في قضايا الناس، وقال شعرا وهو بنجران جاء فيه[2]:

صحا القلب من سلمى وأقصر شأنه ... وردت عليه ما نفته تماضر

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عينا بالإياب المسافر

---

[1] تاريخ بن خلدون، ٥٣/٢، ٥٤، وبهجة المحافل، ٧٦/٢، والتراتيب الإدارية للكتاني، ١٦٨/١، وسيرة ابن هشام ١٩٠/٤، ٢٤١، ومجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي، للدكتور محمد حميد الله، ص ٢٧٣.

[2] العقد الفريد لابن عبدربه، ٥١/٢، ونسب ابن كثير في البداية والنهاية ١٠٩/١٠ البيت الثاني إلى معقر بن أوس البارقي، وقيل : إن أبا سفيان بن حرب أرسل أميرا على نجران في عهد أبي بكر الصديق.

ويبدو أن القبائل فى المنطقة كانت بحاجة إلى من يساعد عمرو بن حزم الأنصارى فى بداية عمله، وبعد أن استقرت الأمور، عاد أبو سفيان وابن السلمى إلى المدينة، وبقى ابن حزم وهو الوالى المقيم بالمنطقة، واستمر كذلك حتى فتنة العنسى، ثم ذهب إلى المدينة عند وفاة الرسول ثم ذهب إلى العراق حين اقتضت الظروف، والتوسع فى الفتوحات تواجده فى تلك الميادين فاستدعاه أبو بكر الصديق للذهاب مددا لخالد بن الوليد، وكان قد خلفه والياً على نجران، جرير بن عبد الله البجلى، ولما استدعى أيضا إلى العراق خلفه على ولاية نجران يعلى بن أمية[1] الذى أشرف على إجلاء نصارى نجران، بأمر من عمر[2]، وقيل: ذهب عمرو بن حزم إلى العراق أواخر عهد أبو بكر، وبقى مع المثنى بن حارثة عندما تركهم خالد واتجه إلى الشام[3] .

وممن ينسب إلى نجران التى هى من أعمال مكة، كما يقول الزبيدى: بشر بن رافع النجرانى، أبو الأسباط، ومحمد بن عمرو بن حزم الأنصارى، قتيل يوم الحرة، لأنه ولد بها فى حياة الرسول ﷺ وقت أن كان أبوه واليا عليها، وعبيدة بن العباس بن الربيع النجرانى[4] .

---

(1) يعلى بن أمية : هو يعلى بن أمية بن أبى عبيدة بن همام بن الحارث، الحنظلى، التميمى، نسب أحيانا إلى أمه: منية بنت جابر، عمة عتبة بن غزوان بن جابر المازنى، الذى اختط البصرة، وقيل : أخت عتبة، وقد نسب إليها يعلى، فقيل ابن منية، وهو صحابى جليل، له دور بارز فى حروب الردة بالمنطقة، الجمهرة ص ٢١٣، ٢٢٩، وابن الأثير، ٢/٤٠.

(2) كتاب "الأموال" لحميد بن زنجويه، ٢٧٩/١.

(3) الأخبار الطوال للدينورى، ص ١١٢.

(4) تاج العروس للزبيدى، ٥٥٦/٣.

ويتضح من هذا العرض أن نصارى نجران أسلم بعضهم وأقام البعض الآخر على نصرانيته، وأعطى لهم الرسول ﷺ عهداً لأمانهم فى ظل الإسلام بشروط نص عليها فى العهد مقابل دفع جزية، أما القبائل العربية فى نجران، وهم الغالبية فأسلم بعضها مبكراً، وأسلم الباقى منهم على يد خالد بن الوليد، ثم أقام بينهم فترة يفقههم فى أمر الدين، وفى الوقت نفسه بث الدعاة والركبان إلى القبائل المجاورة من بطون مذحج بأرض اليمن. ولما كانت مهمته هى نجران فقط، فقد أرسل الرسول ﷺ علياً بن أبى طالب إلى أرض اليمن، فبدأ ببطون مذحج، وكانت خيله أول خيل وطئت أرض اليمن كما يقول المؤرخون.

## ٣- موقف الملوك والحكام من الإسلام :

عند ظهور الإسلام كانت هناك قوتان عظميان تحيطان ببلاد العرب أو بالأحرى بوسط شبه الجزيرة العربية من الشمال، هما دولة الروم البيزنطية، ودولة الفرس الساسانية، وقد استحكم التنافس والصراع بينهما وتوزعت هيمنتهما على كثير من الأمم والشعوب، حيث نجد أن الحبشة كانت تربطها بدولة الروم التوافق في العقيدة، وما يتبع ذلك من الأمور الإقتصادية والسياسية، كما كانت تخضع للروم وتأتمر بأوامرها كل الممالك والإمارات التي كانت تحكم الشام وفلسطين ومصر وغيرها حيث كانت شعوبهم تدين بالنصرانية.

أما دولة الفرس الساسانية فقد امتدت رقعتها إلى كثير من شعوب شرق آسيا كما امتد نفوذها إلى جنوب شبه الجزيرة العربية منذ أن استعان بهم سيف بن ذى يزن الحميرى عام ٥٧٥م لطرد الحبشة من اليمن[١]، واستمر نفوذهم فيها حتى ظهور الإسلام.

ولأن رسالة النبي محمد ﷺ رسالة عامة للناس كافة وليست مقصورة على العرب وحدهم أو الجزيرة العربية دون سواها فقد كان من كمالات الرسالة أن يبلغها لرؤوس الأشهاد، عربهم وعجمهم، حتى لا

---

[١] اليمن الخضراء، ص ٤٠٨.

يكون للناس على الله حجة بعد البلاغ، ومقتضيات التبليغ.. ولأن رؤوس القوم وسروات الرجال، هم الرعاة والحكام وأولو البأس والرأى فيهم، فقد بعث الرسول ﷺ كتبا إلى هؤلاء حَمَّلهم فيها تبعة عدم إسلامهم وعدم إسلام رعاياهم، لأنهم تبعا لهم قبولا أو رفضا، وكما يقال : الناس على دين ملوكهم، أى تابعون لهم فيما يدينون به، وفى كل ما يفعلونه.

لما رجع الرسول ﷺ إلى المدينة من الحديبية عام ٦هـ بعد عقد هدنة مع قريش لعشر سنوات، وتهيأت الأسباب لمخاطبة هؤلاء الملوك والحكام وإبلاغهم ما أمره الله بإبلاغه. اختار ستة من أصحابه كل منهم يتكلم لغة القوم الذين بعث إليهم، وخرجوا من المدينة فى وقت واحد أوائل العام السابع الهجرى، وقيل يومها للرسول ﷺ إن الملوك لا تقرأ كتابا إلا إذا كان مختوما فاتخذ خاتما منذ ذلك اليوم[1] يوقع به على كافة مكاتباته.

خرج عمرو بن أمية الضمرى حاملا كتاب الرسول ﷺ إلى النجاشى ملك الحبشة، وكان المسلمون المهاجرون مازالوا هناك، جعفر بن أبى طالب ومن كان معه من المهاجرين، فيقال: إن النجاشى عندما قرأ الكتاب أسلم وبعث بإسلامه مع جعفر وعمرو بن أمية الضمرى، وبقية المهاجرين الذين عادوا من الحبشة، ووافوا الرسول ﷺ بخيبر، هم ووفد الأشعريين والدوسيين فقسم لهم أسهما من مغانم

---

[1] طبقات ابن سعد ٢٥٨/١، والسيرة الحلبية ٢٨١/٣، والطبرى ٦٥٢/٢، والمقدمة لابن خلدون ص ٢٢٠.

خيبر[1]، وقيل لم يسلم النجاشي[2]، وعلى كل فإن موقفه يعتبر موقف المسالم الموادع، ولذا نلحظ أنه لم توجه له الجيوش مثلما وجهت إلى الروم والفرس.

وخرج دحية بن خليفة الكلبي يحمل كتابا إلى قيصر الروم، وكان على مقربة من مدينة حمص بالشام، لأنه كان قد نذر إن نصره الله على الفرس، الذين كانوا يحتلون جزءا من بلاده، أن يمشي حافي القدمين من القسطنطينية عاصمة ملكه إلى بيت المقدس بفلسطين، فكان وقتها ينفذ نذره، وشاع خبر مسيره ذاك، فأمر الرسول ﷺ دحية أن يدفع الكتاب إلى حاكم بُصرى، وهو بدوره يرفعه إلى قيصر، فدفعه إليه وهو بحمص فقرأه قيصر واستدعى دحية وجعل يسأله عن أشياء من أمور الإسلام، ومن خصائص الرسول ﷺ. ثم بعث من يبحثون في بلاده عن أحد من العرب فجاؤوه بأبي سفيان بن حرب، وكان في تجارة بالشام، ولم يكن أبو سفيان قد أسلم بعد فجعل قيصر يسأل وأبو سفيان يجيب، ويصدقه فيما يقول، مخافة أن يتهم بالكذب أمام قيصر .. ثم سأل بطارقة الروم وغيرهم حتى تيقن من نبوة الرسول محمد ﷺ ولكنه خاف إن أظهر إسلامه ألا

---

[1] طبقات ابن سعد، ١/٢٥٨، ٢٥٩، والسيرة الحلبية ، ٣/٢٩٣-٢٩٥.

[2] السيرة الحلبية، ٣/٢٩٤، نقلا عن ابن حزم، وانظر أيضا المواهب اللدنية ٢/١٤١، وفيه أن النجاشي الذي هاجر في عهده المسلمون إلى الحبشة (وهو أصحمة) هو الذي أسلم وبعث - بإسلامه إلى الرسول ﷺ وهو الذي زوجه أم المؤمنين حبيبة بنت أبي سفيان، وصلى عليه الرسول ﷺ عند وفاته، أما الذي بعث إليه عمرو الضمري فلم يسلم.

يتبعه رؤساء الروم، وأن يخلعوه فآثر ملكه على الإسلام[1]، فضاع منه ملكه الذى استأثر به، ثم ما فتئ أن انضوى ملكه تحت راية الإسلام.

وانطلق حاطب بن أبى بلتعة اللخمى حاملا كتابا إلى المقوقس عظيم القبط بمصر، وكان يقيم فى ذلك الوقت بالأسكندرية، ويوجد حاكم عسكرى رومانى يقيم بالقاهرة، بالحصن الذى اقتحمه عمرو بن العاص عند فتحه مصر، فكان بها حاكم للأمور الدينية وآخر عسكرى، ومتولى الأمور الدينية أولى بالخطابة فى مثل تلك الأمور، وقد تسلم المقوقس الخطاب وقرأه، وأكرم حاطب، ثم بعث معه بهدية إلى رسول الله ﷺ وجاريتين إحداهما مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ولما عاد حاطب وأخبر الرسول ﷺ بما فعل معه المقوقس، قال الرسول ﷺ ضن الخبيث بملكه، ولا بقاء لملكه[2]، وقد كان.

وحمل عبدالله بن حذافة السهمى خطابا إلى كسرى يدعوه فيه إلى الإسلام فلما قرئ عليه أخذه فمزقه، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: اللهم مزق ملكه !. ثم إن كسرى كتب إلى باذان عامله على اليمن أن ابعث من عندك رجلين إلى هذا الرجل الذى بالحجاز فليأتيانى بخبره، فبعث باذان كاتبه (قهرمانه) بابويه، ورجلا من الفرس يقال له: خرخسرة،

---

[1] ابن الأثير، ٢/٢١١، والسيرة الحلبية، ٣/٢٨٣-٢٩١، والطبرى، ٢/٦٤٥، والبداية والنهاية لابن كثير ٤/٢٩٢-٢٩٨، وابن خلدون، ٢/٣٦.

[2] طبقات ابن سعد، ١/٢٦٠ وابن الأثير، ٢/٢١١، والسيرة الحلبية، ٢/٢٩٥-٣٠٠، والبداية والنهاية لابن كثير، ٤/٢٠٣، وفيه أن اسمه : جريج بن ميناء وكان من أهل مصر الأقباط. وانظر أيضا المواهب اللدنية ٢/١٤٣.

وكتب معهما كتابا، وأوصى كاتبه بأن يراقب أحول الرسول ﷺ وأقواله ويتحرى مدى صدقه ويخبره بذلك عند عودته، فلما قدم المدينة قابل الرسول ﷺ ثم طلب منهما الذهاب والعودة إليه غداً، فلما كان فى الغد دعاهما وأخبرهما بأن الخبر أتاه من السماء، بأن الله سلط عليه ابنه فقتله فى يوم كذا.. وساعة كذا.. من شهر كذا.. وقال لهما ارجعا إلى من أرسلكما وأخبراه بذلك، وإنى أدعوكما وأدعوه إلى الإسلام فلما عادا إلى اليمن وأخبرا باذان بذلك، إذا بالبريد يأتى من فارس إلى اليمن يحمل كتابا من شيرويه بن كسرى إلى باذان يفيده فيه بأنه قتل أباه لسوء سلوكه، ويطلب منه أن يأخذ البيعة بالولاء والطاعة له ممن لديه من أبناء فارس. فعرف باذان عندئذ صدق الرسول ﷺ ، فبعث بإسلامه إلى الرسول ﷺ هو ومعاونوه من أبناء الفرس[1]، وقيل أن حادثة مقتل شيرويه لأبيه أبرويز، كانت فى العام التاسع الهجرى فى نفس الوقت الذى حدده من قبل رسول الله ﷺ وعندها أسلم باذان[2]، وعلى هذا يكون إسلام باذان تم فى العام التاسع وليس فى السابع الهجرى، وعندما بعث باذان بإسلامه إلى الرسول ﷺ أقره الرسول ﷺ على الولاية باليمن جميعها كما كان.

وخرج شجاع بن وهب الأسدى يحمل كتابا إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى، فأتاه بغوطة دمشق، وهو مشغول بالإعداد لاستقبال قيصر

---

(1) تاريخ الطبرى، ٢/٦٥٤، وابن الأثير، ٢/٢١٣، والسيرة الحلبية، ٣/٢٩١، والبداية والنهاية، ٤/٢٩٩-٣٠٢ وطبقات ابن سعد، ١/٢٥٩، وتاريخ ابن خلدون، ٢/٣٦.

(2) الأخبار الطوال للدينورى، ص ١٠٧.

الروم فى مسيره من القسطنطينية إلى بيت المقدس، فقد كان أحد ملوك العرب الخاضعين لنفوذ الروم، فلما قرأ الكتاب، أخذته حمية الجاهلية، وتوعد بإرسال جيش إلى المدينة، وأمر بإعداد العدة، ثم كتب إلى قيصر يخبره خبر الكتاب وحامله ومن أرسله، وتصادف أن كان دحية الكلبى لدى قيصر حاملا كتاب رسول الله ﷺ إليه، فكتب قيصر إلى الحارث ألا يسير إلى المدينة، وأن يدع هذا الأمر، فلما جاءه خطاب قيصر تغيرت معاملته إلى الأفضل بالنسبة لشجاع بن وهب، وأكرمه، ولما عاد شجاع ابن وهب وأخبر الرسول ﷺ بما حدث قال : باد ملكه[1]!. ثم ما لبث أن توفى الحارث قبل أن يرى زوال ملكه من يدى أبنائه من بعده.

وذهب سليط بن عمرو العامرى ـ وهو أحد الستة الذين خرجوا من المدينة فى وقت واحد ـ إلى هوذة بن على الحنفى باليمامة حاملا كتابا من رسول الله ﷺ يدعوه فيه إلى الإسلام، فلما نزل عليه حيَّاه وحباه، ولما قرأ الكتاب تردد ثم كتب كتابا إلى رسول الله طلب فيه أن يجعل له شيئا. فقال الرسول ﷺ عندما بلغه ذلك: باد، وباد ما فى يديه، فتوفى عام الفتح ٨هـ دون أن يسلم[2] .

وبعث الرسول ﷺ عقب فتح مكة كتبا إلى غير هؤلاء من الملوك والأمراء وذوى الشأن فى جزيرة العرب وإلى رؤساء القبائل والبطون والعشائر يدعوهم إلى الإسلام، ممن لم يكونوا قد أسلموا بعد. فكان من

---

[1] طبقات ابن سعد، ١/٢٦٦، والسيرة الحلبية، ٣/٣٠٤، ٣٠٥، والطبرى، ٢/٦٥٢.

[2] طبقات ابن سعد، ١/٣٦٣، والسيرة الحلبية، ٣/٣٠٣، والطبرى، ٢/٦٤٥.

هؤلاء: جيفر وعبيد ابنا الجلندى الأزديين، بعمان، وكان جيفر وهو الحاكم فذهب لهما عمرو بن العاص فى ذى القعدة عام ٨هـ .. فأسلما وأسلمت رعيتهما، كما ذهب العلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى، العبدى بالبحرين[1] فأسلم، وتبعه فى إسلامه العديد من أهل المنطقة، وكانت بها طائفة من أهل الكتاب، أخذت منهم الجزية[2] وذهب مع العلاء، أبوهريرة ليعلم الناس، فأقام فترة ثم عاد.

وبعث جرير بن عبد الله البجلى إلى ذى الكلاع بن ناكور الحميرى، وإلى ذى عمرو فأسلما، وأسلمت ضريبة بنت أبرهة، امرأة ذى الكلاع، وتوفى رسول الله ﷺ وجرير بن عبد الله البجلى عندهم باليمن، فأخبره ذو عمرو بوفاة الرسول ﷺ فخرج جرير عائدا إلى المدينة[3] .

كما كتب الرسول ﷺ إلى عدة من أهل اليمن، أمراء المناطق والمخاليف، ورؤساء القبائل والعشائر فاستجابوا، وأعلنوا إسلامهم، ووفدت وفودهم إلى المدينة تعلن إسلامها وطاعتها، وكتب لهم كتباً يقر بعضهم فيها على ما فى أيديهم، ويولى بعضهم الإمارة على أحد المناطق أو المخاليف، أو الإمارة على قبائلهم وعشائرهم، ورتب الولايات فيها،

---

[1] أى منطقة الإحساء حاليا، وما يدخل فى حيزها. فقد كانت تسمى قديما : البحرين.

[2] طبقات ابن سعد، ٢٦٣/١، والطبرى، ٦٤٦/٢ و٢٩/٣ ، ٩٩٥.

[3] طبقات ابن سعد، ٢٦٥/١.

وحـدد لكـل ولاية أميراً، إلى غير ذلـك مـن الترتيبـات الإدارية، وهـو موجـود بكتب التاريخ[1] .

ونستخلص من ذلـك أن بعض الملـوك والحكـام وذوى الشـأن أسـلم، وبعضهم تردد، ومنهم مـن أخـذه الغرور فـأودى بـه غـروره إلى الهـلاك، وكـانت الدولتـان العظميـان قد أنهكتهمـا الحروب واستشرى فيهمـا الفسـاد، فكـان ذلـك تمهيدا لأفول نجميهمـا، وبزوغ شمـس الإسـلام علـى ربوعهمـا، ومـا كـان يحوزانـه مـن ممالك وشعوب، وصدق قول الرسـول ﷺ : بـادوا .. وباد ملكهـم..

---

[1] ومنها الطبقات لابن سعد، ١/٢٦٤-٢٨٧، والطبرى ٣/١٢٠-١٢٣، ومجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة، ص ٧٠-٢٧٠ ، والبداية والنهاية لابن كثير، ٥/٣٢-١٢٣

# الباب الرابع

## الترتيبات الإدارية للدولة الإسلامية في عهد الرسولﷺ

### ١ – أسس الترتيبات الإدارية لمناطق شبه الجزيرة العربية :

اقتضت ظروف الجزيرة العربية وأحوالها، أن ينظم العرب حياتهم إبان الجاهلية على أسس قبلية، واستوى في ذلك إلى حد بعيد أهل الحضر والبادية، فالقبيلة هي الوحدة السياسية والإجتماعية، وهي تتكون من أفراد ينحدرون من جد واحد، يحملون اسمه اعتزازا به، ويتحملون مسئوليات وواجبات مشتركة تجاه الدفاع عن القبيلة وعن أي من أفرادها، ومن ثم التصدي لأيّ خطر يداهمهم، ويتقاسمون الغرم والغنم معا، ومن هذا المعنى فإن القبيلة تعتبر هي المظهر الأولى البسيط للدولة.[1] تحوطها مجموعة من الأعراف والتقاليد، تنظم حياتها بموجبها.

وكان ترتيب القبيلة ترتيبا تنازليا يتكون من: الشعب ثم القبيلة ثم العمارة، ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة، ثم العشيرة[2]، أي أن أكبر تجمع

---

[1] من تقديم كتاب الطبقات لخليفة بن خياط، للدكتور/ صالح أحمد العلي، ص ٧.

[2] الأحكام السلطانية للماوردي ص ٢٠٤، كنز الأسباب وجمع الآداب، محمد بن إبراهيم الخليل ص ٢٢.

يتمثل فى الشعب الذى تتفرع منه عدة قبائل، وأقل تلك التجمعات هى العشيرة وتقابل العائلة فى عصرنا الحاضر تقريباً.

جاء الإسلام فأبقى على تشكيلات القبيلة ونمط حياتها، التى كانت تحياها طالما كان ذلك يتفق مع مبادئه وتعاليمه، ولهذا نجد أن الله ـ عز وجل ـ حين بعث نبيه محمداً ﷺ أمره أن يبدأ بعشيرته وأهله ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾[1]

فالأقربون أولى بالمودة والرشد والهداية ثم من يليهم. وهكذا تتسع الدائرة لتشمل كافة القبائل ثم العرب ومن دخل فى حوزتهم، ثم لتشمل أبناء آدم جميعا إلى يوم الدين وهو عمومية الرسالة.

ومنذ هذا الإبلاغ للأهل والعشيرة، صدر عن رسول الله ﷺ كم هائل من الأقوال والأفعال مصاحبة لنزول القرآن الكريم، توضح كافة الأمور التشريعية من توحيد وعبادات ومعاملات ومكارم أخلاق، وغير ذلك مما يحفظ الإسلام ويصون المسلمين، ويجعلهم أعزة إن اتبعوها.

كان من بين الأسس التى تعهدها الرسول ﷺ فى منهجه لوضع الترتيبات الإدارية لإنشاء الدولة الإسلامية ما يلى:

---

[1] سورة الشعراء،آية ٢١٤.

* تغيير مفهوم الولاية فى العرف القبلى وغيره، إلى ولاية أسمى وأجل، فى ظل الإسلام، وهى الولاية لله ـ عز وجل ـ ﴿ الله ولى الذين آمنوا ﴾[1] ولأن الرسول محمدا ﷺ هو مبعوثه لأهل الأرض فالولاية منوطة بطاعته فى كل ما يتعلق برسالته، ومن ثم الإلتزام بكل ما يأمر به وينهى عنه ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾[2] والحث على التفانى فى الولاء، والطاعة والإنقياد حتى يكون الله ورسوله أحب إلى المسلم من نفسه وماله وولده.. وانتهى بذلك الولاء المطلق لرئيس القبيلة، ولأية رئاسة أخرى لا تكون فى طاعة الله ورسوله[3] .

فقد جاء فى كتاب رسول الله ﷺ وعهده إلى عمرو بن حزم حين بعثه والياً على نجران: أن ينهى الناس ـ إن كان بينهم هيج ـ أن يدعوا أو يتداعوا إلى القبائل والعشائر[4] وليكن دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له، فمن لم يدع إلى الله ودعى إلى العشائر والقبائل، فليُقْطَفُوا بالسيف[5] حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحده[6] .

---

[1] سورة البقرة، آية ٢٥٧.

[2] سورة النساء ، آية ٥٩.

[3] الدولة فى عهد الرسول ﷺ ، للدكتور/صالح أحمد العلى، مجلد ١، ص ١٠١.

[4] أى إذا نادى المنادى للجهاد، أو استصرخوا لأى سبب كان فلا يقولون : يا آل فلان .. ويا آل فلان كما كانوا فى الجاهلية.

[5] أى فليضربوا بالسيف.

[6] البداية والنهاية لابن كثير، ٥/٨٨، وتاريخ ابن خلدون ٢/٥٤.

* أن الإمـــارة أو الولايـــة كـــانت إمـــا عامـــة أو خاصـــة، فالعامـــة مـــا يفوض فيهـا الوالى بـالنظر فـى سـائر أعمـال الرعيـة الذيـن يخضعـون لولايتـه فـى كافة الأمـور الدينيـة والدنيوية غالبـاً.

وذلـك كـوالى الإقليـم أو أى مصر مـن الأمصـــار، مثلمـا كـان الوضــع عندمـا توسـعت الفتوحـات فـى عهـد الخليفـة عمـر بـن الخطـاب وبقيـة الخلفـاء الراشـدين، وعهـد بنـى أميـة والعباسيين، لكنـه فـى العهـد النبـوى لم ينـل أحـد مـن الـولاة الإســتقلالية التامـة لحتميـة الرجـوع إلى الرسـول ﷺ فـى الأمـور التشريعية التـى كـانت تعترض الـولاة فـى أعمـالهم اليوميـة، وكـانت تـدور بينـه ﷺ وبينهـم مكاتبـات تحمـل إليهـم توجيهـات فيمـا يجـب أن يتبعـوه[1] وكـانت كافـة الولايـات على اتصـال دائـم ومستمر بالمدينـة المنورة. لـذا فـإن الولايـة فـى عهـده ﷺ كـانت ولايـة خاصـة، إمـا لإدارة شـوون البلـدة، أو القبيلـة، أو الإقليـم، أو لقيـادة الجنـد عنـد الإستنفار، أو لتعليـم أمـور الديـن والشـرع، أو للقضاء بـين النـاس، أو لجمـع الصدقـات وجبايـة الجزيـة والخـراج، أو غـيره[2]

* أن رئيـس القبيلـة كـان إذا سبق وتقـدم معلنـا إسـلامه وإسـلام مـن وراءه مـن قومـه، ظـل فـى موقعـه مـن رئاسـة القبيلـة وإدارة شـئونها، ولـه ولقبيلتـه مـا أسـلموا عليـه مـن أرضهـم ومـا يحوزونـه من المنـافع الخاصـة بهـم والأرفـاق المشـاعة بينهـم، وربمـا عقـد لـه الرسـول ﷺ لـواء يقـود قبيلتـه تحـت

---

(1) انظر طبقات ابن سعد، ١/٢٦٥-٢٩٠، ومجموعة الوثائق السياسية، للدكتور محمد حميد الله ص ١٧٩.

(2) طبقات ابن سعد، ١/٢٦٦ وما بعدها، والأحكام السلطانية للماوردى ص ٣٠-٣٢، ١٤٧.

هذا اللواء عند الإستنفار إلى ساحة الجهاد وربما أيضا عهد إليه بجمع صدقات قومه، وأقطعه، أو أقطع القبيلة أو أحد أفرادها بعض الإقطاعات، وكتب لهم عهدا بذلك. مثلما فعل مع خالد بن ضماد الأزدي، وحنادة الأزدي ، وأبي ظبيان الغامدي، وقبيلة بارق[1] وخثعم وأهل جرش وبطون بني كعب وغيرهم من شتى القبائل.

* أن مكاتبات الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء ورؤساء القبائل والعشائر كانت تحمل إليهم الدعوة للدخول في الإسلام، وفي الوقت نفسه تحمل لهم بواعث الترغيب في الإقدام والإسراع في أن من استجاب منهم سيظل في موقعه واليا أو أميرا أو رئيسا للقبيلة فمثلا: نجد أن المنذر ابن ساوى حاكم البحرين[2] أسلم مبكراً فظل بها والياً إدارياً، وكان بجواره العلاء بن الحضرمي للأمور الدينية والإمامة في الصلاة والإشراف على جمع الزكاة وتوزيعها[3]، فلما توفي المنذر تولى مكانه العلاء بن الحضرمي بأمر من الرسول ﷺ وكذلك الشأن بجيفر الجلندي حاكم عمان، وباذان في اليمن جميعها، وأمراء المناطق والمخاليف، كل استمر في موقعه حين بادر بالدخول في الإسلام، ليديره إدارياً، بينما إذا تردد وتأخر وسبقه آخر تتوافر فيه عناصر القيادة نال تلك الرئاسة لشرف سبقه، فمثلا: حين سبق فروة بن مسيك المرادي نظراءه وأنداده، ولاه رسول الله

---

[1] مجموعة الوثائق السياسية، ص ١٩٦-١٩٨.

[2] كانت منطقة الأحساء يطلق عليها في ذلك الوقت البحرين، أما البحرين الحالية فكانت تسمى جزيرة أوال.

[3] طبقات ابن سعد، ١/٢٧٦.

ﷺ على قبيلة مراد وزبيد وبعض مذحج[1]، مما أوغر صدور بعض من يرون أنهم أهل لها وأولى بها منه، كقيس بن المكشوح المرادى، وربما كان ذلك أحد الدوافع لردته ومناصرته للأسود العنسى[2] .

* أن كافة المدن والحواضر والبوادى مما اتخذته القبائل مواطن لها كان محدد المعالم لا تعتريه الجهالة، ولا يتداخل بعضه فى بعض لأهمية معرفة ما يجبى عنه من عشر أو خراج أو جزية، إن كان يتوطنها أحد من أهل الكتاب وظل على دينه، وأنه كانت توجد حمى تحوط بالبلدان ومواطن القبائل أو على مقربة منها، تعد حرما لها، ويحظر على أى فرد حيازته، أو تملكه لأن منفعته للجميع كالمرافق العامة.

فمعروف أن مكة المكرمة لها حرم وضعت على حدوده أنصاب وعلامات قيل: منذ الخليل إبراهيم عليه السلام، وأنها كانت تجدد بين الحين والآخر، وقد جددها الرسول ﷺ عام الفتح، ثم كان يتم تجديدها كل فترة بعد ذلك[3] وجعل الرسول ﷺ للمدينة حرما، وهو ما بين جبلي عير إلى ثور بالقرب من أحد، أو إلى

---

[1] طبقات ابن سعد، ٣٢٧/١.

[2] السيرة الحلبية، ٢٥٩/٣، والطبرى، ١٣٤/٣، وقيس بن المكشوح (اسم المكشوح : هبيرة) فهو : قيس بن هبيرة ابن عبد يغوث بن سلمة، من زاهر من مراد، إرتد ثم أسلم، وحسن إسلامه الجمهرة، ص ٤٠٧، وكذلك كان الشأن بعمرو بن معد يكرب الزبيدى، وقد أعلنا ذلك صراحة عند الردة.

[3] شفاء الغرام للفاسى ٥٤/١-٦٦.

أحد، وقيل حرمها على مسافة بريد من كل ناحية من النواحي الأربع، وأن النبي أرسل كعب بن مالك الأنصاري لوضع أعلام على أربع حبال محيطة بالمدينة[1] .

كما حمل الرسول ﷺ، البقيع ــ وهو غير بقيع الغرقد الذي اتخذ مقبرة ــ حمى للمدينة، وكان بقدر ميل في ستة أميال ترعى فيه خيل المسلمين، واتخذ البيضاء بالقرب من الربذة حمى لإبل الصدقة ولإبله[2]، ثم أضاف أبو بكر الصديق في عهده الربذة حمى لإبل الصدقة، وأضاف عمر في عهده حمى بالشرف مثل حمى أبي بكر لإبل الصدقة[3] ونلحظ أن أهل مدينة جرش طلبوا من الرسول ﷺ ــ عند وفودهم إليه بإسلامهم ــ أن يحمي لهم حمى حول قريتهم جرش على أعلام معلومة، فلبى الرسول ﷺ طلبهم وكتب لهم بذلك كتابا[4] .

أما المرافق وكان يقال لها: الأرفاق، فهي مقاعد للناس بالأسواق وأفنية الشوارع، ومنازل الأسفار على الطرق، وفي الفلوات، ودروب إجتياز السابلة في المفاوز والقفار، وما تحتويه من آبار وأشجار وغير ذلك مما يعتبر منفعة عامة للجميع ولا يملكها أفراد، فكان على الحاكم حفظها، والقيام برعايتها[5] .

---

(1) شفاء الغرام، ٢/٣٣٧، ٣٣٨، ومجموعة الوثائق السياسية، ص ٤٧.

(2) المغازي للواقدي، ص ٥٣٨، وحمى البقيع الذي اتخذه الرسول ﷺ ، بصدر وادي العقيق على بعد عشرين فرسخا من المدينة. التراتيب الإدارية ١/٤٤١.

(3) الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٨٥.

(4) سيرة ابن هشام، ٤/٢٣٤، والطبري، ٣/١٣٠، وطبقات ابن سعد، ١/٣٣٧.

(5) الأحكام السلطانية للماوردي، ص ١٨٧.

* أن الإسلام شمل أرض شبه الجزيرة العربية تقريباً، وذلك قبل وفاة الرسول ﷺ، وعلم به القاصي والداني ممن يعيش على ترابها، والمسلمون يعرفون معرفة تامة أرض كل ناحية ومواطن كل قبيلة من حيث حدودها وكونها أرض عشر، أو خراج أو جزية أو غير ذلك مما تترتب عليه الأمور التشريعية.

وكانت هناك أراض للمزارعة فمثلا عند قيام يعلى بن أمية بإجلاء نصارى نجران بأمر من عمر بن الخطاب وتسلمه لأراضيهم وتعويضهم قيمتها، أصبحت هذه الأراضي ملكا للدولة، فكتب يعلى إلى عمر يسأله عما يصنع فيها، وفي غيرها مما هي بهذا الوضع، فكتب له عمر: انظر كل أرض خلا أهلها عنها، فما كان من أرض بيضاء (أي ليست ملكا لأحد) تُسقى سيحا (أي بآلة أو بغير جهد) أو تسقيها السماء (أي دون آلة) فما كان فيها من نخل أو شجر فادفعه إليهم (أي لأهل المنطقة) يقومون عليه ويسقونه، فما أخرج الله من شئ فلعمر وللمسلمين منه الثلثان ولهم الثلث، وما كان منها يسقى بغَرَب (آلة بهذا الإسم) فلهم الثلثان ولعمر وللمسلمين الثلث، وادفع إليهم ما كان من أرض بيضاء يزرعونها[1]، فمثل هذه الأراضي احتوتها السجلات، ودونت في دواوين لكي يعرفون مساحتها ومن يقوم على زراعتها، وأين تقع؟ وغير ذلك من معلومات تكون لدى الدولة، ويعرفها من يوكل له الأمر بعد يعلى بن أمية أو حتى

---

[1] مجموعة الوثائق السياسية ص ١٦٢.

بعد عمر بن الخطاب، وهو ما تنبه له عمر وسجله بتلك الدواوين. وأنه كانت هناك أرض مشاع تغدو إليها البادية في تتبعها لمواقع الغيث والكلأ والمرعى فإذا استوفوا غرضهم عادوا لمضاربهم ومواطنهم الأولى، التي قلما تركوها إلا لظروف قاهرة، ولكون ذلك نادرا، فإن هجرات القبائل كان حدثا معروفا يروونه في أحاديثهم وسجلته كتب التاريخ، لأنه غالبا كان بسبب المنازعات والحرب بين القبائل في الجاهلية، فلما جاء الإسلام قضى على المنازعات والمشاحة بين القبائل، ودعا إلى التآلف والمودة، وحدث استقرار في البادية فضلا عن الحاضرة، و لم تحدث هجرات إلا في سبيل الله، إبان التوسع في الفتوحات الإسلامية. وعلى ضوء هذا الإستقرار الذي منحه الإسلام للحاضرة والبادية تحددت معالم الأرض لكل لتنفيذ مقتضيات الشريعة وعدم التدخل في اختصاص الولاة أو الأمراء بكل ناحية.

* مما دعم هذا الإستقرار وساعد على تحديد معالم الأرض تلك الإقطاعات التي كانت يقطعها الرسول ﷺ للوافدين عليه بإسلامهم أو إقرارهم على ما أسلموا عليه من أرض ومياه مما يوحي باستمرار تملكهم لتلك الأرض فيما قبل الإسلام وبعده، أو تملكهم لها ابتداء لكونها كانت مشاعا، وبذلك ترفع المشاعة عنها فلا يحدث لهم من غيرهم مشاحة أو منازعة عليها، وبالتالي تتحدد معالمها، وكان كثير من تلك الوفود يطلبون من الرسول ﷺ أن يكتب لهم بذلك كتابا أو عهدا مكتوبا يحملونه في عودتهم لموطنهم، وظلت تلك الكتب والعهود يحتفظ بها الناس سنين

عديدة، ويتوارثها الأبناء عن آبائهم إعتزازا بها وبكونها صادرة من الرسول ﷺ إلى الأباء والأجداد[1] وتلك الإقطاعات أو العهود للأفراد أو للوفود مشروطة ضمنا بأل تكون حقا أو ملكا لغير من يطلبها، أو حتى من المنافع العامة التى يشترك الناس فى الإنتفاع بها، فمثلا: أقطع الرسول ﷺ بلال ابن الحارث المعادن القَبَلِيّة[2] بأرض مزينة بينما امتنع عن إقطاع ما كان فيه منفعة للجميع، وذلك حينما جاء الأبْيَض بن حَمَّال وافداً على رسول الله ﷺ وطلب منه أن يقطعه ملح مأرب، فهم أن يقطعه إياه إلا أن الأقرع بن حابس التميمى كان حاضرا بالمجلس فسارع قائلا: يارسول الله إنى وردت هذا الملح فى الجاهلية، وهو بأرض ليس فيها غيره، ومن ورده أخذه (أى أخذ حاجته منه) عندئذ توقف الرسول ﷺ عن إمضائه هذا الإقطاع للأبيض بن حمال لأنه يعد منفعة عامة[3].

كما امتنع الرسول ﷺ من إعطاء أرض قبيلة لقبيلة أخرى، وذلك عندما وفد عليه حريث بن حسان الشيبانى بإسلامه هو وقومه، وقد رافقته فى سفره امرأة عجوز، هى قيلة بنت مخرمة من بنى العنبر، ذهبت إلى الرسول ﷺ تشكو إليه أخا زوجها الذى أخذ منها أطفالها بعد وفاة زوجها، فلما وصلا إلى المدينة، وضمهما مجلس الرسول ﷺ جعلت المرأة

---

[1] أنظر أمثلة لتلك الكتب والعهود فى كتاب "مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة" ص١٩١-٢٣٥، والطبقات لابن سعد، ١/٢٦٦-٢٩٠.

[2] الأحكام السلطانية للماوردى، ص ١٩٨.

[3] الأحكام السلطانية للماوردى، ص ١٩٧.

تثنى على رفيقها فى الطريق وعلى شهامته وكرم أخلاقه أمام الرسول ﷺ ثم عرضت شكواها، وهدأ بذلك روعها، ولكنها سمعت رفيقها فى الطريق، حريث الشيبانى يطلب من الرسول ﷺ أن يكتب له ولقومه جزءاً من الدهناء[1] قائلا: اكتب بيننا وبين بنى تميم بالدهناء لا يجاوزها إلينا منهم إلا مسافر أو مجاور، وهَمَّ الرسول ﷺ أن يأمر بكتابة ذلك له ولقومه، ففزعت المرأة قائلة: يارسول الله إنه لم يسألك السوية من الأرض إذ سألك!. إنما هذه الدهناء هى مقيد جملى ومرعى غنمى أنا وقومى وهى وطنى ودارى، ونساء بنى تميم، وأبناؤها وراء ذلك!. عندئذ أمر الرسول ﷺ بالإمساك عن الكتابة وقال: صدقت المسكينة، المسلم أخو المسلم، يسعهما الماء والشجر[2] .

وكان الأشعث بن قيس وغيرهم من كندة، قد نازعوا وائل بن حجر فى وادٍ بحضرموت[3] فادعوا ملكيتهم له منذ الجاهلية فسأل الرسول ﷺ بعض أقيال حمير وحضرموت عن حقيقة ذلك، فشهدوا به لوائل بن حجر فكتبه الرسول ﷺ فى كتابه لوائل حتى لا ينازعه فيه أحد[4] .

---

(1) صحراء الدهناء معروفة، تقع فى الشمال الشرقى لنجد، تمتد من جنوب البصرة حتى الربع الخالى شرقا.

(2) طبقات ابن سعد، ٣١٩/١، ومجموعة الوثائق السياسية، ص ٢١٢، والبداية والنهاية لابن كثير، ٩٦/٥، وفيه : الحارث بدل الحريث.

(3) هو وادى شبوة المعروف والموجود حاليا بهذا الإسم.

(4) طبقات ابن سعد، ٢٨٧/١، ومجموعة الوثائق السياسية، ص ٢٠٣، ٣٤٥.

وسأل صخر بن أبى العيلة الأحمسى، من خثعم، رسول الله ﷺ بئرا كان لبطن من بنى سُلَيم، تركوه قبل إسلامهم وهربوا خوفا من أن يطأهم جيش المسلمين فأعطاه له، ثم مالبث بنو سليم أن قدموا على الرسول ﷺ فأعلنوا إسلامهم، ثم طالبوا صخرا بإعادة البئر لهم فرفض، فشكوه إلى رسول الله ﷺ فبعث إليه، فلما قدم، قال له الرسول: يا صخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا أموالهم ودماءهم، فادفع إليهم ماءهم، قال: نعم يا رسول الله. ودفع لهم البئر[1] لأن البئر كان يقع فى مواطنهم الأصلية التى كانوا قد تركوها وهربوا ثم عادوا إليها بعد إسلامهم، فمن حقهم الأرض بما عليها.

* كان يوجد فى العرب من له علم ودراية بأعمال المساحة والقياسات وتحديد الأراضى والخبرة بنوع تربتها، وغير ذلك من الأمور فلما جاء الإسلام وضع هؤلاء خبرتهم فى خدمته، فيما كان يعهد لهم القيام به من تلك الأعمال، ومن الصحابة الذين عرفوا بذلك: عتبة بن غزوان، الذى اختار موقع مدينة البصرة وخططها إلى إقطاعات[2]، وزيد ابن ثابت وكعب بن مالك، وجبار بن صخر أخو بنى سلمة، اللذان عهد إليهما النبى ﷺ وضع علامات لتحديد معالم حرم يثرب على الجبال المحيطة بها[3]، وتميم بن أسد الخزاعى الذى عهد إليه الرسول ﷺ بتحديد أنصاب

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير، ٣٩٤/٤.

(2) الجمهرة، ص٢٦١. والبداية والنهاية، ٥٣/٧.

(3) مجموعة الوثائق السياسية، ص ٤٧.

الحرم حول مكة المكرمة يوم فتحها عام ٨هـ[1] وحذيفة بن اليمان الأزدي، وعثمان بن حنيف، اللذان بعثهما الخليفة عمر بن الخطاب في عهده لمسح أرض سواد العراق، فتولى حذيفة مسح تلك الأراضي فيما وراء دجلة وخطط ما بها من إقطاعات وتولى عثمان مسح ما دون ذلك، وتخطيط ما به من إقطاعات[2] وأبو الهيثم بن التيهان، وسهل بن أبي خيثمة وحباب بن صخر السلمي، وفروة بن عمرو البياضي، الذين بعثهم عمر إلى فدك وخيبر ليقوموا أرضها ويعوّضوا أهل الكتاب الذين أجلاهم عنها[3] ويعلى بن أمية التميمي الذي أشرف على إجلاء نصارى نجران وتعويضهم عن أراضيهم وعقاراتهم التي تركوها[4] وغير هؤلاء كثيرون عملوا على تحديد المواقع والأماكن والبقاع وترسيم الحدود بالمناطق التي كانت بحاجة إلى تحديد،

* كان من اهتمامات الرسول ﷺ، ايجاد نوع من الترتيب الاداري، منذ وفد إليه أهل يثرب في موسم الحج بمكة المكرمة، قبل الهجرة، في بيعة العقبة الأولى وعقب بيعة العقبة الثانية طلب منهم أن يخرجوا من بينهم اثني عشر نقيبا يكونون كفلاء وعرائف على قومهم، ومسئولون عن

---

(1) عيون الأثر لابن سيد الناس، ٢/١٨٠.

(2) الأحكام السلطانية للماوردي، ص ١٧٤.

(3) الكامل لابن الأثير، ٢/٢٢٤، والمغازي، ص ٧١٨.

(4) مجموعة الوثائق السياسية، ص ١٥٩، ١٦٢.

عشائرهم[1] وكانوا بمثابة حلقة وصل بينه وبينهم، وكانت العرافات في زمن النبي ﷺ أمر معروف، فكان على كل عشيرة عريف، وكل قبيلة عدة عرفاء يرأسهم رئيس العرفاء، وهو رئيس القبيلة غالباً، واستمر الأمر كذلك إلى أن فرض العطاء في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وأنشأ لهذا الغرض الدواوين: ديوان العطاء، وديوان الجند، وديوان الخراج، وغير ذلك[2].

فاهتمام النبي ﷺ بتحديد العرفاء في القبائل، وتحديد موطن كل قبيلة هو لإيجاد نوع من الترتيب الإداري المبكر، وكان إهتمامه بذلك أكبر كلما انتشر الإسلام في البلدان وبين القبائل، فيعين الرؤساء على القبائل والأمراء على البلدان والمناطق، واستتبع ذلك تحديد إمارة كل أمير أو رئيس حتى لا تتداخل الإختصاصات وتحددت بذلك مسئوليات كل منهم عن إقامة أمور الشرع وتوطين الإستقرار بمنطقته.

* كما راعى الإئتلاف والتحالفات السابقة بين القبائل طالما كان ذلك لا يتعارض مع تعاليم الإسلام الذي يحث على الترابط والتآخي والمودة والتعاون، فامتد ذلك الإرتباط إلى الأرض التي تقيم عليها القبائل بكل ما تشتمل عليه من منافع وتحيز إقليمي، بمعنى أنه لم تنتزع من أية قبيلة أرضها أو تجلو عنها لتستقر في مكان آخر إلا برغبتها، طالما دخلت

---

[1] الطبري، ٢/٣٦١، ابن الأثير ٢/٩٩، البداية والنهاية لابن كثير جـ ٣ ، فقه السيرة، محمد الغزالي، ص ١٥٩.

[2] مجموعة الوثائق السياسية، ص ٢٣٠.

الإسلام مالكة لتلك الأرض، واستمرت في طاعته والولاء له. وعمل بالعرف السائد وأقوال أهل المدن ورؤساء القبائل والعشائر في تحديد بلدانهم ومواطنهم، وأرفاقها والمشاع، من البوادى والصحارى، فإذا حدث تنازع على أرض ما، تم التقصى عن حقيقة الوضع حتى يتم الوصول إليها مثلما حدث بين الأشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندى الذى ذكرناه سابقا.

* أن الأعرابى كان يعتز بانتسابه إلى آبائه وأجداده، أكثر من انتسابه إلى الأراضى والبلدان التى يقيمون عليها بمعنى أنه كان يقال: فلان الأزدى، والأسدى، والتميمى، ولم يقل عنه المكى، أو المدنى أو الصنعانى، إلا فى عصور متأخرة ذلك لأنه كان مرتبطا بإسم القبيلة أكثر من ارتباطه بالأرض التى يقيم عليها، بل إن الأرض كانت هى أيضاً تنسب إلى القبيلة فيقال: أرض قبيلة هوازن وثقيف وأسد وتميم، وغيرها، وهذا يعطى مدلولاً على كثرة الترحال والتنقل من أرض إلى أخرى إلا أن هذا لم يكن يقلل من إهتمامهم بالأرض التى يقيمون عليها ومن أنهم كانوا يدافعون عنها حتى الممات لأنهم بذلك يدافعون عن وجودهم وكيانهم المعيشى على تلك الأرض، وعار عليهم أن يطأها أحد رغماً عنهم، أو أن تنتزع منهم قهرا، لذلك سعوا إلى إيجاد نوع من الألفة والترابط والولاء مع جيرانهم، حتى يكونوا يدا واحدة على كل من يغير عليهم. وامتد هذا الولاء أو التحالف فى الأراضى المتجاورة حتى تشكلت تجمعات إقليمية صغيرة متجانسة ومترابطة سكانيا وجغرافيا .. وكان هذا هو الملاحظ فى منطقتنا

موضوع الدراسة من حيث تجانسها وتوافقها، ثم من حيث ارتباطها عاطفيا بمكة المكرمة .. وجاء الإسلام والمنطقة على هذا الوضع من قديم.. فكان حرى بالإسلام ألا يشتت هذا التجمع، وإنما يؤكده ويدعمه، وهذا ما تم بالفعل كما نراه فيما بعد.

وعلى كل فهذه بصفة إجمالية أهم الأسس التى تعهدها الرسول ﷺ، للترتيبات الإدارية عند نشأة الولايات والإمارات التى تكونت منها الدولة الإسلامية منذ بزوغ فجرها حتى تعالت شمسها وضحاها.

## ٢- نصيب منطقتنا من تلك الترتيبات الإدارية :

أشرنا فيما سبق الى أهم الأسس التى تعهدها الرسول ﷺ لنشأة الولايات والإمارات التى تكونت منها الدولة الإسلامية، والتى من بينها ارتباط الأرض بحيزها الاقليمى، والعرف السائد بين العرب فى مدى هيمنتهم على مواطنهم، وأهمية تحديد تلك المواطن، والأرض ومرافقها، والمحوز منها والمشاع، لما يترتب عليه من أمور شرعية، وكذا مراعاة التحالف، والتوافق، والتجانس بين أهل المدر والوبر، كما أوردنا بعض القرائن والأدلة التاريخية على ارتباط منطقتنا موضوع الدراسة بكل من مكة والطائف، وإن كانت مكة لها النصيب الأوفر لتشرفها بوجود البيت العتيق بها، فهم يفدون اليه للحج فى المواسم، لذا فان الارتباط كان ارتباطاً روحياً وعاطفياً، فى صورة من التوقير والاجلال، ولم يكن ارتباطاً إدارياً حيث لم تكن هناك دولة قائمة تهيمن على وسط شبه الجزيرة العربية، فيما قبل الإسلام .

ولما فتحت مكة، ودانت قريش للإسلام، عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا بعداوته، فدخلوا فى دين الله أفواجاً، وتتابعت وفودهم على المدينة تعلن إسلامها وطاعتها، وأسلم من حول

مكة من العرب، كنانة، وهوازن وخزاعة، وثقيب، والازد وغيرها من قبائل المنطقة[1]

وكانت وفود القبائل تقبل بإسلامهم واسلام من وراءهم من قومهم وعشيرتهم، فيقرهم الرسول ﷺ، على ما أسلموا عليه من أراض ومياه وغيره، ثم يختار من بينهم من يتولى تصريف أمور القبيلة من النواحي الإدارية، واستتباب الأمن، وإقامة أمور الشرع، وكثيرا ما كان يعقد له راية ليقود أبناء قبيلته إذا ما كان هناك هيج واستنفار عام للجهاد، فإذا ما توافرت شروط الولاية الدينية في ذلك الرئيس، كأن يكون أحفظهم للقرآن الكريم، وأفقههم في الدين، عهد اليه أيضاً بإمامتهم في الصلاة، وإذا لم يكن بعث معهم من يؤمهم، ويفقههم، ويقضي بينهم وفق تعاليم الشرع، وهؤلاء كانوا يعتبرون وكلاء أو مساعدين لأمراء المناطق بكل حاضرة أو بادية [2]. وقد لاحظنا ذلك فيما سبق عند وفود قبائل المنطقة الى المدينة بإسلامها.

فعقب فتح مكة عام ٨هـ استعمل الرسول ﷺ، والياً عليها عتاب ابن أسد[3] وترك معه معاذ بن جبل، وأبا موسى الأشعري، يعلمان الناس

---

[1] السيرة الحلبية ٢٣٨/٣، وابن خلدون، ٥١/٢، والبداية والنهاية، ٤٦/٥

[2] ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص ١١

[3] هو عتاب بن أسد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس، كان عمره واحدا وعشرين عاما، قد غلبه الورع والزهد، أسلم يوم فتح مكة، ورأى الرسول ﷺ، فيه ملامح القيادة، بجانب ورعه وزهده فولاه مكة، وقال له وهو يودعه عائدا الى المدينة: استعملتك على أهل الله فظل واليا عليها الى أن توفي يوم وفاة أبي بكر —

القرآن، والتفقه بأمور الدين، وحدد لعتاب راتبا مقداره درهما كل يوم، فقام عتاب خطيباً في الناس، بعد انصراف الرسول ﷺ، الى المدينة، وقال: أيها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم، فقد رزقني رسول الله ﷺ، درهما كل يوم، فليست لي حاجة الى أحد[1]

وحج عتاب بالمسلمين في تلك السنة، قيل بعهد من الرسول له بذلك، وقيل بصفته واليا على مكة ومخاليفها، وكانت مخاليفها هي المناطق المحيطة بها، أرض هذيل، وكنانة، وخزاعة، وغيرها من قبائل المنطقة، وتشمل أرض تهامة من جنوب ينبع تقريبا، ثم بامتداد ساحل البحر جنوبا حتى بداية ولاية فروة بن مسيك المرادي حين ولايته، وكان والياً في البداية على الأشعريين، وزبيد، وبعض مذحج، في تهامة اليمن[2] وكان الفاصل بين الولايتين — قبل الترتيب الجديد للولايات — هو أرض عك المجاورة للأشعريين وغالبا هي أرض لعسان يبطن تهامة[3] جنوب الشرجة

---

— الصديق — رضي الله عنهما — وقيل توفي بعد ذلك، البداية والنهاية لابن كثير ، ٤١٣/٤ ، وسيرة ابن هشام، ٢٣١/٤ والسيرة الحلبية ، ٥٩/٣ ، ٢٣١ ، والأزرقي ، ١٥٣/١ ، والمغازي ص ٩٥٩ ، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ٦٢/٢ — ٦٧.

[1] البداية والنهاية لابن كثير ، ٤١٣/٤ ، سيرة ابن هشام ، ٢٣١/٤ ، المغازي للواقدي ص ٩٥٩ ، والطبري ، ٩٤/٣ ، والازرقي ، ١٨٥/١ .

[2] كان الرسول ﷺ قد ولاه اياها عند وفادته اليه عام ٩هـ ، انظر : البداية والنهاية ، ٨٠/٥ ، والطبقات لابن سعد ، ٣٢٧/١ ، ثم حدث تعديل لتلك الولاية في الترتيبات الادارية للولايات والامارات ، التي نظمها الرسول ﷺ عقب حجة الوداع وسنأتي على ذكرها بعد .

[3] الهمداني ، ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(و بلدة الموسم الحالية) فقد كانت الشرجة ساحل بلد الحكم [1] إذ ذاك، ويبدو أنه حدث تنافس بين فروة بن مسيك وبين نظرائه من أبناء القبائل والتي ولي عليها، مثل: قيس بن عبد يغوث (المكشوح) المرادي، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي نتيجة لرواسب قديمة، مما دعاهما فيما بعد الى الانضمام الى الأسود العنسي، وقال عمرو بن معد يكرب في ذلك :

وجدنا مُلْك فروة شرَّ مُلْكٍ — حماراً سافَ مِنْخَرُه بثَفْرِ [2]

وكنت إذا رأيتُ أبا عمير — ترى الحِوَلاء من خُبْثٍ وغدر [3]

وكان من نتيجة هذا التنافس وغيره من العوامل[4] أن أعاد الرسول ﷺ تحديد تلك الولاية، وغيرها من الولايات في المنطقة، فقلّص ولاية فروة وجعله على زبيد ومراد، وقيل على مراد فقط، وجعله تابعاً لإمارة الجند، وجعل الطاهر بن أبي هالة واليا على الأشعريين وعك، وتابعا لإمارة مكة، لأن القبيلتين يعودان في نسبهما الى عدنان، لأن النبي ﷺ، قال للأشعريين حين قدم عليه وفدهم: " أنتم مهاجرة اليمن من ولد إسماعيل " [5] وقال حين أعاد ترتيب الولايات: " اجعلوا عمالة عكّ في

---

[1] الهمداني ، ص ٦٨ ، ٢٥٨ .

[2] ساف : أي شم . والثفر : للحمر والسباع وذوات المخالب : الفرج .

[3] وأبو عمير : لقب فروة . والحولاء : للناقة ، كالمشيمة للمرأة ، وهي التي يكون بداخلها الطفل المولود ، ويكون بها ماء يخرج على رأس المولود وجسمه . انظر البداية والنهاية ، ٨١/٥ .

[4] كوفاة باذان والي اليمن بكافة مخاليفه . ودخول الإسلام جميع البلدان باليمن .

[5] البكري ، معجم ما استعجم ، ٥٤/١ .

بني أبيهما، معد بن عدنان "[1] وولى عليها الطاهر بن أبي هالة، وكانت عك من القبائل التي انتسبت في بعض الفترات الى القحطانية، غير أن هناك من الشعر ما يفيد نسبتهم الى عدنان، ومنه قول العباس بن مرواس السلمي وهو يفاخر عمرو بن معد يكرب الزبيدي بقبائل معد بن عدنان، ويعتزي إليهم:

وعك بن عدنان الذين تلقبوا ... بغسان حتى طردوا كل مطرد

وقول أخر من أبناء عك :

وعك بن عدنان أبونا، ومن يكن ... أباه أبونا يغلب الناس سوددا [2]

وبعض نسابي قحطان ينسبون عك هذا الى عك بن عدثان بن عبد الله من الأزد[3] ومعظم بطون عك نزحت الى شمال أفريقيا والأندلس إبان الفتوحات الإسلامية منهم القائد الإسلامي الشهير، أمير الأندلس عبد الرحمن الغافقي[4] وكان الطاهر بن أبي هالة مساعد لعتاب، وقيل كان مستقلا وسواء أكان الطاهر بن أبي هالة يخضع لإمارة مكة المكرمة، أو يستمد تعليماته من المدينة المنورة مباشرة، فان انفصال هذا الجزء عن ولاية فروة بن مسيك يعطي دلالة على أهمية الترتيب الجديد، الذي استقرت

---

(1) الطبري ، ٣١٨/٣ ، والأغاني . جـ ١١ ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

(2) البكري ، معجم مااستعجم ، ٥٤/١ وابن خلدون ، ٣٠٠/٢ ، والجمهرة ، ص ٢١٠ ، ٣٧٥

(3) ابن خلدون ، ٢٩٩/٢ .

(4) الجمهرة ، ص ٣٢٨

عليه الأوضاع بالمنطقة، من حيث التآلف والتوافق بين القبائل فيما يخدم الإسلام، ودلالة أيضا على أن هذا الجزء امتداد لتهامة الحجاز، ولذا قال الطبري: "توفى رسول الله ﷺ، وعلى مكة وأرضها عتاب بن أسيد، والطاهر بن أبي هالة: عتاب على بني كنانة، والطاهر على عك" [1]، فالمقصود بأرض مكة تهامة الحجاز، والطبري اعتبر أن أرض عك والأشعريين ضمن تهامة الحجاز، وأنهما آخر الحدود الجنوبية لإمارة مكة المكرمة، واعتبرها ابن خرداذبة أيضا: من مخاليف مكة التهامية وكذلك ابن الأثير.[2]

وكانت مواطن الأشعريين وعك تبدأ من جنوب الشرجة (الموسم) حتى بلاد قبيلتي مراد وزبيد التي تضم سهام، والمهجم (سردد)، والخصيب (زبيد الحالية) والقُحمة[3]، والمعقر، والكدراء، ومور، وغيره من بلدان وبوادي، وكانت مور هي الملاصقة جنوباً لموطن بني الحكم بن سعد العشيرة[4] أي أنها بداية ولاية الطاهر بن أبي هالة، ومنتهى ولاية عتاب بن أسيد فيما إذا لم يكن خاضعاً له.

أما بالنسبة لعسير (عسير السراة) فقد كانت خاضعة للطائف من حيث التبعية الأدارية فقد كانت ولاية الطائف تمتد من الطائف شمالاً ثم

---

[1] الطبري ، ٣/٢١٨ .

[2] المسالك والممالك ، لابن خرداذبة ، ص ١٣٣ ، الكامل لابن الأثير حوادث عام ١٩٧ هـ .

[3] هي غير القحمة ـ بفتح القاف ـ التي بساحل تهامة عسير، وشمال الموسم بحوالي ٣١٠ كيلاً .

[4] الهمداني : ص ٧٣ ، ٧٥ ، ٢٥٨ .

تنحدر جنوباً في السراة بمختلف مخاليفها وأعراضها في الجنوب والشرق حتى حدود ولاية خالد بن سعيد بن العاص، على ما بين رمع وزبيد، والى حدود ولاية عمرو بن حزم الأنصاري بنجران، ومن المرجح أن يكون الحد الفاصل بين ولاية الطائف بكل مخاليفها وسراتها و بين ولاية سعيد ابن العاص هو وادي طلحة الملك الذي سبق أن نوهنا عنه في بداية البحث[1] والذي يبعد عن صعدة بحوالي ٧٥ كيلو متر في الشمال الغربي.

وكانت ولاية الطائف موزعة بين عثمان بن أبي العاص، ومالك بن عوف النصري، من بني نصر أحلاف ثقيف، عثمان على أهل المدر (أي الحضر) ومالك على أهل الوبر (أي البادية) وتشمل معظم قبائل السراة ومخاليفه، ثم شاركهم بعد فترة عكرمة بن أبي جهل فكان على أعجاز هوازن، أي المنطقة التي بها حاليا تربة وما حولها شمالا وجنوبا[2] وقيل كان عكرمة قد عهد إليه بجمع الصدقات، و لم يكن واليا[3] وأيا كان فمن سير الوقائع يتبين أن عثمان هو الرئيس، وهما مساعدان له، فقد كانت التعليمات من المدينة تصدر اليه بما يتعلق بالطائف والسراة ومخاليفها، ثم يقوم هو بابلاغها لهما، ولرؤساء القبائل والعشائر، الذين يرأسون قبائلهم وعشائرهم، فإبان حركة الردة كتب أبوبكر الصديق الى عتاب بن أسيد: أن اضرب على أهل مكة وعملها (أي افرض على مكة وما يتبعها من

---

[1] انظر ص١١ – ١٦ من هذا البحث .

[2] الطبري ، ٣١٨/٣ ، وقيل : استعمل سعد بن أبي وقاص على حمى الطائف ، المغازي للواقدي ص٩٧٣ .

[3] التراتيب الأدارية ، ٣٩٧/١ .

بلدان وبوادى، تجهيز) خمسمائة مقو (أى رحل قوى بآلاتة واستعداداته) وأبعث عليهم رحلاً تامته، فسمى على كل قوم وقبيلة عددا تجهزه وَتعده، وكان من بينهم رؤساء تلك القبائل، وحاملو الألوية بها، وأمّر عليهم أخاه خالد بن أسيد، وانتظر تعليمات أبى بكر الصديق[1] وكذلك كان الشأن بالنسبة لعثمان بن أبى العاص، فقد أمره أن يضرب بعثاً على أهل الطائف، وعلى كل مخلاف بقدره، أى بكل ما يستطع تجهيزه من المقاتلين، وأمّر عليهم أخاه عبدالرحمن بن أبى العاص، وانتظر تعليمات أبى بكر الصديق[2] ولأن هؤلاء وغيرهم من الولاة كانوا يعتبرون نوابا عن الرسول ﷺ فى ولايتهم، ثم نوابا للخلفاء الراشدين من بعده، فلم تكن لهم صلاحيات عامة، بحيث يهيمنون هيمنة كاملة فى ولاياتهم، وإنما كانوا يخضعون للمحاسبة، والرقابة الشديدة، وكثيرا ما كانت التعليمات تتخطاهم الى أحد مساعديهم، أو مرؤوسيهم من رؤساء القبائل، أو الشخصيات الهامة من أبناء المنطقة، اذا ما كان فى ذلك مصلحة، أو عمل يحتاج الى سرعة فى التنفيذ أو مهمة تحتاج الى حكمة، كما نرى ذلك كثيرا إبان مواجهة أبى بكر الصديق لحركة الردة .

وأيضا مثلما بعث الرسول ﷺ جرير بن عبدالله البجلى ـ وهو من أبناء المنطقة ـ أوائل عام ١١هـ، الى ذى الكلاع بن حبيب بن مالك بن حسان تبع، والى أخيه عمرو باليمن، يدعوهما الى الإسلام، فأسلما،

---

[1] انظر الطبرى ، ٣٢٢/٣ ، وابن خلدون ، ٦٨/٢ .

[2] الطبرى ، نفس الجزء والصفحة ، وابن خلدون نفس الجزء والصفحة .

وأسلمت امرأة ذي الكلاع، وكثيراً من قومهم ومن يلوذ بهم، وظل جرير لديهم يعلمهم القرآن، وأمور الدين حتى وفاة الرسول ﷺ، فأخبره ذو عمرو بوفاة الرسول، فخرج جرير مسرعا الى المدينة، وسار ومعه عمرو حتى خرج من بلاد اليمن [1] فكلف أبو بكر الصديق خليفة رسول الله جرير بالعودة الى السراة، وجمع ما يستطيع جمعه من أبناء القبائل بالمنطقة والتحرك نحو نجران لمساعدة قبائلها في القضاء على حركة الردة، ثم الانتظار بها حتى تأتيه تعليمات أخرى. مما سنذكره فيما بعد.

المهم أن الترتيبات النهائية للولايات أواخر عهد الرسول ﷺ كانت على الوجه الآتي:

١- عتاب بن أسيد على مكة وما حولها ويساعدة الطاهر بن أبي هالة على تهامة والحجاز، الممتدة جنوباً حتى نهاية أرض عك والأشعريين.

٢- عثمان بن أبي العاص، من قُسَيّ، من ثقيف على الطائف، ويساعدة مالك بن عوف النّصْرى على سراتها، ومخاليفها، وعكرمة بن أبي جهل على عجز هوازن وما يمتد من تربة جنوباً حتى ولاية نجران.

---

[1] طبقات بن سعد، ١/٢٦٥، ٢٦٦، والطبرى ٣/١٨٧، وبهجة المحافل، ليحى بن أبي بكر العامرى ٢/٧٤.

٣- عمرو بن حزم الأنصارى على نجران وأوديته[١] من نصارى قبائل عربية أسلمت عليها، منذ قدم اليها خالد بن الوليد منتصف العام العاشر الهجرى، وكانت الحدود الجنوبية لنجران ملاصقة لأرض بعض مذحج فى صعدة، ثم همدان، وهم الذين قدم اليهم على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ، وقال أحد مرافقيه من الصحابة الى ذلك المكان: انها أول بلاد اليمن، وهى أول أرض يمنية تطؤها جيوش المسلمين كما سبق أن ذكرنا ذلك[٢] وبعث الرسول ﷺ، أبا سفيان بن حرب الى عمرو بن حزم ليجمع صدقات نجران، ويسهم مع ابن حزم فى تفقيههم بأمور الدين[٣] وكان تحت هؤلاء أمراء عديدون على أقوامهم وقبائلهم، أوعلى بعض البلدان كصرد بن عبد الله الأزدى ولاه الرسول ﷺ على بلدة جرش، وتوفى الرسول، وهو عليها[٤] وقيس بن الحصين ذى الغصة الذى ولاه الرسول على بطون بنى الحارث بن كعب بنجران وغيرهما كثيرون من رؤساء القبائل بالمنطقة.

---

[١] انظر الطبرى ، ٣١٨/٣ ، وانظر فيما سبق ابن الأثير ، ٣٧٤/٢ ، ٣٧٥ .

[٢] انظر فيما سبق ص ١٤١ ، ١٤٢ من هذا البحث .

[٣] انظر : نسب قريش ، للمصعب الزبيرى، ص١٢٢ .

[٤] الإصابة فى تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلانى ١٨٧/٢، فى ترجمة صرد بن عبد الله، وطبقات ابن سعد ٣٤٠/١ .

وكانت الولايات بأرض اليمن أواخر عهد الرسول ﷺ، على الوجه الآتي [1]:

١- على صنعاء، وبعض مخاليفها، شهر بن باذان، تولاها بعد وفاة أبيه باذان، ثم فيروز الديلمي، بعد مقتل الأسود العنسي الذى قتل شهر بن باذان.

٢- على همدان ومخاليفها: عامر بن شهر الهمداني.

٣- على مأرب، ومخاليفها: أبو موسى الأشعرى، وكان أبو موسى الأشعرى قد سبق له أن ذهب الى اليمن لجمع الصدقات، ثم عاد الى المدينة مع على بن أبى طالب، وشهد حجة الوداع مع الرسول ﷺ[2] ثم عاد اليها أميرا ضمن الأمراء الذين عينهم الرسول ﷺ، وحدد لكل منهم منطقة لها حيز وحدود معلومة، وذلك بعد حجة الوداع.

٤- على ما بين نجران، ورمع[3] وزبيد: خالد بن سعيد بن العاص، وكان خالد قد ذهب أول الأمر عاملاً على الصدقات

---

[1] الطبرى ، ٢٢٧/٣ ، ٢٢٨ ، ٣١٨ ، وسيرة ابن هشام ، ٣٧٧/٢ ، والبداية والنهاية لابن كثير ، ٣٤٦/٦ ، وابن خلدون ، ٥٩/٢ .

[2] البداية والنهاية لابن كثير ، ١٨٨/٥ .

[3] رمع: قرية: أو موطن أبي موسى الأشعرى، بلاد الأشعريين، بالقرب من غسان الماء الذى تركته جماعة من الأزد، في هجراتهم ابان سد مأرب، ثم نزحوا الى الشمال، وتوزعوا، منهم من استوطن السراة وما حولها ـــ

مع فروة بن مسيك المرادي، في ولايته: مراد، وزبيد والأشعريين، وعند التعديل الجديد للولايات أنشئت ولاية في المنطقة المذكورة، وتولاها خالد بن سعيد بن العاص.

٥- على مدينة الجند، ومخاليفها: يعلى بن أمية بن عُبيدة التميمي، وكان قد استقطعت من فروة بن مسيك بلاد زبيد وضمت الى الجند، ولم يبق لفروة الا مراد قبيلته، فوليها، وكان تابعاً لولاية الجند أيضاً.

٦- وقسمت بلاد حضرموت الى ثلاث ولايات بين كل من: زياد ابن لبيد البياضي الخزرجي، وعكاشة بن أصغر الغوثي، الأزدي، والمهاجر بن أبي أمية المخزومي أخو أم سلمة أم المؤمنين، لكنه تخلف في المدينة لمرضه، وظل بها الى أن توفي رسول الله ﷺ، وكان قد بعث الى زياد البياضي لينوب عنه في إدارة ولايته، فأدارها خلال هذه الفترة حتى وقت الردة. وقيل: عين معاوية ابن كندة على أرض كندة، وأفرد كل ولاية بحيزها وحدودها[1] وكان ملوك حمير قد أسلموا، وبعثوا باسلامهم الى النبي ﷺ: الحارث، ومسروح ونعيم بن عبد كلال، والنعمان

---

— والمدينة ، وطي ، ومنهم من أقام دولة الغساسنة بالشام، معجم البلدان ، ٦٨/٣ ، وصفة جزيرة العرب للهمداني ، ص ٢٧٠ .

(١) الطبري ، ٢٢٨/٣ .

وذو زرعة قيل ذى رعين، ومعافر، وهمدان، وكان رسولهم مالك بن مرارة الرهاوى، وقد حمل كتابا من ذى زرعة الى الرسول ﷺ، وصادف وصوله المدينة عودة الرسول من غزوة تبوك فى شهر رمضان ٩هـ، وأسلم مالك بن مرارة ومكث هو بالمدينة يحفظ القرآن، ويتفقه فى الدين ولما عزم على العودة فى بداية عام ١٠هـ بعث الرسول خلفه وفدا فى ربيع الأول رئيسهم معاذ بن جبل، يتكون من: معاذ بن جبل، وعبد الله بن زيد، ومالك بن عبادة، ومالك بن مرة، وعقبة بن نمر وآخرين، وانضم إليهم مالك بن مرارة لأنه اجتهد فى حفظ القرآن الكريم والتفقه فى الدين لينتشروا فى بلدان اليمن، ومخاليفها، وجميع أرضها وقراها، يعلمون الناس القرآن، وأمور دينهم ويقضون بين الناس فيما يعنّ لهم، وكان الرسول ﷺ، قد علّم معاذ كيف يقضى بين الناس، ثم كان يبعث اليه بعد ذلك الكتب تحمل أموراً تشريعية[1] وكتب مع مالك الرهاوى كتاباً الى ملوك حمير، جاء فيه: أما بعد، فانه قد وقع بنا رسولكم منقلبنا من أرض الروم، فقلينا بالمدينة، فبلّغ ما أرسلتم به .. وأنبأنا بإسلامكم، وقتلكم المشركين، وأنه من أسلم من يهودى أو نصرانى فإنه من المؤمنين، له ما لهم، وعليه ما عليهم، ومن كان على يهوديته، أو نصرانيته فإنه لايرد عنها وعليه الجزية ..

---

[1] مجموعة الوثائق السياسية ، ص١٧٩ ، ١٨٠ ، وسيرة ابن هشام ، ٢٣٥/٤ ، والأموال لابن سلام ، ص ٣٨ .

واذا أتاكم رسلي فأوصيكم بهم خيراً: معاذ بن جبل، وعبد الله ابن زيد، ومالك بن عبادة، وعقبة بن نمير، ومالك بن مرة، وأصحابهم .. وأميرهم معاذ بن جبل .. فاستوصوا بهم خيراً[1] ولذا فان معاذ بن جبل هو وأصحابه كانوا ينتقلون في تلك الولايات بأرض اليمن ليعلموا الناس ويفقهوهم، ويحكموا بينهم بالاضافة الى جمع الزكاة، ولم يأت أحد منهم بمنطقتنا موضوع الدراسة لأن مهمتهم كانت قاصرة على أرض اليمن، والقبائل التي تتوطنها، وحدث أن رجلاً من قبيلة عكّ ترك موطن قبيلته

---

(1) مجموعة الوثائق السياسية ، ص ١٨١ ، وطبقات بن سعد ، ٢٤٦/١ ، ٣٥٦ ، وكتاب الأموال للقاسم بن سلام، ص ٣٩ ، والبداية والنهاية ، ٨٦/٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، وفيه : أن معاذ بن جبل الخزرجي الأنصاري ، أحد خمسة حفظوا القرآن عن ظهر قلب على عهد رسول الله وتفقه في أمور الدين ، حتى صار من أعلم الناس بالحلال والحرام ، وكان شاباً وسيماً ، سخياً كريماً لايسأله أحد الا أعطاه حتى أصبح عليه دين تستغرق جميع ماله ، وألح عليه غرماؤه ، فكلم الرسول ﷺ ، ليطلب من غرمائه امهاله ، فرفضوا ، فلم يبرح أن باع ما يملكه وقسمه بين غرمائه ، واستخلفه الرسول ﷺ ، مع عتاب بن أسيد بمكة ليعلم أهلها القرآن وأمور الدين ، وظل بها الى قبيل غزوة تبوك ، فانطلق الى المدينة وشارك في تبوك عام ٩هـ مع رسول الله ﷺ ، ثم لما عادوا منها وجدوا رسل ملوك حمير بالمدينة ، ومعهم مالك الرهاوي ، فكان يجالسه كثيراً ، ثم بعثه الرسول الى اليمن أميراً على مجموعة ليعلم أهلها القرآن الكريم ، وأمور الدين ، ويقضي بينهم ، ثم ليجبره في ماله لقاء ما يأخذه من سعاية في جمع الصدقات . فلما عاد من اليمن في عهد أبي بكر الصديق ، وكان معه مال كثير خاص به ، فأشار عليه عمر بن الخطاب بدفعه الى أبي بكر ليضعه ضمن مال المسلمين في بيت المال ، فرفض أبو بكر وقال، هو لك لا آخذ منه شيئا. ثم ذهب مع جيوش المسلمين إلى الشام، وكان حامل لواء الميمنة لجيش المسلمين يوم اليرموك، وقيل توفي في طاعون عمواس عام ١٨هـ، بعد أن عهد اليه أبو عبيدة بن الجراح قبل موته فمات هو أيضاً ، البداية والنهاية ، ٩/٧ ، ١٠٥ ، والسيرة الحلبية ، ٢٦٢/٣ ، والتبيين في أنساب القرشيين ، لموفق الدين بن قدامة ، ص٤٤١ .

فى تهامة، وتوطن بلدة خيوان[1] وهى من بلاد همدان، فتعرض له مالك بن مرارة الرهاوى، فتركه العكىّ وقدم على رسول الله ﷺ، بالمدينة، فقال: يارسول الله، ان مالك بن مرارة الرهاوى قدم علينا ـ فى خيوان ـ يدعو الى الإسلام، فأسلمنا، ولِيَ أرض فيها رقيق ومال، فاكتب لى بها كتاباً، فكتب له كتاباً جاء فيه إن كان صادقاً فى أرضه، وماله، ورقيقه، فله الأمان، وذمة الله، وذمة محمد رسول الله.[2]

وهذا يؤكد أن أرض عكّ الأصلية، وأرض الأشعريين التى تحت ولاية الطاهر بن أبى هالة، لم يدخلها معاذ بن جبل ورفاقه، لأنها خارجة عن نطاق مهمتهم، فمهمتهم محصورة فى أرض اليمن فقط، أما هذه فتابعة لإمارة مكة، وامتداد لأرضها.

ولكى نزيد تلك الارتباطات الادارية وضوحاً، لابد من التعرض لما أحدثته حركة الردة التى واكبت تنبؤ الأسود العنسى[3] وازداد لهيبها بوفاة الرسول ﷺ وذلك للوقوف على أسلوب مواجهتها، ومعرفة الترتيبات الإدارية التى أتبعت حينذاك.

---

[1] خيوان : شمال صنعاء بمسافة ١٢٢ كيلو .

[2] مجموعة الوثائق السياسية ، ص ١٩٣ .

[3] الأسود العنسى ، هو : عبهلة بن كعب بن غوث بن صعب بن مالك بن عنس من مذحج ، كان كاهناً، مشعبذا ، يستعمل السحر ، وقيل كان له اتصال بالجن .
الجمهرة ، ص٤٠٥ ، والطبرى ١٨٥/٣ ، وابن الأثير ، ٣٣٦/٢ .

## ٣- حركـــة الـــــودة :

بعد أن رجع الرسول ﷺ الى المدينـة من حجة الوداع، أواخر ذى الحجة ١٠هـ، رتب بعض الولايات التى كانت بحاجة الى ترتيب، وتحديد، وبعث عليها الأمراء، وفى أوائل المحرم ١١هـ بعث المصدقين لجمع الزكاة، وصرفه فى مصارفه، ثم بدأ تجهيز حملة يقودها أسامة بن زيد الى مشارف الشام. وحث الناس على الاستعداد للذهاب فى جيش أسامة، ثم بدأ يشتكى من وجعه (الذى توفاه الله به) أواخر المحرم، وقيل: عقب انتهائه، وقيل لليلتين بقيتا من شهر صفر.[1]

وخلال ذلك خرج الأسود العنسى على الناس متنبئاً، فى النصف الثانى من ذى الحجة ١٠هـ، عقب انسحاب جيش على بن أبى طالب من المنطقة، وعودته الى المدينة، وقت حجة الوداع، ثم عدم وصول بعض الأمراء الذين تم تعيينهم للولايات المحيطة به. ولتشجيع بعض شواذ القبائل له، الأمر الذى هيأ له نجاحاً، وانتشر أمره، نظراً لقرب الناس بالجاهلية، ولذا اعتذروا بهذا السبب عند عودتهم الى الإسلام، خرج العنسى من كهف خبان[2] واستولى هو واتباعه علىَ نجران، وأخرجوا منها عمرو بن

---

[1] الطبرى ، ٣/١٨٥ .

[2] كهف خبان : قرية بوادى خبان قرب نجران ( معجم المدن والقبائل اليمنية ص ١٤٠ ) وقيل : بلحج ، ولذا سمى اتباعه : خمجية الملك ، وهى كانت داره، ونشأته ، وأرض عنس قبيلته كانت بالقرب من مخلاف خولان

حزم، فانحاز ابن حزم الى قبائل نجرا ن التى ثبتت على إسلامها فى انتظار تعليمات، أو مدد يأتى إليه من المدينة، ويبدو أن ابن حزم ذهب الى المدينة لهذا الغرض، فوجد الرسول ﷺ، مريضا، فبقى بها الى أن توفى رسول الله ﷺ، وبعد ذلك وثب العنسى على ولاية خالد بن سعيد بن العاص، الواقعة فيما بجسران، ورمسع، وزبيد، فاستولى عليها، وانطلق الى صنعاء، فاستولى عليها أيضا، وقتل واليها شهر بن باذان، وتزوج امرأته، وأبقى على فيروز الديلمى، وداذويه الديلمى ليساعداه فى الادارة، وكان فيروز ابن عم امرأة شهر التى تزوجها العنسى، وقامت بدور كبير فى تدبير وتنفيذ خطة الخلاص من العنسى فيما بعد.

كما وثب قيس بن المكشوح المرادى على فروة بن مسيك المرادى، واستولى على مراد وأرضها وانحاز فروة الى من بقى على إسلامه من بطون مراد ومذحج وغيرهم الى مكان يقال له الأحسية[1] ثم استولى العنسى واتباعة على الجند، وعدن، ثم بعض المدن الساحل بتهامة الحجاز كالشرجة[2] ولم يستول على شيء من أعمال الطائف التى كانت حدودها الجنوبية ملاصقة للحدود الشمالية لولاية خالد بن سعيد، ولذا يقول المؤرخون: غلب الأسود على مابين صيهد ــ الربع الخالى ــ الى عمل الطائف .. أى حدود عمل الطائف[3] وظل الطاهر بن أبى هالة مقيماً فى

---

[1] انظر فى كل ماسبق الطبرى، ٣/١٨٥، ٢٣٠، وابن خلدون، ٢/٦٠، والبداية والنهاية، ٦/٣٤٧.

[2] الشرجة بساحل الوسم.

[3] انظر الطبرى، ٣/٢٣٠، وابن خلدون، ٢/٦٠.

ولايته ــ عك والأشعريين ــ وانحاز اليه بعض الأمراء كيعلى بن أمية، بعد أن استولى العنسي على الجند (إمارة يعلى)، ولذا يقولون: إن عك معترضون عليه، أى لم يتبعوه واعترضوا طريقه. وكذا همدان وتجيب وكثير من القبائل اليمنية لم يستجيبوا له.[1]

وكان أول من كتب الى الرسول ﷺ، عن خبر العنسي، فروة بن مسيك المرادى[2] فوصله الخبر وهو يحث الناس على الخروج فى جيش أسامة، فكتب الى نفر من الأقيال والأبناء ليجمعوا رجالاً ممن ثبتوا على إسلامهم لمحاربة العنسي، كما كتب الى الأمراء فى ولاياتهم يحثهم على التصدى للأسود بمن ثبتوا لديهم على إسلامهم ــ وخرج جرير بن عبد الله البجلى من المدينة حاملاً كتب النبى ﷺ، الى كل من: ذى الكلاع، وذى ظليم، فاذا فرغ فلينطلق الى نجران، وكان كتاب النبى ﷺ الى أهل نجران كتابا عاما جاء فيه: إلى أهل نجران، إلى عربهم، وإلى ساكنى الأرض من غير العرب .. ثم حثهم فيه على التماسك، والتصدى للعنسي .. فانحازوا فى مكان واحد، وتهيأوا لمواجهة العنسي[3] كما أرسل الرسول ﷺ، وبر ابن يُحنس الأزدى ــ وقيل: الديلمى ــ إلى داذويه، وجشيش، وهم من الأبناء، وإلى بعض الأقيال، ورؤساء القبائل، والأمراء فى ولاياتهم، فلعسب أول ما ذهب الى معاذ بن جبل فى السكون بحضرموت، وتحرك معه معاذ

---

[1] تاريخ الخميس فى أحوال انفس نفيس ، للديار بكرى ، ٢٠٢/١ ، وابن الأثير ، ٢٣٦/٢ ، ٣٣٧ .

[2] الطبرى ، ٣/ ١٨٧ ,

[3] الطبرى ، ٢٣٢/٣ ، وابن الأثير ، ٣٣٨/٢ .

الى من يحمل اليهم كتباً، وعملا معاً على تجميع الناس، ودخل ابن يحنس صنعاء خفية والتقى بفيروز وأصحابه وأطلعهم على كتب رسول الله، وحثهم على التخلص من العنسى، إما بالمواجهة، أو غيلة[1] وكان من حسن حظهم أن قيس بن المكشوح اختلف مع العنسى، وبدأ يعمل ضده[2] وأخيراً تمكن فيروز، وداذويه، وقيس، من قتل الأسود العنسى غيلة بمساعدة من زوجته[3] وجاء الخبر من السماء الى النبى ﷺ، ليلة مقتل العنسى، فأخبر أصحابه قائلاً: إن الله قد قتل الأسود الكذاب، قتل البارحة[4] واصطلحوا على أن يتولى الأمر فى صنعاء، بصفة مؤقتة معاذ بن جبل، لحين يعين الرسول ﷺ، والياً عليها، وكتبوا بخبر العنسى، وأمر الولاية الى رسول الله، فوصل رسولهم المدينة أخر النهار الذى توفى فى صباحه رسول الله ﷺ[*] وقيل: وصل ثانى يوم الوفاة، وآلت الإمارة الى فيروز، لأن معاذ قدم الى المدينة عند سماعه خبر وفاة الرسول ﷺ، ثم أقره أبو بكر عليها عقب توليته الخلافة.

كان بعض أتباع العنسى قد فروا من صنعاء عقب مقتله، واتخذوا المنطقة التى بين نجران ورمع وزبيد مقرا لهم، أى ولاية خالد بن سعيد

---

[1] الطبرى ، ٢٣١/٣ ، وابن خلدون ، ٦٠/٢ ، والبداية والنهاية ، ٣٤٧/٦ ، ٣٤٨ ، وابن الأثير ٣٣٨/٢ .

[2] الطبرى ، نفس الجزء والصفحة ، والبداية والنهاية ، ٣٤٨/٦ .

[3] الطبرى ، ٢٣٥/٣ ، والبداية والنهاية ، ٣٥٠/٦ .

[4] الطبرى ، ٢٣٦/٣ ، ٢٣٩ ، وابن الأثير ، ٣٤٠/٢ ، ٣٤١ .

[*] الطبرى ، ٢٣٦/٣ ، والبداية والنهاية ، ٣٥٠/٥ .

السابقة. أما نجران فقد هب أهلها بطرد اتباع العنسى بمجرد سماعهم خبر مقتله.

وشاع خبر وفاة الرسول ﷺ، فتصدعت له القلوب، واضطربت الأرض، واستيقظت الفتنة، وصار العرب مابين مرتد، ومانع للصدقة (الزكاة) وواقف ينظر يقدم رجلاً ويؤخر الأخرى، والمسلمون حيارى بين فراق نبيهم وقائدهم يعتصرهم الألم، وبين ذئاب تتربص فريستها.

وكأن الله قد ادخر أبا بكر الصديق ــ المتسم بالطيبة والوداعة طوال حياة الرسول ــ لهذا الموقف العصيب من دهشة الوفاة، ثم السقيفة، ثم ردة العرب، وأصبح هو فى جانب، وغالبية أولى الرأى والمشورة من الصحابة فى جانب، حيال ردة العرب يقول له عمر: تألف الناس، وأرفق بهم، فيجيبه أبوبكر بتعجب: أجبار فى الجاهلية، خوار فى الإسلام يا عمر؟! قد انقطع الوحى، وتم الدين، أينقص وأنا حى؟ لا والله[1] والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه[2] ثم مالبث الصحابة أن رأوا صواب ما ذهب اليه أبو بكر، فحمدوا الله على قيادته لهم بعد وفاة رسول الله، وأيدوه وناصروه.

---

[1] تاريخ الخميس، للديار بكرى، ٢٠١/١، الطبرى، ٢٤٢/٣، ٢٤٣، والبداية والنهاية، ٣٥١/٦.

[2] الطبرى، ٢٤٤/٣، أراد بالعقال الحبل الذى يعقل به البعير الذى كان يؤخذ للصدقة، فقد كانت تؤخذ بعقلها، أى أن العقال على صاحبها، وقيل المقصود أقل شيء كانوا يدفعونه ولو ما يقابل ثمن عقال البعير، ثم رفضوا دفعه لقاتلتهم حتى يدفعوه.

وكان بعض الولاة قد تركوا أماكنهم في إمارتهم، وقدموا الى المدينة عقب سماعهم بوفاة الرسول ﷺ، وبقي الكثير في مواقعهم تحسبا لأى خطر يداهم المسلمين في هذا الموقف العصيب، بل إن بعضهم قام بدور مشابه لما قام به أبو بكر الصديق، خليفة رسول الله ـ من التصدى للمرتدين، وترسيخ دعائم الإيمان في قلب الذين ثبتوا ..

فمثلاً سهيل بن عمرو بن عبد شمس، أحد زعماء قريش وخطيبها وشاعرها المفوه، الذى فاوض الرسول ﷺ نيابة عنها يوم الحديبية ٦هـ، وركب الصعب في مفاوضاته يومها، حتى تغيظ منه بعض المسلمين وفاض صبرهم. أسلم سهيل يوم الفتح، وحسن إسلامه، وظل هو وكثير من زعماء قريش بمكة بعد إسلامهم، ولم يهاجروا الى المدينة لأن الرسول قال: لاهجرة بعد الفتح، فكانوا عونا لأمير مكة عتاب بن أسيد في استقرار الأوضاع والأمن في بلد الله الأمن، وفيما حوله، أو يتبعه من عمالات، وكان سهيل قد أسر ضمن من أسروا من المشركين يوم بدر، ولما عرض على الرسول ﷺ، تقدم عمر بن الخطاب وقال للرسول: دعني يارسول الله أنزع ثنيته[1] حتى يلدغ لسانه، فلا يقوم عليك خطيباً، أو يهجوك بشعر بعد اليوم، فقال الرسول: دعه ياعمر، فلعله يقوم مقاماً تحمده فيه، ولاتذمّه[2] فلما كان يوم وفاة الرسول ﷺ، واضطربت

---

[1] اى ماتقدم من أسنانه ، حتى يلدغ ، وفى رواية ، أى لايستطيع نطق الحروف نطقا سليما .

[2] البداية والنهاية ، ٣١٤/٥ ، الخميس فى أحوال أنفس نفيس ، للديار بكرى ، ٢٠١/١ .

الأرض، ودارت همهمه في مكة تتحدث عن ردة بعض القبائل، وخشي عتاب بن أسيد أن يكون لها صدى ببلد الله الآمن، فقام سهيل خطيباً في المسجد الحرام: فحمد الله، وأثنى عليه، وذكر أن وفاة الرسول ﷺ، أمر قضى به الله، شأنه شأن سابقيه من الرسل، وأن الله نعاه إلينا وهو بين أظهرنا، وأنه لم يفارقنا الا بعد أن كملت الرسالة، وأدى الأمانة، وأن الإسلام أصبح في قوة، فمن رابنا أمره ضربنا عنقه دون هوادة[1] عند ذلك خاف الناس، وكفت الألسنة. أليس هذا هو الموقف الذي قصده الرسول ﷺ، في إجابته على عمر يومها؟ سبحان مقلب القلوب!

وفي الطائف وقف أميرها عثمان بن أبي العاص، خطيباً في ثقيف فقال: ناشدتكم الله ألا تكونوا أول الناس ارتداداً، وأخرهم إسلاماً[2] وكذلك قام عوف بن مالك النصري في الاحلاف وبعض البوادي وتوعد من يرتد عن الإسلام، ولذا قالوا: ثبت على الاسلام عقب وفاة الرسول ﷺ، مابين المسجدين، وهذيل، وأهل السراة، وبجيلة، وخثعم، ومن قارب تهامة من هوازن، وقال أبو هريرة: لم يرجع واحد من دوس، ولا من السراة كلها[3] وكذلك لم يرجع كثير من القبائل. فمثلاً يقول أبو مرزوق التجيبي ـــ من قبيلة تجيب باليمن ـ لم يرجع واحد منا من تجيب، ولا من همدان، ولا من الأبناء بصنعاء، ولقد جاء خبر وفاة رسول الله ﷺ، الى

---

[1] البداية والنهاية ٣١٤/٥ .

[2] تاريخ الخميس ، للديار بكرى ، ٢٠٢/١ .

[3] تاريخ الخميس ، للديار بكرى جـ ١ ، نفس الصفحة .

الأبناء، فشقت نساؤهم الجيوب، وضربن الخدود، وهن في ذهول، وفيهم المرزبانة، فشقت دِرْعَها[1].

وعلى كل فقد ظل أميرا مكة والطائف، ومن يساعدهما من رؤساء البلدان والقبائل والعشائر، متيقظين لأية بادرة تظهر في ولايتهما، وتوابعهما، حتى تواترت الأخبار الى مكة بتجمع ضئيل من شذاذ بعض القبائل ـ مدلج، وخزاعة، وكنانة ـ يقودهم جندب بن سلمى، أحد بني شنوق المدلجي، تجمعوا بمكان يقال له: الأبارق، بتهامة، فيما بين مكة والمدينة. فبعث عتاب بن أسيد كتيبة قادها أخوه خالد بن أسيد، فشتت جمعهم، وأعادهم الى صوابهم، حتى ندموا على ما فعلوا، وقال في ذلك قائدهم، جندب بن سلمى، نادماً على ما كان منه:

ندمت وأيقنت الغداة بأنني ... أتيتُ التي يبقى على المرء عارها

شهدت بأن الله لاشيء غيره ... بني مدلج فالله ربي وجارُها[2]

وكتب عتاب بن أسيد الى أبي بكر خليفة رسول الله، مبشراً.

وفي إمارة الطائف حدث أيضاً أن تجمعت شرذمة من شواذ بعض القبائل ـ خثعم، وبجيلة، والأزد ـ تحت قيادة حميضة بن النعمان الأزدي،

---

[1] تاريخ الخميس ، للديار بكرى ، والدرع عباءة العباءة للنساء في عصرنا الحاضر .
[2] الطبرى ، ٣١٩/٢ ، وابن خلدون ، ٦٨/٢ .

فبعث اليهم عثمان بن أبى العاص كتيبة قادها عثمان بن ربيعة الثقفى، ففض جموعهم، وأعاد الرشد الى عقولهم. وفى ذلك قال عثمان بن ربيعة:

فضضنا جمعهم والنقعُ كابٍ          وقد تُعْدِ على الغدر الفسوقُ

وأبرق بارق لما التقينا          فعادت خُلَّباً تلك البروق

وفى عمالة الطاهر بن أبى هالة ـ بأرض عك والأشعريين بتهامة، وكانت امتدادا لعمالة مكة ـ تجمعت طائفة من شواذ القبائل، عندما سمعوا خبر وفاة الرسول ﷺ، وكانوا على غير رئيس منهم، فكتب الطاهر بن أبى هالة الى أبى بكر، ثم سار اليهم ومعه مسروق العكى، وكانوا قد تجمعوا بالأعلاب بالقرب من الساحل. فهزمهم وشتت جموعهم. وقتل منهم كثيرين ليرهب غيرهم، وجاءه كتاب أبى بكر، رداً على كتابه، وقد فرغ منهم، وأقام هو ومسروق العكى فى هذا المكان ليأمنا الطريق. وينتظر تعليمات جديدة من أبى بكر.

وفيما عدا هذه الأحداث الثلاثة فلم تكن فى ولايتى. مكة والطائف ما يعكر صفو الأمن فيهما. وأصبحتا عوناً للإسلام، وللدولة الإسلامية، بقبائلهم وأبنائهم الذين تحت الألوية التى عقدها لهم الرسول ﷺ، قبل وفاته.

كانت فلول العنسى الذين هربوا من صنعاء ليلة مقتله، قد اتخذوا المنطقة فيما بين رمع، وأبين، وزبيد ـ وهى الولاية التى كان فيها خالد بن سعيد بن العاص ـ مركزاً لهم، ونشاطاً لتحركاتهم وإفسادهم، ويهددون

بذلك إمارة نجران، وجنوب ولاية الطائف، وجنوب عمالة مكة القائم فيها الطاهر بن أبي هالة، وذلك بالاضافة الى صنعاء، والمناطق الشرقية لمركز تلك الفلول، وبخاصة بعد أن انضم اليهم مرة ثانية قيس بن المكشوح، وزحف بهم على صنعاء فاستولى عليها، وهرب فيروز الديلمي أميرها الى أخواله من خولان. فأمسك ابن المكشوح أبناء فيروز وأبناء غيره ممن أصلهم فارسي، ويطلق عليهم الأبناء، وأراد نفيهم عن البلاد، وسيرهم مع حراس ليحملوهم في البحر الأحمر الى بلادهم فارس فاستصرخ فيروز بقبيلة بني عقيل بن ربيعة بن عامر، وبقبيلة عك لينقذوا أبناءه وظعائنه من حراس ابن المكشوح قبل أن يدفعوا بهم الى البحر، فأنقذوهم وأعادوهم الى فيروز، ووقفوا بجانبه بعد ذلك ضد ابن المكشوح[1] وتلقى الطاهر بن أبي هالة تعليمات أبي بكر بالتحرك هو ومسروق العكي لمساعدة فيروز. فاستطاعوا جميعاً استرداد صنعاء من ابن المكشوح، وعاد فيروز إلى إمارتها.

ونظراً لتفاقم الخطر في هذه المنطقة ــ أي مابين رمع وزبيد، الملاصقة لجنوب كل من ولاية مكة، والطائف، ونجران ــ لتمركز فالة العنسي بها، وضرورة القضاء على ذلك الخطر قبل أن يمتد أثره الى مناطق أخرى، وبخاصة الى عمالة مكة المكرمة، منطقة الحرم وأرضه، فقد أصدر أبو بكر خليفة رسول الله، عدة توجيهات وتعليمات تحمل طابع السرعة

---

(1) الطبري، ٣٢٦/٣، وابن خلدون، ٦٨/٢ .

وغالب الظن أنها لم تتخذ فى أية منطقة أخرى إبان فتنة الردة، مما يؤكد على حرصه البالغ لأهمية استقرار الأمن فيها، وفى كل ما يحيط بها من مناطق، وأنه أوكل مهمة استقرار الأوضاع فيها، وعلى حدودها الى أبنائها على وجه الخصوص، فقد خرجت توجيهاته كالآتى:

– كتب الى عتاب بن أسيد، وَالى مكة وأرضها، أن يضرب (أى يفرض) على أهل مكة وعملها تجهيز خمسمائة رجل مقو، أى كل منهم بكامل استعداداته القتالية، وأن يولى عليهم قائداً يأمنه، ويثق فى قيادته، وينتظر تعليمات أخرى[1] وكأن هذه مرحلة استنفار عام، أو طوارىء واستعداد للدخول لمعركة.

– كتب الى عثمان بن أبى العاص أن يضرب (أى يفرض) بعثا على أهل الطائف، ومخاليفها، كل مخلاف بقدره، أى على كل قبائل السراة، وأعراض الطائف، كل قبيلة أن تجهز من الرجال بقدر حجمها، وقوتها، وأن يكون كل منهم بكامل استعداداته القتالية، ويولى عليهم من يأمنه ويثق فيه، ولما أقبلت الى عثمان جموع تلك القبائل وَلَّىَ عليها أخاه عبدالرحمن بن أبى العاص، وانتظر باقى التعليمات من أبى بكر.[2]

---

[1] الطبرى ، ٣٢٢/٣ ، وابن خلدون ، ٦٨/٢ .

[2] الطبرى ، نفس الجزء والصفحة ، وابن خلدون نفس الجزء والصفحة ، وفيهما أنه طلب اعدادعشرين رجلا من كل قبيلة ، أو بطن منها .

كان عمرو بن حزم قد انحاز الى بعض قبائل نجران عندما استولى العنسي على نجران أوائل المحرم عام ١١هـ، وكتب الى رسول الله ﷺ، فكتب الرسول كتابا عاما الى أهل نجران، والى عربهم والى ساكني الأرض من غير العرب[1] وربما يكون هذا الكتاب من أواخر الكتب التي صدرت عن الرسول ﷺ ولهذا انحازت قبائل نجران في مكان واحد، وأخذت تستعد لمواجهة العنسي فاذا به يترك نجران ويتجه الى صنعاء فاحتلها، وبقيت له بقية بنجران أخرجها أهل نجران عندما علموا بمقتله، أما ابن حزم فإنه عندما علم بمرض الرسول ذهب الى المدينة، وظل بها بعد الوفاة، وأصبحت نجران دون وال. لذا فان أبا بكر تدارك هذا الموقف وأمر جرير ابن عبد الله البجلي، بأن يخرج الى السراة، ويقود ما يقدر على جمعه من رجال قبيلته بجيلة والقبائل الأخرى، ويقاتل بهم من يسمع أنهم ارتدوا، من شراذم الناس، ثم يتجه بعد ذلك الى نجران فيقيم فيها، حتى يأتيه أمره.[2]

– كتب أبو بكر الى عبد الله بن ثور بن أصفر الغوثي، الأزدي، أن يجمع جموعاً من قبائل وسط تهامة وعسير، ويقيم مكانه حتى يأتيه أمره[3].

---

[1] الطبري، ٢٣٢/٣ .

[2] الطبري، ٣٢٢/٣، وابن خلدون، ٦٨/٢ .

[3] الطبري، ٣٢٨/٣، وعبدالله هنا هو أخو عكاشة بن ثور، أحد الولاة الثلاثة الذين ولاهم رسول الله بأرض حضرموت .

— كتب الى الطاهر بن أبى هالة، بأن يسير ومعه مسروق العكسى، نحو ولاية أرض صنعاء لمساعد فيروز والأبناء ضد قيس بن المكشوح، بغرض العمل على استعادة صنعاء منه، وذلك بعد أن تأكد أبو بكر من أن عمالة الطاهر أصبحت مستقرة.

— ثم عقد أبو بكر لواء للمهاجر بن أبى أمية المخزومى ـ أخو أم سلمة أم المؤمنين ـ وكان الرسول ﷺ، قد ولاه كندة بحضرموت لكنه مرض وبقى بالمدينة. وكتب المهاجر الى زياد بن لبيد البياضى، الخزرجى بإدارة إمارته نيابة عنه لحين حضوره، ثم توفى رسول الله والمهاجر لم يبرح المدينة بعد، فعقد له أبو بكر لواء يقاتل به الفارين المتمردين من أتباع العنسى، الذين يهددون جنوب كل من ولاية مكة والطائف، ونجران. وقد اتخذوا المنطقة فيما بين نجران ورمع وزبيد مركزا لهم، فاذا فرغ منهم فليذهب الى ولايته بحضرموت، وكان المهاجر يعتبر أخر الألوية التى عقدها أبو بكر، وخرجت من المدينة الى كل الجهات أو بالأحرى من ذى القصة، كانت تعليمات أبى بكر الى المهاجر أن يتخذ مكة طريقه لتنضم اليه الحشود والقوات التى سبق أن طلب من الولاة تجهيزها، وحمل المهاجر كتباً لهم من أبى بكر بانضمامهم اليه، وتحت قيادته، فمر المهاجر بمكة فانضم إليه خالد بن أسيد بقواته التى سبق تجهيزها، ومر بالطائف فانضم اليه عبدالرحمن بن أبى العاص، بقواته، ثم سار حتى انضم إليه عبد الله بن ثور حين حازاه بالسراة، وأخيراً انضم اليه جرير بن عبد الله البجلي، بمن

معه من قوات، حيث أصبحت نجران هادئة [1] وانضم اليه أيضا فروة بن مسيك، وكان عمرو بن معد يكرب، قد وثب عليه، وخلعه عن ولاية قبيلته مراد، فأقبل فروة الى نجران فأقام فيها مع جرير بن عبدالله البجلي حتى قد قدم المهاجر بن أبي أمية فانضم اليه، وسار جميعهم تحت قيادة المهاجر الى منطقة تمركز الفالة المتمردين أتباع الأسود، وعند دخوله المنطقة التي بها المتمردون، استسلم كل من عمرو بن معد يكرب، وقيس ابن المكشوح، فبعثهما المهاجر لأبي بكر، فأنبهما ثم عفا عنهما وحسن إسلامهما، وأبليا بلاءاً حسناً خلال الفتوحات الإسلامية، ثم مالبث عكرمة أن تقدم بجيشه الى المنطقة، وأسهم مع المهاجر في القضاء على شراذم الفَـالّين بالمنطقة، ثم تقدم المهاجر الى صنعاء التي كانت قد استقرت الأمور فيها بجهود كل من فيروز والطاهر بن أبي هالة، وتولى الأمر فيها فيروز، ومنها كتب المهاجر الى أبي بكر بكل الذي صنع، وانتظر تعليمات أبي بكر قبل أن يتحرك الى ولايته في حضرموت، فجاءه كتاب أبي بكر بأن يسير مع عكرمة لنجدة زياد البياضي، ثم يذهب لولايته، وقبل أن يتحرك من صنعاء عليه أن يأذن لمن معه، ومن انضم اليه من أهل ولاية كل من مكة، والطائف، ونجرا ن، وتخاليفهم أن يعودوا لمواطنهم إلا أن

---

[1] الطبري ، ٣٢٩/٣ ، ابن خلدون ، ٦٨/٢ ، ويقول ابن خلدون ( إن تعليمات أبي بكر الى المهاجر ابن أبي أمية بأن يسير الى اليمن ليصلح من أمره. ثم ينفذ الى عمله ، وأمره يقتال من هم بين نجران وأقصى اليمن)، وهذا واضح بأن المنطقة التي كان يقيم بها الفارون أتباع العنسي ، وهي مابين نجران ، وزبيد ، هي أقصى بلاد اليمن . أي آخرها شمالاً ، وهي المجاورة لحدود ولاية مكة والطائف من الجنوب .

يؤثر أحد منهم الجهاد، فيسير معه. ثم أمده أبو بكر بعبيدة بن سعد[1] وهذه أيضا من التعليمات التي لم تصدر لأى قائد بشأن مواطنى أية منطقة خلاف مكة والطائف ومخالفيهما، ولذا نلحظ أن جرير عاد واستقر فى نجران يدير شئونها، وبعد ذلك ذهب الى المدينة ليستأذن أبا بكر فى الذهاب الى ميادين الفتوحات.

أما عكرمة فظل بمنطقة مابين رمع وزبيد، بعد أن عاد لها الاستقرار فى انتظار تعليمات أبى بكر، فاذا به يصله كتاب أبى بكر يطلب منه سرعة السير الى زياد بن لبيد البياضى لنجدته، فانطلق عكرمة بمن معه من جند الى صنعاء، ومنها سار هو والمهاجر بمن معهما من جند الى حضرموت لنجدة زياد [2] ومما يلاحظ أن من أورد نص كتاب أبى بكر لعكرمة لنجدة زياد، قال إن عكرمة كان بمكة، أوتبالة [3] لكن الصواب أنه كان بالمنطقة التى تمركز فيها الفارون أتباع العنسى وهى مابين رمع وزبيد .. وبقى فيها بعد أن تم القضاء على المتمردين فى انتظار تعليمات أبى بكر، وأن الذى غادرها هو المهاجر، ذهب الى صنعاء وغالب الظن أنه حدث خلط بين استدعاء عكرمة لعقد لواء له وبين تكليفه بنجدة زياد، ذلك أن عكرمة كان قد عين أواخر عهد الرسول ﷺ، والياً، ومصدقاً على عجز هوازن أى منطقة تربة وما حولها، ولما تنبأ العنسى واستولى

---

[1] الطبرى ، ٣/٣٣١ .

[2] مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى ، ص ٣٠٢ .

[3] انظر مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى ، ص ١٣٠ ، ٣٠٢ .

على نجران ذهب عكرمة الى تبالة لمراقبة العنسي، وجمع مايقدر على جمعه من أبناء قبائل المنطقة، لمنع العنسي من القفز الى ولايتي مكة والطائف فيما لو فكر في ذلك. وبعد وفاة الرسول ﷺ وتولية أبي بكر، استدعاه أبو بكر من تبالة الى ذي القصة[1] التي اتخذها أبو بكر مقراً له لعقد الألوية وتحريك الجيوش الى المناطق لمواجهة الردة، وكان أول لواء عقده هو لواء عكرمة وأمره بالسير الى مسيلمة باليمامة واتبعه بشرحبيل بن حسنة[2] لكن عكرمة تعجل الأشتباك بمسيلمة قبل وصول شرحبيل فَمُنِيَ بهزيمة، فكتب الى أبي بكر، فجاءه خطاب أبي بكر حاملاً تأنيباً ولوماً، ويأمره بالسير إلى عمان ومهرة لمساعدة حذيفة بن اليمان، وعرفجة بن هرثمة، ثم ليكن وجهته بعد ذلك منطقة فالة العنسي، ليقابل هناك المهاجر بن أبي أمية[3] وقد نفذ عكرمة تعليمات أبي بكر، ووفقه الله كل التوفيق، بعد الهزيمة الأولى وانتظر تعليمات جديدة من أبي بكر وهو بهذه المنطقة ــ مابين رمع، وزبيد ــ فجاءته تعليمات أبي بكر بالسير الى نجدة زياد بن لبيد البياضي، في حضرموت، وليس إلى دبا وعمان كما جاء في نص الكتاب، أو فيما فهم خطأ من أنه ورده وهو بمكة أو تبالة.

---

[1] ذو القصة، قيل: على بعد بريد من المدينة تلقاء نجد، وفاء الوفاء ٣٦٢/٢ وقيل: بينها وبين المدينة ثلاثون ميلاً، أي ٤٨ كيلو متر تقريباء المناسك وأماكن طرق الحج لأبي على الحربي ص٣٣٠، وانظر الطبري، ٢٥٤/٣ .

[2] الطبري ، ٢٤٩/٣ .

[3] الطبري ، ٢٨١/٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٢٧ .

وعموماً فإن المنطقة تكون بذلك قد هدأت، وزال الخطر الذى كان يهدد جنوب كل من ولاية مكة، والطائف، ونجران، واتجهت جهود أبناء تلك الولايات الثلاث وغيرهم، الى الفتوحات الإسلامية.

والمهم أن الولايات الثلاث ظلت معروفة بما يتبعها من بوادى، ومخاليف، وأحواز، على نفس هذه الحدود والمعالم [1] بالرغم من هجرة بعض القبائل أو تنقلها من مكان لآخر، أو حتى مع زحفها على ماجاورها من مناطق لم تكن بحوزتها من قبل، وذلك إبان الفتوحات الإسلامية، ونزوح العديد من بطون القبائل الى البلدان المفتوحة فبالرغم من تحركات بعض القبائل من مواطنها الا أن حدود الولايات ظلت معروفة على هذا الوضع، وسجلت فى الدواوين التى أنشأها الخليفة عمر بن الخطاب وبخاصة فى ديوانى الخراج، والأعطيات، وتأكد تثبيتها، ومن ثم إيضاحها أكثر فى عهد الخليفة المأمون عندما جمع العلماء، وعهد إليهم بوضع جغرافية للأمصار والولايات، ونشط العلماء فى تصنيف كتب البلدان والمعاجم، لتحديد الأماكن والبلدان وقياسات المسافات بينها.

---

[1] وحدد كثير من المؤرخين اليمن بثلاث ولايات : صنعاء ومخاليفها ، وحضرموت ومخاليفها، والجند ومخاليفها (وهى تهامة اليمن) ثم بعد فترة احتلت عدن مكان مدينة الجند ، كقاعدة هذه المنطقة أو الولاية ، وكانت جميعها تحت ولاية والٍ واحد أو أكثر وفق الظروف . انظر ابن خرداذبة ، ص ١٣٤ .

ولانود بهذا أن نستبق الأحداث التاريخية، فسوف يمر بنا مسا يؤكد هذا القول ويدعمه، غير أن مقتضى الحال هنا يستوجب علينا أن نشير الى نقطة مهمة فيما نحن بصدده من سرد أحداث تلك الفترة.

كان نصارى نجران عندما علموا بوفاة الرسول ﷺ، وتولية أبى بكر الصديق خليفة له، بعثوا وفدا الى خليفة رسول الله، ليجدد لهم عهد الرسول الذى أعطاه إياهم. فكتب لهم أبو بكر كتاباً جاء فيه: هذا كتاب من عبد الله أبى بكر، خليفة رسول الله ﷺ، لأهل نجران[1] أجارهم من جنده ونفسه، وأجاز لهم ذمة محمد ﷺ، الا ما رجع عنه محمد ﷺ، بأمر الله عز وجل، فى أرضهم وأرض العرب ألا يسكن بهما دينان[2]أجارهم على أنفسهم بعد ذلك، وملتهم، وسائر أموالهم، وحاشيتهم، وعاديتهم، وغائبهم، وشاهدهم، وأسقفهم، ورهبانهم، وبيعهم[3] وعلى ما ملكت أيديهم من قليل أو كثير، عليهم ما عليهم[4] فاذا أدوه فلايحشرون، ولا يعشرون[5]ولا يغير أسقف عن أسقفيته، ولا راهب عن رهبانيته، ووفى لهم بكل ما كتب لهم رسول الله ﷺ،[6] وعلى مافى هذا الكتاب من ذمة

---

[1] أى للنصارة من أهل نجران ،ذلك أن أهل نجران لم يكن كلهم نصارى ، وإنما كانت فيها قبائل عربية عليهئة أسلمت ، وهذا ايضا يفهم من نص هذا الكتاب الذى كتبه لهم ابوبكر الصديق ــ رضى الله عنه ــ .

[2] سبق لنا التعرض لما ورد بشأن هذا الموضوع ، انظر ص١٣٥ ــ ١٤٠ من هذا البحث .

[3] البيع : جمع بيعة ، وهى الكنيسه ، وصوامع الرهبان .

[4] أى عليهم ماسبق أن فرضه عليهم الرسول ﷺ ، دون زيادة أو نقصان

[5] أى فلا يفرض عليهم بعث للمشاركة به فى المغازى ، ولا ترسل عليهم الجيوش لغزوهم .

[6] الطبرى ، ٣/٣٢١ ، ٣٢٢ ، ومجموعة الوثائق السياسية ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

محمد رسول الله ﷺ، وجوار المسلمين، وعليهم النصح والإصلاح فيما عليهم من الحق.

وذيل الطبرى هذا النص بخبر ـ دون أن يتحرى مدى مصداقيته ـ يقول: إنه كان لدى نصارى نجران ـ فى ذاك الوقت ـ أربعون ألف مقاتل، من بنى الأفْعَى، الأمة التى كانوا عليهم قبل بنى الحارث بن كعب[1] ولا ريب أن هذا العدد مبالغ فيه كثيراً، فنصارى نجران كانوا قلة بالقياس الى بقية سكان نجران من القبائل العديدة التى أسلمت[2] ثم إن نجران بكامل سكانها تعد منطقة محدودة بالقياس الى غيرها من مناطق شبه الجزيرة العربية، والمسلمون كانوا يشغلون مساحة أكبر منها بكثير، وقت فتح مكة، ومع ذلك فان جيش المسلمين يومها كان عشرة الأف رجل، وعددهم يوم حنين، الذى تباهوا فيه بكثرتهم، وقالوا: لن نغلب اليوم عن قلة، لم يزد عددهم عن خمسة عشر ألف رجل، فى إحدى الروايات المتفائلة، وجيش المسلمين يوم اليرموك، الذى حشدوا فيه كل طاقتهم، لم يتجاوز ثلاثين ألفا، ويوم القادسية بعد استنفار عمر كافة القبائل فى شبه الجزيرة العربية، لم يصل عددهم أربعين ألف رجل! فكيف يكون لدى بنى الأفعى أربعون ألف مقاتل؟! وبالطبع خلفهم آلاف مؤلفة من المسنين،

---

[1] الطبرى ، نفس الجزء والصفحة ، ومجموعة الوثائق السياسية نفس الصفحة ، والبلاذرى ، ١/٧٦ .

[2] انظر وفود القبائل على الرسول ﷺ من بنى الحارث بن كعب وغيرهم من قبائل نجران ، مجموعة الوثائق السياسية ص ١٣٤ ـ ١٣٩ .

والنساء والأطفال غير القادرين على حمل السلاح[1] ثم يوحى إليهم أبو بكر الصديق ـ فى هذا الوقت بالذات، وقت ردة العرب ـ بأنهم فى طريقهم الى الجلاء عن أرض العرب، إن عاجلاً أو آجلاً، حيث جاء فى نص كتاب أبى بكر لهم: (.. وأجاز لهم ذمة محمد ﷺ إلاما رجع عنه محمد ﷺ، بأمر الله عز وجل، فى أرضهم وأرض العرب، ألايسكن بها دينان) ويسمعون هذا لأول مرة[2] ويتلقونه كتابة من أبى بكر دون أن تفتح لهم شفاه، ولو لمجرد الاستفهام؟! ثم الى من يعدون هؤلاء الأربعين ألف مقاتل، اذا لم يستغلوهم فى هذا الوقت العصيب الذى يمر به المسلمون، أو حتى وقت جلائهم!! ثم من هم بنو الأفعى؟ لقد انتهت رياستهم لنصارى نجران منذ زمن بعيد ودرجوا[3] ولو افترضنا أن أحدا منهم كان باقياً خلال تلك الأحداث التى تناولها فهم أفراد مغمورون لاذكر لهم، ولاصيت.

إن أمثال هذه الأرقام خيالية وردت كثيراً فى أخبار الأمم فى عصر ما قبل الإسلام ولم يتناولها أحد فى غالب الأحيان بالتمحيص. أما إذا

---

[1] ومعروف أنه عند الاستنفار لدى أية دولة حديثة ، أن نسبة من يتم إعدادهم للميدان لايتجاوز ربع السكان بأى حال .

[2] لقد ثبت أن هذا من آخر ما نطق به النبى ﷺ

[3] بنو الأفعى هم أبناء رهم بن مرة أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد كهلان ، وكان منهم الأفعى الذى كانت العرب تتحاكم إليه بنجران ، ويقول صاحب الجمهرة : إنهم درجوا أى هلكوا وليس لهم عقب على قيد الحياة فى عصره .

أنظر الجمهرة ص ٤١٧ ، ٤١٨ .

وردت ضمن التاريخ الإسلامى فينبغى أن توضع تحت مبضع التشريح، ذلك لأن البعض ـ وبخاصة المستشرقين ـ يستغلونها لبث سمومهم الناقعات للنيل من الإسلام، ومن خلفاء الرسول ﷺ وليس أدل على ذلك مما قاله المستشرق الألمانى (يوليوس فلهوزن)[1] فقد أتهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ، بالإخلال بالعهد اخلالاً منكراً، وأكره نصارى نجران على الجلاء عن جزيرة العرب، وأنه تسبب فى نقصهم وضعفهم فى البلاد التى انتقلوا اليها، حتى أن عمر بن عبد العزيز فى خلافته أمر بإحصائهم، وهم بنجرانية الكوفة بالعراق، فوجدهم أربعة آلاف فقط بدلاً من أربعين ألفاً. فتبين أنهم على العشر من عددهم وعدتهم السابقة، فخفف عنهم الجزية الى العشر، وقال هذا المستشرق: (.. فألزمهم مائتى حلة بدلاً من ألفين، أو بعبارة أخرى ثمانية آلاف درهم بدلاً من ثمانين ألفاً، وربما أراد عمر بن عبد العزيز بذلك من وجه ما، أن يصلح ظلم عمر بن الخطاب لهم)!!

وهكذا انتهى قوله! وليته يدرك أن الإسلام أقوى بكثير من كل السهام المصوبة إليه فى كل عصر وزمان، وهو باق ما دام أهله متمسكين به، والرسول ﷺ، أعدل من تعامل مع مخالفيه من أهل الكتاب، والخلفاء الراشدون أنزه من تعاملوا مع أهل الذمة، ووفوا لهم بعهودهم التى قطعها

---

[1] انظر كتابه (تاريخ الدولة العربية، من ظهور الإسلام الى الدولة الأموية) ص٢٩١، نقله الى العربية الدكتور/ محمد عبد الهادى أبو ريدة ، وراجع ترجمته الدكتور/ حسين مؤنس ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٩٦٨ م .

لهم رسول الله، لكن الطاعنين دأبهم المغالطة دائما فى ما يوردونه أو يتلقفونه من نصوص،فقد غاب عن هذا الطاعن ـ إما قصداً أو دون قصد ـ أن وفد نصارى نجران قدم المدينة عام ١٠هـ، وجلسوا الى الرسول ﷺ، يجادلونه ويحاورونه حتى هم بمباهلتهم، لكنهم تراجعوا مخافة أن ينزل عليهم عذاب الله نتيجة كذبهم، وقبلوا طائعين دفع الجزية[1] بعد أن عرفوا كيفية دفعها، ومقدارها عن كل حالم ـ أى الذى بلغ الحُلُم من الرجال ـ وأن من أسلم منهم، أو مات تسقط عنه الجزية، ومن يولد ويبلغ الحلم تفرض عليه، وأنهم الذين أفادوا بعددهم الاجمالى وقتها، كى يُضَمَّن ذلك كتابة فى العهد الذى كتبه لهم الرسول ﷺ، وتسلموه قبل مغادرتهم المدينة، وهذا العدد الإجمالى يزيد أو ينقص وفق الدخول فى الإسلام، أو الوفاة، أو المواليد الجدد اذا بلغوا الحلم .. بمعنى أنه لم يكن المطلوب منهم دفع مبلغ مقطوع إجمالى، ومن نص هذا العهد نعرف عددهم الإجمالى يومها، وهو (٢٠٠٠) ألفا رجل فقط، وليسوا أربعين ألفا، ذلك أنه ورد فى العهد أن عليهم فى العام (٢٠٠٠) ألفا حلة (لأن على كل حالم حلة)، ألف منها تدفع فى شهر صفر، والألف الأخرى فى شهر رجب، أو تدفع قيمة الحلة اذا تعسر عليهم دفع الحلل (الملابس، أو الأردية) لأى سبب كان، وقيمة الحلة الواحدة أوقية من فضة، أو أربعون درهما، (أى أن قيمة الأوقية كان يساوى أربعين درهما) أو أن يدفع جزء من الفدية بما

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ، ٢٨٨/٣ ، ٣٥٧ ، والطبرى ، ١٣٩/٣ ،وابن الأثير ، ٢٩٣/٢ ، والسيرة الحلبية ، ٢٣٥/٣ ، ٢٣٦ ، والبلاذرى ، ٧٦/١ ، والبداية والنهاية ، ٦٠/٥ ـ ٦٤ .

يوازى قيمته سلاحاً، أو خيلاً، أو عروض تجارة .. فـأى تيسير أكثر من هذا؟!

ويبدو أن بعض الصحابة أنهى الى أسماعهم ألا يخادعوا الرسول ﷺ، أو يغشوه في أى أمر كان أثناء المفاوضات، وكتابة العهد، وأن يصدقوا فيما يقولونه، وفى ذكر عددهم الذى يضمّن فى العهد، فحشوا ذلك، وطلبوا من الرسول ﷺ، أن يرسل معهم رجلاً أميناً، يطلع على ماليديهم، وعلى عددهم، ويقبض الجزية المحددة، فقال لهم: سأبعث معكم أميناً أيُّ أمين، ونادى أبا عبيدة عامر بن الجراح، وقال: هذا أمين هذه الأمة.

من هذا نعرف أن عددهم كان (٢٠٠٠) ألفا رجل، يزيدون وينقصون، فاذا كان قد تم إحصاؤهم فى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، ووجدوا أنهم أربعة الأف، يكونون بذلك قد تضاعف عددهم، فى ظل الحماية والرعاية الإسلامية لهم. أما كونهم اشتكوا لبعض الخلفاء ضخامة ما يدفعونه من جزية وأنه خفف عنهم، فربما يعود ذلك الى حالة كساد فى صناعتهم النسيجية، أو ارتفاع التكاليف أو لأية نازلة ألمت بهم، والتخفيف فى حد ذاته يدل على سماحة الإسلام فى التعامل مع أهل الذمة، ومما يلاحظ هنا أن العهد قد حدد الجزية المقررة بحلل، وهى الأقمشة، مما يدل على أنهم كانوا متقدمين فى صناعة النسيج بمختلف أنواعه، وأن الأردية والأثواب النجرانية كانت لها شهرة واسعة، وأن الرسول ﷺ، كانت لديه بردة قطيفة نجرانية، وقيل: إن شقران، خادم رسول الله، دفعها فى قبر الرسول يوم وفاته ﷺ، وقال: والله لا يلبسها

أحد بعدك.[1] ثم إنهم كانوا يمارسون بعض الصناعات والحرف الأخرى كالحدادة والنجارة، وصناعة الجلود، بالإضافة الى التجارة والزراعة.

ثم إن يعلى بن أمية، الذى أشرف على عملية إجلائهم، كان قد بعث الى عمر يفيده بما فعله معهم، قبل رحيلهم، كما يفيده بأنه لم يُكره أحداً منهم على الدخول فى الإسلام، أو يرغمه على بيع ممتلكاته بثمن بخس، وغير ذلك من أمور، فكتب عمر كتاباً عاماً الى أهل رعاش كلهم[2] .. أما بعد: فانكم زعمتم أنكم مسلمون ثم ارتددتم بعد، وأنه من يثبت منكم على إسلامة[3] ويصلح، لايضره ارتداده السابق ونصاحبه صحبة حسنة، فاذّكروا[4] ولا تهلكوا، وليبشر من أسلم منكم، فمن أبى إلا نصرانيته (أى البقاء عليها) فإن ذمتى بريئة ممن وجدناه، عشراً تبقى من شهر الصوم[5] من النصارى بنجران.

أما بعد: فان يعلى كتب إلىّ يعتذر أن يكون أكره أحداً منكم على الإسلام أو عذبه عليه ..

---

(1) تلخيص فى أحوال أنفس نفيس ، للديار بكرى ، ١٧١/١ ، ١٧٢ ، والبداية والنهاية ، ٢٩٥/٥

(2) يبدو أن رعاش احدى البلدان ، أو المنطقة التى كان يقيم فيها النصارى بنجران ، لأن الخطاب موجه لهم ، وليس الى كل العرب بنجران .

(3) أو يعود الى الاسلام بعد ارتداده ، فمفهوم الكلام يفيد ذلك .

(4) أى اعتبروا . وفى بعض المراجع " فاذكروا " لكن الصواب ماذَكرناه .

(5) أى أن من بقى على نصرانيته ، فقد اعطيناه مهلة الى عشرين من شهر رمضان ، ثم يغادر نجران وهذه المهلة كى يستطيعوا أن يتصرفوا فى أموالهم خلالها ، بالبيع وغيره ، فلم تحدث مصادرة لأموالهم مثلا .

أما بعد: فقد أمرت يعلى أن يأخذ منكم نصف ما عملتم من الأرض[1]، واني لاأريد نزعها منكم، ما أصلحتم[2]، وقد اشترى منهم يعلى أرضهم وعقارهم، وكل ما لايستطيعون حمله معهم، وذلك لصالح بيت المال، كما نجد أنهم عند مسيرهم الى شمال شبه الجزيرة، لاختيار المكان البديل الذى يقيمون فيه، كتب لهم عمر كتاباً يوصى بهم الأمراء المسلمين، الذين يحلون فى دائرة ولايتهم، وأن يساعدوهم فى تسلم المكان الذى يختارونه والأرض التى يقيمون عليها، أويزرعونها دون مقابل (وبالنص: فما اعتملوا من شيء فهولهم، لوجه الله، وعقبى ـ أى عوض ـ لهم من أرضهم)[3] ترى أية سماحة أكثر من هذا. بل أى عدل وإنصاف؟! وقارن هذا بما حدث للمسلمين إبان جلائهم عن الأندلس .. تجد أنه لاوجه للمقارنة. فعدالة عمر أسمى من أن يوجه لها أى طعن، وهى ليست بحاجة الى من يدافع عنها، وما الطاعن فيها إلا كناطح صخر.

---

[1] أى نصف الناتج من زراعتها ، وعصوها ، وذلك بالنسبة للذين أسلموا منهم واستمروا بنجران فتسلم لهم الارض بالمزارعة .

[2] أى طالما تمسكتم بالاسلام، انظر فى كل ماسبق: كتاب الأموال لابن زنجويه، ٢٧٩/١، وكتاب الأموال للقاسم ابن سلام، ص ١٤٤، ١٤٥، والسيرة الحلبية، ٢٧١/٢، والطبرى ، ٤٤٦/٣ ، وابن خلدون ، ٨٨/٢ .

[3] كتاب الأموال لابن زنجويه ، ٤٥١/١ .

## ٤ ــ جهود بعض أبناء المنطقة في بداية الفتوحات الاسلامية :

حين نودّ أن نلقى مزيداً من الأضواء على جهود بعض أبناء المنطقة المعنية بالدراسة، في بداية الاستنفار العام للفتوحات الإسلامية، فليس بمقدورنا أن نفصلهم عن أبناء ولايتي مكة والطائف، ذلك لأن المنطقة امتداد لحيز هاتين الولايتين، وتدخل ضمن أرضها، وأبناؤها جزء من أبناء الولايتين خلال السرد التاريخي الذى نعايش، أحداثه، فلا مندوحة لنا من شمولية الذكر لأبناء الولايات الثلاث: مكة، والطائف، ونجران ..

ولئن ركزنا في البداية الأولى للاستنفار العام للفتوحات الإسلامية على عهد الخلفاء الراشدين، ــ رضوان الله عليهم أجمعين ــ ، فذلك لأنه يصعب تتبع آثار أبناء المنطقة. وجهودهم خلال المرحلة التاريخية اللاحقة لذلك، لعدة عوامل منها أنهم توغلوا في البلاد المفتوحة، واستوطنوا بعضها، وكانت لهم سطوة ونفوذ بها، كحكام وولاة، وقادة جيوش، وذوى رأى ومشورة، وغير ذلك من رئاسات، كالمهلب بن أبي صفرة وأبنائه، وخالد القسرى، وأبناء الحكم، والأزديين، وغيرهم.

ثم ما تخصيصنا القاء الضوء على أبناء الولايات الثلاث دون غيرهم من مختلف الولايات والمناطق وهم لا يقلون شأناً بأى حال عن هؤلاء، بل ربما تفوقوا في بعض المجالات والرياسات، فما ذاك الا لأننا مقيدون في هذه الدراسة بإبراز الجوانب التاريخية لها، فهو تخصيص منهجى من

مقتضيات البحث والدراسة، حتى لايتوهم متوهم أن تخصيصهم بالذكر لأفضلية فيهم، دون سواهم، وهو مالم يقل به السذج فضلا عن العقلاء.

بعد أن استقرت الأوضاع في شبه الجزيرة العربية عقب الردة، بسط الخليفة أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ذراعيه نحو العراق والشام، وأجمع عزمه على تجييش الجيوش لمنازلة الفرس والروم، الذين كانوا يتربصون بالمسلمين الدوائر، بعد وفاة الرسول ﷺ، فاستنفر القبائل، واستدعى قواد الجيوش ليعقد لهم الألوية لقيادة الجند[1] ومن ثم تسييرها في بداية التوهج الإشعاعي للفتوحات الإسلامية.

كان من بين هؤلاء جرير بن عبد الله البجلي، والى نجران من قبل أبي بكر[2] فأقبل الى المدينة يقود بعضا من أبناء قبائل المنطقة، فسيره أبو بكر مدداً لخالد بن سعيد بن العاص، الذى كان واليا على مابين رمع وزبيد، وكان أبو بكر قد سيره الى البلقاء وتيماء بمشارف الشام، فتعجل واشتبك معهم فهزم، فتراجع وتوقف في موضعه، وأتته بعد ذلك امدادات لكنه لم يتحرك. فاستأذن منه جرير للرجوع الى أبي أبي بكر كي يأذن له في جمع بطون بجلية، فيكونون معه[3].

---

(1) البداية والنهاية ، ٣/٧ .

(2) الطبرى ، ٤٢٧/٣ ، ٤٦٢ ، وقيل : ان أبا سفيان بن حرب خلف جرير على ولاية نجران .

(3) البداية والنهاية ، ٣٩١/٦ .

وكانت بجيلة قد وقع بينها وبين قبيلة كلب بن وبرة حروب شديدة قبل الإسلام، في موضع يقال له: الفِجار (غير الفجار التي شهدها الرسول ﷺ قبل البعثة) فانهزمت فيها بجيلة، فافترقت على إثرها في أحياء العرب[1] وظلت هكذا حتى جاء الإسلام، ولم يكن بالسراة منها إلا بطون قليلة، فلما فاتح جرير أبا بكر في أن يأذن له بجمعها من أحياء العرب، لم يوافقه في ذلك، ورأى أن الوقت غير مناسب، ثم سيره مدداً لخالد بن الوليد في جبهة العراق، فقدم عليه وهو بالحيرة، بعد أن فتح بعض البلاد[2] واستمر يعمل تحت قيادة خالد في هذه الجبهة حتى استدعى أبو بكر خالد للتوجه الى الشام، فبقي جرير مع المثنى بن حارثة، ومعهما عمرو بن حزم الأنصاري، الوالي السابق لنجران، وكان لكل منهم منطقة يواجه الفرس من خلالها، فلما توفي أبو بكر وتولى الخلافة عمر بن الخطاب، كانت الفرس قد جمعت حشودا ضخمة فكتب المثنى لأبي بكر يطلب مددا، فوصل خطابه وأبو بكر في مرضه الأخير، فأوصى بتزويد المثنى بالمدد.

وأقبل جرير واستأذن من عمر في جمع بطون بجيلة فأذن له، فجمعهم وكانوا ألفي رجل وقيل أكثر، فقدم بهم على عمر، فخيرهم عمر في أي الميادين، قائلا: أي الوجوه أحب اليكم؟. قالوا الشام، فان فيها أسلافنا، قال عمر: بل العراق، فان في الشام كفاية من الجند، سيروا الى العراق، ولكم ربع الغنيمة بعد

---

[1] الجمهرة، ص ٣٩٠ .

[2] البداية والنهاية، ٣٩١/٦ ، وابن خلدون، ٨١/٢ .

الخمس، فقبلوا فكان لهم ربع سواد أرض العراق لمدة عامين[1] وقيل لمدة ثلاثة أعوام، و لم تختص قبيلة أخرى بمثل ما تميزت به بجيلة لهذا النفل الذى نَفَّلَه إيّاهم عمر.

واستمر جرير يقود بجيلة وغيرها من قبائل المنطقة فى جبهة العراق، فكان على ميمنة سعد بن أبى وقاص يوم القادسية، وقيل على القلب والعجاج على الميمنة، وعدى بن حاتم وقيس بن المكشوح المرادى على الميسرة ــ بعد أن عاد الى الإسلام وأبلى بلاء حسناً ــ ومعهم ذو الكلاع الحميرى، وواصل جرير جهوده يقود بجيلة وغيرها من أبناء المنطقة خلال عهد عمر، وفى عهد عثمان كان عامله على أرض الجبل بقرقيسيا، ولما استشهد عثمان ــ رضى الله عنه ــ، حضر اليه بأرض الجبل زحر بن قيس الجعفى يدعوه لمبايعة على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ خليفة على المسلمين. فبايع، وأخذ البيعة لعلى ممن قبله من المسلمين ثم سار حتى قدم الكوفة للوقوف مع على. وكان رسوله إلى معاوية للتفاوض والدخول فى طاعة على، ثم عاش الأحداث التالية لذلك معتكفاً بعيداً عن الفتنة حتى توفى عام ٥١هـ، وقيل عام ٧٦هـ،[2] والأول أقرب الى الصواب.

---

[1] الطبرى، ٣/٤٦٠ ــ ٤٦٢، والاموال لابن زنجويه، ٣/١٩٧، والأموال للقاسم بن سلام، ص ٨٧، ٨٨.

[2] البداية والنهاية، ٧/٣٢، ٤٨، والأخبار الطوال للدينورى، ص١١٤، ١٥٦، والطبقات لخليفة بن خياط، ص١١٦، والاصابة فى تمييز الصحابة، ٥/٢٣٢.

بادر عمر عقب توليته الخلافة بندب الناس لموازرة المثنى بن حارثة، فكان أول من لبى نداءه أبو عبيد بن مسعود الثقفي[1] ثم تابعه الناس فولاه عمر عليهم، وجعله قائدا للجبهة بالعراق وأوصاه بوصية تشمل كيفية إدارته الحرب، تدلل على مدى حكمة عمر، وحنكته، لكن ابن مسعود مالبث أن استشهد في معركة الجسر في شعبان، وقيل: في رمضان عام ١٣هـ، فبعث المثنى الى عمر يطلعه على الموقف في الميدان، وأن الفرس حشدوا حشودا طائلة، ويطلب مدداً، فكتب له عمر: المورد وارد إليكم سريعاً ـ إن شاء الله ـ، وطلب منه أن يجعل الصحراء خلف ظهره، حتى لايتمكن الفرس من الالتفاف حوله، وألا يمكن الفرس منه حتى يأتيه المدد، وقال عمر: والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب، وكتب الى عماله وولاته أن يوافوه بكل من كانت له نجدة، أو لديه فرس أوسلاح، أو ذا رأي، وشرف قائلاً .. العجل .. العجل، وبعث رسلا إلى أحياء العرب، تستجيش القبائل وألا يدعوا ذا بأس، أو قوة، أو خطيب، أوشاعر ألا أتوا به، وعزم أن يتولى بنفسه قيادة هذا الحشد ويذهب الى الجبهة ليقود القتال بنفسه، لكن خاصة الصحابة حالوا بينه وبين ذلك، وأشاروا عليه بأن يبعث من الصحابة ذا خبرة بالحرب والقتال، فوافق.[2]

وقع اختيار عمر على سعد بن أبي وقاص، وكان سعد قد ولاه الرسول ﷺ، على صدقات بعض هوازن، بالبادية شرق السراة وعند وفاة

---

(1) هو والد المختار بن عبيد ، صاحب الدعوة للعلويين ، الطبرى ، ٣/٤٤٥ ، والمقدمة لابن خلدون ص ٢٣١ .

(2) الطبرى ، ٣/٤٧٨ ، ٤٨٢ ، والأخبار الطوال للدينورى ، ص١١٤ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، وابن خلدون ٢/٩١ .

الرسول قدم الى المدينة، وظل بجوار أبى بكر مع بقية الصحابة الذين لم يذهبوا فى جيش أسامة، وكان سعد من حراس الأنقاب[1] خلال هذه الفترة، ثم لما استقرت الأمور عاد لموقعه فى الإمارة وأعمال الصدقة بمنطقتنا، وأقره عمر فى بداية خلافته، ثم استدعاه ليتولى القيادة فى جبهة العراق لمواجهة حشود الفرس[2] وكان قبل استدعائه قد بعث ألف رجل الى عمر، من هوازن وقبائل السراة وتخاليف الطائف، وحين تم استكمال الحشود خارج المدينة، ذهب عمر يودعه، ويودع الحشود الغفيرة، فقال له: ياسعد لايغرنك من الله أن قيل خال رسول الله ﷺ [3] وصاحب رسول الله فان الله ـ عز وجل ـ لا يمحو السيء بالسيء، ولكنه يمحو السيء بالحسن، وأن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته، فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء، والله ربهم وهم عباده، يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عنده بالطاعة، فالزم ما كان عليه رسول الله[4]

وكان من نتيجة هذا الاستنفار العام الذى أعلنه عمر، أن هبت القبائل من كافة مناطق بلاد العرب، ومنهم أبناء قبائل منطقتنا، فكان منهم: -

---

[1] كان أبوبكر قد جعل حراسا على الطرق والمداخل المؤدية إلى المدينة ، خشية أن يقوم بعض المرتدين بالإغارة عليها فترة تغيب جيش أسامة بتخوم الشام .

[2] البداية والنهاية، ٣٥٤/٦، و٣٣/٧، والطبرى، ٤٧٨/٣، وابن خلدون ، ٨٨/٢ ، ٩١ ، والقاضى ، ص٩٧٣ .

[3] قال له الرسول ﷺ ذلك كتكريم له ، والا فانه ليس خالا لها : أى شقيق للأم ، وانما أبوه هو وآمنة بنت وهب أولاد أعمام . انظر الجمهرة ، ص ١٢٩ .

[4] الطبرى ، ٤٨٢/٣ ، ٤٨٣ ، والبداية والنهاية ، ٣٩/٧ ، ٤٠ .

- أبو ضرير، حذيفة بن عبد الله بن عوف، من زهران، من الأزد، يحمل راية قومه وتحتها ألف وخمسمائة رجل من أهل العطاء.[1]

- زهير بن سليم الأزدى، يحمل راية قومه، ومعه أخوه مخنف بن سليم، وقد أبليا يوم القادسية بلاءا حسنا، حتى أن زهير ــ قبيل نشوب المعركة ــ تصارع مع النخارجان، أحد قواد الفرس الكبار، وكان عظيم الجثة، صاح طالباً من يصارعه من المسلمين، فى مواجهة الجيشين، فخرج له زهير وحاوله حتى صرعه ثم قتله واستولى على برذونه، ودرعه، وقبائه، وأتى بهم الى سعد بن أبى وقاص، فأعطاه إياهم قائلاً: أنت أحق بهم، وأمره أن يتزيا بالقباء ويبرز للفرس، ليفتَّ فى عضدهم، ويبث فيهم الرهبة، فكان زهير يعد بذلك أول من تزيا بزى الفرس من المسلمين[2]

أما أخوه مخنف بن سليم فقد واصل جهاده فى ميادين الفتوحات بفارس، ثم كان مع على بن أبى طالب يوم الجمل، وصفين وكان يحمل راية قومه، ومن أنضم إليه من بطون الأزد الأخرى وبجيلة وخثعم، وكان على الرجالة (أى المشاة) ابن أخيه جندب بن زهير الأزدى.[3]

---

[1] الجمهرة ، ص ٣٨٣ ، ٣٨٤ .

[2] الأخبار الطوال للدينورى ، ص١٤٦ ، وكان أول يوم القادسية يوافق ثانى المحرم ١٤هـ ، واستمر القتال أربعة أيام انتصر بعدها المسلمون ، البداية والنهاية ، ٤٨/٧ ، ٤٩ .

[3] الأخبار الطوال للدينورى ، ص١٤٦ ، وطبقات ابن سعد ، ٢٨٠/١ .

– أبو ظبيان الأعرج ، عبد شمس بن الحارث، من بني عبد الله بن كعب الحارثي، وقيل: أبو ظبيان من غامد كان قد عقد له رسول الله ﷺ، راية على قومه وحملها وزحف بهم، وببعض قبائل نجران الأخرى الى القادسية وأبلى يومها بلاء حسنا، وكان ابنه طارق من ذوى الهمة والبأس.[1]

– عرفجة بن هرثمة البارقي الأزدى، كان أبو بكر قد عقد له لواء في حروب الردة، وسيره الى عمان، ومهرة، ولما عاد ولاه على بعض قبائل بالسراة: الأزد، وبجيلة، وبقايا جديلة، ثم بعثه عمر مع العلاء بن الحضرمي بالبحرين، ثم استدعاه، عند الاستنفار العام فأقبل يقود جموعا من تلك القبائل، فسيره عمر الى العراق مع سعد بن أبي وقاص، وشارك بعد ذلك في فتوحات فارس.[2]

– عروة بن أبي الجعد البارقي الأزدى، كان قائد كتيبة من قومه في جيش خالد بن الوليد بالعراق، واستمر بها وشهد القادسية ومابعدها، وهو صحابي روى حديث (الخيل معقود في نواصيها الخير) وولاه عمر قضاء الكوفة قبل شريح، ثم سيره عثمان بن عفان بعد ذلك الى الشام.[3]

---

[1] الجمهرة ، ص ٢٧٨ .

[2] البداية والنهاية ، ٣٥٥/٦ ، ٣٧٢ ، ٥٤/٧ ، والطبرى ، ٤٦٣/٣ ، والاصابة ، ٤١٢/٦ .

[3] الطبقات لخليفة بن خياط ، ص ١١٢ ، والبداية والنهاية ، ٣٩٥/٦ ، والأصابة ٤١٤/٦ .

– حميضة بن النعمان بن حميضة البارقي الأزدي، قدم على رأس جمع من بارق، وألمع، وغامد وبعض قبائل السراة وتهامة،[1] وسار بهم الى القادسية، واستمر بتلك الجبهة.

– عثمان بن أبي العاص، والي الطائف ومخاليفها في عهد الرسول ﷺ، وفي عهد أبي بكر، كان قد استدعاه أبوبكر لقيادة بعض الإمدادات، ثم نقله عمر واليا على اليمامة والبحرين، ولما تقدمت الفتوح في بلاد فارس استدعاه ليقود مدداً الى الميدان، وظل بتلك الجبهة قائداً لأحد الجيوش، وتحقق على يديه انتصارات عديدة، وتوغل في بلاد فارس، وفتح سابور عام ٣٠هـ، في عهد عثمان بن عفان، ـ رضي الله عنه ـ ثم والياً على بعض الولايات ببلاد فارس.[2]

– وقدم بطن من كنانة ممن يقيمون بتهامة الحجاز، فأمر عليهم عمر بن الخطاب: غالب بن عبد الله الليثي وسيره الى العراق[3] وكان غالب قائدا لسرية احتياطية لحماية مؤخرة المسلمين يوم القادسية.

كما ذهب الى العراق بأمر عمر حذيفة بن اليمان الأزدي وقيل: إنه من بني عبس، حالف اليمانية، صاحب سر رسول الله ﷺ وكان هو وأبوه صحابيان، استشهد أبوه يوم أحد، وشارك حذيفة في جميع الغزوات

---

[1] الطبري، ٤٨٤/٣، وابن خلدون، ٩٢/٢ .
[2] الطبري، ٣٢٣/٣، والأخبار الطوال، ص ١٢٩ .
[3] الطبري، ٤٦٣/٣، والبداية والنهاية، ٤١/٧ .

فـي عهـد الرسـول، وكـان يجيـد الأعمـال الحسـابية والمساحة والمكـاييل والأوزان، وعهد اليه عمر بمسح أرض سواد العراق، فيما هو غريبي دجلة لتحديد الخراج على بعضها، ثم شارك في فتوحات فارس مع النعمان بن مقرن الذى تولى القيادة بهذه الجبهة بعد عمار بن ياسر، توفى عام ٣٦هـ.[1]

أما فى جبهة الشام فقد انطلق أيضاً الكثيرون، كان منهم:

عكرمة بن أبى جهل، كان قد استوطن مكة بعد الفتح، لأن الرسول ﷺ قال لأهل مكة، ولغيرهم: لا هجرة بعد الفتح[2] وذلك بهدف أن تظل البلاد معمورة، فلا يتركوها ويهاجروا الى المدينة، وعكرمة من الذين أباح الرسول دمهم يوم الفتح، فهرب وأسلمت زوجته، ثم أستأمنت له الرسول ﷺ، فأمنه، فذهبت وأتت به، وقبل دخوله على الرسول، قال لأصحابه: سيقدم عليكم عكرمة، فلا تسبوا أباه أمامه فان سب الميت يؤذى الحى، ولايصل الى الميت، فلما دخل عكرمة، وقف أمام الرسول مطاطىء الرأس، فقال له النبى: مرحباً بمن جاء مؤمناً مهاجراً، فقال عكرمة: يا محمد هذه أخبرتنى أنك أمنتنى ـ مشيرا الى زوجته ـ قال: إنك آمن، قال: أشهد أن لا اله الا الله، وأن محمدا رسول الله، فقال له

---

(1) الخميس فى أحوال أنفس نفيس ١٨٢/١ ، والأحكام السلطانية للماوردى ، ص ١٧٤ ، والاصابة ، ٢٢٣/٢ ، وانظر : المعارف لابن قتيبة ، ص ٢٦٣ .

(2) الأزرقى ، ١٦٥/٢ .

النبي: يا عكرمة ما تسألني اليوم شيئا أقدر عليه الا أعطيتك إياه، قال: استغفر لي كل عداوة عاديتكها، قال النبي: اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها، ثم وعد بأن يبلي في خدمة الإسلام أضعاف ما كان قد بذله في عداوته[1] وقد وفى بما وعد، فكانت جهوده واضحة في حروب الردة، حتى رضي عنه أبو بكر وأثنى عليه بعد أن أغضبه عندما تسرع واشتبك مع مسيلمة، وانهزم. فكتب له أبو بكر .. يا ابن أم عكرمة، أمض لما وجهتك اليه، ولاترينى وجهك إلابعد بلاء[2] فأبلى بعدها بلاءاً حسناً.

كانت عمالته التي ولاه إياها الرسول ﷺ، عجز هوازن، وبعض القبائل المجاورة لها في الجنوب: أي منطقة تربة وما يحيط بها، وامتداداً في الجنوب حتى حدود نجران، ثم استدعاه أبوبكر الصديق في بداية خلافته وعقد له أول لواء في حروب الردة، ولما فرغ منها، هبط الى ولايته في طريق عودته من اليمن الى المدينة، فجند بعضاً من أهلها، زيادة على ما كان معه من جنود، وأقبل على أبي بكر في المدينة، فسيره بمن معه الى جبهة الشام، فأبلى بلاءاً حسناً في المواطن التي شهدها.

ويوم اليرموك كانت الروم قد جمعت حشودا غفيرة، فقد كان عدد الروم يزيد عن ٢٠٠ ألف، بينما عدد المسلمين ٢٧ ألفا فقط، ويومها قال عكرمة: لقد شهدت مواطن كثيرة، أَنفِرُّ اليوم من الروم؟ وا لله لن

---

[1] السيرة الحلبية ، ٣٩/٣ ، والطبرى ، ٥٩/٣ ، والبداية والنهاية ، ٣٤٤/٤ ، والمغازى ، ص ٨٢٥ ، ٨٥١ .
[2] الطبرى ، ٢٨١/٣ ، ٣٩٣ .

يكون ذلك أبداً. ثم صاح في الناس: من يبايعني على الموت، فبايعه سبعون رجلاً، وقيل: أربعمائة. فظلوا يقاتلون حتى استشهدوا جميعا، وربما كان صمودهم ذاك، وصمود بقية المسلمين مما فُتَّ في عضد الروم، حتى تفككت جموعهم، وركب المسلمون أكتافهم، وألحقوا بهم هزيمة لم تقم لهم بعدها قائمة، واستشهد عكرمة يومها، كما استشهد معه ابنه عمرو، وعماه سلمة، والحارث ابنا هشام بن المغيرة وقيل: استشهد عمه سلمة بأجنادين[1] وكانت هذه المجموعة هي التي دارت على جرحاهم كأس ماء وهم عطشى، وكل واحد منهم يؤثر صاحبه بها حتى دارت عليهم جميعاً وعادت إلى الأول فوجد أنه توفي، والثاني كذلك حتى آخرهم دون أن يذوقوا جميعاً شربة الماء .. ووقف التاريخ ليسجل لهم هذا الموقف الايثاري المؤثر ـ سقاهم الله ماء عذباً سلسبيلا.

– سهل بن عمرو، خطيب قريش وشاعرها، وسيد من ساداتها في الجاهلية والإسلام، قاد جموعا من أهل مكة وأحوازها وانطلق بهم الى أبي بكر فسيره الى الشام قائد أحد الكراديس التي نظمها خالد بن الوليد لمواجهة الروم في اليرموك، قتل يومها هو وأخوه سهل بن عمرو، وابن أخيه عمرو بن سهل بن عمرو.[2]

---

[1] البداية والنهاية ٧/١٢ ــ ٣٧ ــ ٣٨ ، وابن خلدون ، ٢/٨٣ ــ ٨٥ .

[2] البداية والنهاية ، ٧/٦٩ .

— مالك بن عوف النصرى، الوالى على بادية الطائف، قاد جموعا من ثقيف ومن الأحلاف وبادية الطائف، ووجهه أبو بكر الى الشام، فشارك في فتوحاتها، ثم كان ضمن جنود عمرو بن العاص في فتح مصر، وهو الذى عهد اليه عمرو بحصار الاسكندرية، وكان فيها المقوقس عظيم القبط بمصر، وحوله جنود الروم، وكان قد قبل بدفع الجزية لكن القائد العسكرى الرومانى بالقاهرة رفض، وتحصن بحصن بابليون، فما قتحمه عليه عمرو بن العاص، ومن معه، واستولوا عليه عنوة[1] وكان هذا القائد العسكرى هو نفسه أرطبون الذى هزمه عمرو فى أجنادين[2] فقد كان حاكماً عسكرياً على مصر أيضاً، وبلغ للمقوقس فتح حصن بابليون بالقاهرة، فصالح مالك بن عوف على الاسكندرية.

— سعد بن مالك الأزدى، الذى عقد له الرسول ﷺ، لواء على قومه، بطن من الأزد، قادهم وبعض القبائل الأخرى تحت هذا اللواء، وسار بهم الى الشام، وكان ضمن جنود عمرو بن العاص لفتح مصر، ثم استوطنها بعد ذلك.[3]

— مسروق بن جبلة العكى، من قبيلة علك، الذى قاد جموع علك ووقف مع الطاهر بن أبى هالة، إبان تنبؤ العنسى، والردة، قاد جموعا

---

[1] ابن خلدون، ١١٤/٢ .

[2] البداية والنهاية، ٦٣/٧، والطبرى، ١٠٧/٤ .

[3] التراتيب الادارية للكتانى، ٣٢٠/١، وابن خلدون، ١١٤/٢ .

وسار بهم الى الشام، وكان تحت قيادة معاوية بن أبي سفيان، وبقي في الشام مع معاوية، وكان من شهود وثيقة التحكيم بين على ومعاوية التي كتبت في ١٧ صفر عام ٣٧هـ.[1]

– عبد الجد بن ربيعه الحكمي، صحابي، وفد على الرسول ﷺ، وقاد عشيرته من آل الحكمي وشارك بهم في فتوح الشام، كما كان ضمن جيش عمرو بن العاص لفتح مصر، ثم استوطنها بعد الفتح[2] وقيل بل الذى استوطنها غيره من بني الحكمي.

وكان بطن من بني الحكم انتقل وأقام في الشام، منهم حبيب بن عبدالرحمن الحكمي الذى بعثه عبد الملك بن مروان، على رأس جيش من أهل الشام مددا للحجاج بن يوسف في حربه مع شبيب الحروري عام ٧٧هـ[3]

– عمرو بن الطفيل الدوسي، أبوه الطفيل أسلم قبل الهجرة، عندما سمع بمبعث الرسول ﷺ، ودعا له الرسول، فكان صاحب النور في سوطه، واستشهد أبوه يوم اليمامة، وقطعت يد ابنه عمرو يومها، ثم شفيت بعد البتر، وكان يوما عند عمر بن الخطاب بمجلسه اذ أتى بالطعام فتنحى عنه عمرو وتقدم الناس، فقال له عمر بن الخطاب: مالك؟! لعلك تنحيت

---

[1] مجموعة الوثائق السياسية ، ٣٩٩ .

[2] الاصابة ، ٢٥٥/٦ .

[3] البداية والنهاية ، ٢٠/٩ .

لمكان يدك؟ قال: أجل، قال عمر: والله لا أذوقه حتى تسوطه بيدك، فو الله ما في القوم أحد بعضه في الجنة غيرك. عندئذ تقدم عمرو الى الطعام[1] ثم انطلق بعد ذلك يقود جماعة من دوس، ومن الأزد، وشهد اليرموك فاستشهد بها.[2]

- مالك بن عبد الله بن سنان، من شهران، من عفرس، من خثعم، الذى قاد كتيبة من قومه، وشارك فى حروب الشام، وقاد الصوائف الى أرض الروم أيام معاوية[3] يقال استمر يقود تلك الحملات أربعين عاما، وقيل كان يتناوب معه فى ذلك سفيان بن عوف بن المُغَفَّل، الغامدى[4] وكم غير هؤلاء ممن لبوا نداء الاستنفار، بيد أن المقام ليس مقام احصاء وحصر، وانما هو لإبراز بعض المواقف لما كانت عليه المنطقة فى ذاك الوقت، ومدى ترابطها، وكيف جمع الإسلام بين قبائلها وألف بين قلوبهم، ومدى الطاعة لولاة الأمر، وأن الوزاع الدينى خلق فيهم روحا وثابة دفعتهم الى ميادين الفتوحات، هم وأبناء القبائل الأخرى فى كافة أحياء العرب، وأن تلك القبائل سافقت تمد ميادين الفتوحات بين الحين والأخر بمدد يتلوه مدد كأمواج البحر المتتابعة على مدى عشرات

---

(1) الطبقات لابن سعد ، ٤/٢٤٠ .

(2) ابن خلدون ، ٢/٨٥ ، والبداية والنهاية ، ٦/٣٨٠ و٧ /١٥ .

(3) الصوائف هى الغزوات التى كانوا يغزون بها الروم من البحر الأبيض المتوسط ، يغيرون فيها على أرضهم وحرائرهم ، وكانوا لايقومون بها إلا فترة الصيف ، ولذا أطلق عليها : صوائف

(4) الجمهرة ، ص ٣٧٨ ، ٣٩١ .

السنين، وواكبت ذلك هجرات بعض بطون القبائل عن مواطنها الأصلية في بلاد العرب، بغرض الاستيطان في البلاد المفتوحة.

وليس أدل على تلك الهجرات بأعداد هائلة خلال هذه الفترة من أن الكوفة وهي إحدى البلدان التي أنشأها المسلمون، ليستوطنوها بدلا من المدائن التي لم تروق لهم، وبدأ تخطيطها منتصف عام ١٦هـ، ثم بدأ الاستيطان فيها في غُرّة المحرم عام ١٧هـ ولم يكد يمضي على استيطانها خمس سنين حتى بلغ عدد سكانها مائة ألف، وذلك عام ٢٢هـ، كما جاء ذلك في قول الخليفة عمر بن الخطاب، وهو يشكو همومه منها للمغيرة ابن شعبة أن بها مائة ألف لايرضون عن أمير، ولايرضى عنهم أمير![1] وهناك غير الكوفة من البلدان والأمصار التي تم الاستيطان فيها بمئات الألوف من الرجال ونزحت عوائلهم لتقيم معهم، فشغرت مواطنهم الأصلية، فنزحت اليها عشائر وبطون من بني عمومتهم، أو من غيرهم، واستمر هذا النزوح خلال عصر الفتوح، وان كان بنسبة أقل عن ذي قبل نظراً لدخول أبناء البلدان المفتوحة في حوزة الإسلام، وإسهاماتهم في ميادين الجهاد، مما خفف عبء الإمدادات نسبياً عن داخل العرب.

على أن ما ينبغي الإشارة اليه هنا هو أن عمر بن الخطاب طلب من سعد بن أبي وقاص ـ قبيل القادسية ـ أن يتخذ العرفاء في الميدان عند التجهيز للمعركة، وكان نظام العرفاء معمولاً به منذ عهد الرسول ﷺ،

---

[1] البداية والنهاية، ٨٣/٧، ٨٤، ١٣٨.

لضبط القبائل فى مواطن إقامتها، وبلدانها، فطلب عمر من سعد أن يعمل به فى ميدان الحرب أيضاً، من قبيل الضبط لمواقف الرجال، وعزمهم فى الميدان، بأن يجعل على كل عشرة رجال من كل قبيلة عريفاً، وعلى كل قبيلة أمير يحمل رايتها[1] ويكون مسئولاً عنها، يساعده العرفاء فى القبيلة، وأن يجعل أمراء على أجناب الجيش، والمقدمة، والطلائع والساقات، وعلى الفرسان وغير ذلك[2] وكان خالد بن الوليد قد رتب جيش اليرموك فى صفوف (كراديس) فى شيء مشابه لهذا مما لم يكن للعرب عهد به من قبل.

وبعد فترة أصبحت العِرافة على سبع بدلاً من عشر، وفى عهد معاوية جعلهم فى الميادين على أربع لدقة الضبط[3] غير أن الدواوين التى أنشأها عمر، ومنها ديوان الجند، كان أتم سجل لأحوال الجنود، والعرفاء، والقيادات، وضبط لوجودهم فى الميادين، وفى المواقع منها. وكذلك الدواوين للعطاء، والحقوق، والخراج، والجبايات، وغيرها، كما أمر على الولاة بأن يضعوا دواوين خاصة لديهم لمناطقهم وولاياتهم[4] خلاف التى

---

(1) البداية والنهاية، ٤٠/٧ .

(2) البداية والنهاية نفس الجزء والصفحة، والطبرى، ٤٨/٤ ، ٤٩ .

(3) الطبرى، ٤٨/٤ .

(4) ابن خلدون، ٢٠٢/١ ، ٢٠٣ .

لـدى الامـارة بمقرهـا فـى المدينـة المنـورة، والتـى احـترق معظمهـا يـوم الجمـاجم عـام ٨٢هـ.[1]

وهـذا بـدوره يؤكـد علـى مـدى الاهتمـام بوضـع أسـس الترتيبـات الادارية عنـد نشـأة الدولـة الاسـلامية، وضبـط المنـاطق، والولايـات، وتحديـد معالم كل ولاية بصـورة واضحـة ودقيقـة.

---

[1] مجموعة الوثائق السياسية ، ص ٩ .

## ٥ – استمرارية العمل بالترتيبات الإدارية للولايات بعد الرسول ﷺ :

لاشك أنه كانت للترتيبات الإدارية التي وضعها الرسول ﷺ، للولايات والمناطق الأثر الفعال في تنظيم أعمال وتصرفات القبائل التي كانت تأنف من الخضوع لسلطة مدنية، ومن ثم ضبط الولايات والمناطق التي تكونت منها الدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ، وعهد الخلفاء الراشدين ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ، ومن جاءوا بعدهم.

فقد جاء الإسلام بما طهر النفس فاتجهت في عبادتها الى بارئها، وصار معيار التفاضل تقوى الله، والولاء لله ولرسوله والطاعة لأولى الأمر، وأصبح العدل سقفا يستظل به الجميع، وأقر الملكية الفردية والجماعية للقبيلة في موطن إقامتها، وبين المنافع العامة، والمشاع، وعين العرفاء على العشائر، والأمراء على القبائل، كما عين أمراء الألوية والرايات عند الاستنفار، والسعاة لجمع الزكاة والصدقات والجزية والخراج، وعين الأئمة، والدعاة، والقضاة، والأمراء على المناطق والولايات، واتخذ بيت المال، ودور الضيافة، والكتبة[1] وحملة الكتب

---

[1] اتخذ الرسول ﷺ دارين بالمدينة لاستضافة الوفود ، وكان عنده أكثر من أربعين كاتباً ، انظر الخميس في أحوال أنفس نفيس ١٨٢/١ .

والرسائل، واستعمل عمالاً دائمين لحمل البريد من الولايات وإليها، وغير ذلك من عناصر أساسية لمقومات الدولة المدنية، والسياسة الشرعية لها.

ولقد راعى الرسول ﷺ، الوضع الذى كان سائدا من قبل من حيث ارتباط المناطق بعضها ببعض، عند تحديد الولايات، وتعيين ولاة عليها، وذلك لدعم التوافق والتآلف بين القبائل، والترابط الجغرافى بين البلدان، ومن هذا كان الامتداد الجغرافى لمكة المكرمة، هو فى أرضها الممتدة على الساحل شمالاً وجنوباً بمقدار معين امتدت اليه ولاية مكة[1] ولم تمتد شرقاً نحو أرض اليمامة، بل كانت اليمامة قائمة بذاتها وترتبط مع البحرين (الأحساء) فى معظم الفترات التاريخية. كذلك الشأن بالنسبة للطائف، كان الامتداد الجغرافى لها فى السراة وأعراض لجدها، وامتدت جنوباً إلى الحدود الشمالية لليمن فيما بين رِمَعْ وآبين وزبيد[2] وجاورت نجران فى الغرب، والشمال الغربى وكانت ولاية الطائف وأحوازها أكثر ملاصقة لنجران، ولهذا فكثيراً ما كانت نجران تنضاف الى عمالة الطائف، لكنها اذا أضيفت فإن حدودها مع الطائف وغيرها تظل معروفة، ومعالمها محدودة، شأنها شأن غيرها من الولايات عندما كانت تنضاف لغيرها، وذلك لعدة اعتبارات منها أن عمال جمع الصدقات، كانوا يجمعونها من

---

[1] سبق أن قلنا إنها امتدت الى نهاية أرض عك والاشعريين جنوباً ، والتى ولى عليها الطاهر بن أبى هالة , انظر ص ١٧١-١٧٤ من هذا البحث .

[2] أي الولاية التي كانت بالمنطقة فيما بين نجران ورمع وأبين و زبيد ، وهي الولاية التي كان عليها خالد بن سعيد ابن العاص ، قبيل وفاة الرسول ﷺ

أغنياء القبيلة، أو البلدة ويردون جزءاً منها على فقرائها، وينقلون ماتبقى الى بيت المال، وفى بعض الاحيان كانوا يعطون فقراء قبيلة مجاورة فى نفس الولاية، أما أن يأخذوها من بعض بطون الأزد مثلا بولاية الطائف ليعطوه فى بعض قبائل نجران أو العكس فلم يحدث، وإنما كان هذا من اختصاص المهيمن على بيت المال، أى الخليفة. كذلك موضوع القسامة والعقل، فيما لو وُجِدَ قتيل فى مواطن القبيلة، أو زمام البلدة، و لم يعرف قاتله، تحملوا عقله (ديته) وهذا يستلزم معرفه الحدود فى كل المواطن، وتبعية القبيلة لأى من الأمراء، وموطنها فى أى موقع بالإمارة؟ لهذا استمرت تلك الحدود معروفة ومشهورة، ومع أن المؤرخين لم يهتموا بها كثيراً، إلا أن البعض منهم وبخاصه أصحاب معاجم البلدان قد سجلوا معظمها، وبالرغم من أن تدوينهم لها كان ينقصة بعض الدقة، وجاء بعد عدة قرون من قيام الدولة الإسلامية، فإن هذا التدوين، وذكرهم لتلك المعالم الحدودية دليل على شهرتها، واستمراريتها لفترة طويلة تجاوزت ثلاثة قرون عند ازدهار عصر التدوين للعلوم الإنسانية.

وعموماً فسواء انضافت ولاية الى أخرى إدارياً، أو عين لها أمير رأساً، فان كافة الولاة كانوا يستمدون سلطتهم من الخليفة، ومندوبون عنه فى إدارتها، له تعيينهم وعزلهم متى شاء، والولايات جزء من جسم الدولة الأم، وليس لها أية استقلالية عنها.

ومن يتتبع حركة تدوين التاريخ يلحظ أن غالب المؤرخين ـــ قديماً وحديثاً ـــ يجذب انتباههم الأحداث الجليلة، ومشاهير الناس، وسراة القوم،

ومايدور في البلدان الكبيرة ذات الشهرة والنفوذ، فيدونون. ما يتعلق بكل ذلك في مصنفاتهم، وليس لغيره متسع في مصنفاتهم الا فيما ندر.

ولقد شُغِفَ قدامى مؤرخي الإسلام ـ وحُقَّ لهم أن يُشْغَفُوا ـ بتاريخ الإسلام منذ البعثة، وأعمال الخلفاء الراشدين، والفتوحات الإسلامية، وما صاحبها من وقائع وأحداث، فقد تركوا لنا في الحقيقة كمًّا هائلاً من التراث وصلنا قليله، أما كثيره فأبادته صروف الدهر. فاذا ما بحثنا فيما بين أيدينا عن اسم والٍ لإحدى الولايات ـ وبخاصة المغمورة ـ و لم نجده، فليس معنى هذا أن تلك الولاية أهملت أو أزيلت!. فلقد كان الخلفاء الراشدون، ـ ومن بعدهم الأمويون والعباسيون ـ حريصين على تعيين الولاة على الولايات، لضبط النواحي الإدارية في البلدان، فاذا تعسر إيجاد الوالي المناسب لأى سبب كان، أضافوا الولاية الشاغرة الى أعمال أقرب ولاية لها، وتظل كل ولاية لها حدودها وحيزها المعروف في السجلات والدواوين على الوجه الذى أوضحناه عند وضع الترتيبات الادارية للولايات ببداية الدولة الإسلامية.

والدليل على اهتمام الخلفاء، ومَنْ بَعْدَهم، بتَوْلِية الأمراء على البلدان الصغيرة فضلاً عن الولايات، أن الحجاج بن يوسف الثقفي، الذى اكتسب شهرة لصرامته، ولكثرة ما أراق من دماء، كان أول منصب ولاه إياه الخليفة عبدالملك بن مروان هو إمارة بلدة (تبالة) فلما قدم اليها، وقرب منها، سأل دليله: أين تبالة، وعلى أى سمت هى؟ قال: ما سيترها عنك إلا هذه الأكمة (وأشار بيده الى تل مرتفع عن الأرض، دون الجبل)

فقال الحجاج: لا أراني أميراً على موضع تستره عني أكمة، أهون بها من ولاية، وكرَّ راجعاً دون أن يدخلها[1] تُرى لو أنها كانت قد عرضت على أحد غير الحجاج ورفضها، أيذكر هذا الخبر أحد من المؤرخين؟! لكن هذا الخبر الذى أوردوه للدلالة على مدى طموحات الحجاج منذ صغره، يعطى فى الوقت نفسه دليلاً على مدى اهتمام الدولة الاسلامية بتعيين الولاة على البلدان الصغيرة، فما بالك بالولاية أو الإمارة الكبيرة؟!، ودليل آخر: وهو أن الرسول ﷺ، كان قد ولى الصحابى صرد بن عبد الله الأزدى أميراً على بلدة جرش، نظراً لجهوده فى إسلام أهلها، وأورد المؤرخين أنه ظل أميراً عليها حتى وفاة الرسول ﷺ[2] ثم تولاها بعده عبد الله بن ثور، أحد بنى الغوث، الأزدى بأمر من أبى بكر الصديق فى خلافته، وتوفى أبو بكر وهو والٍ عليها[3] ولم يذكر أحد من المؤرخين من تولاها بعد ذلك، تماما كما لم يذكروا من تولى الإمارة فى تبالة بعد أن رفضها الحجاج بن يوسف الثقفى، كما أن الرسول ﷺ ولى على مدينة الخط بالأحساء، أبان بن سعيد بن العاص بن أمية، أحد الكتبة للرسول ﷺ، وكانت تلك المدينة مشهورة بصناعة الرماح، فيقال: رماح خطية نسبة اليها، ولم يذكر المؤرخون من وليها فى عهد الخلفاء الراشدين مثلاً،[4] إلا أنه من المؤكد أنه كان لكل من تلك البلدان والٍ فى كل

---

[1] معجم البلدان ، ٩/٢ ، وسرح العيون شرح رسالة ابن زيدون ، لابن نباتة المصرى ص ١٧٣

[2] طبقات ابن سعد ، ٥٢٧/٥ .

[3] الطبرى ، ٤٢٧/٣

[4] الجمهرة ، ص ٨١

الفترات العمرانية لها، ومن باب أولى فإن الخلفاء كانوا حريصين على تعين ولاة على الإمارات، والأمصار والبلدان الكبيرة بالرغم من إهمال التاريخ ذكر أسمائهم، أو تتبع أخبارهم، لأنه لايهتم غالباً إلا بتدوين الأخبار المؤثرة في مجرياته.

ومن الملاحظ أنه حدثت تنقلات واستدعاءات للولاة في كثير من الولايات عند بداية الاستنفار في عهد الخلفاء الراشدين، وترتب على ذلك ضم الولايات الشاغرة الى أقرب والٍ على ولاية متجانسة معها، لإدارتها وتصريف شئونها، فمثلاً: كانت اليمن عند وفاة الرسول ﷺ، بين سبعة ولاة[1] فاستدعى أربعة منهم الى ميدان الفتوحات فظل فيها ثلاثة ولاة[2] ثم صارت فيما بعد تحت والٍ واحد غالباً، وعندما استدعى جرير بن عبد الله البجلي والى نجران بعد ابن حزم، وقيل أو بعد أبي سفيان بن حرب في بعض الأقوال ، أضيفت نجران الى ولاية الطائف، وعندما انتقل عثمان ابن أبي العاص والى الطائف، والياً على البحرين (الاحساء) واليمامة، بدلا من العلاء بن الحضرمي أو إلى الميدان، على خلاف في ذلك، وأصبحت ولاية الطائف شاغرة، انتقل إليها يعلى بن أمية والى الجند، وعين مكانه على الجند عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي[3] كما كان لمكة المكرمة اهتماماً بالغاً من قبل الخلفاء لكونها تضم المسجد الحرام، والبيت العتيق،

---

[1] انظر ص ١٧٩ ، ١٨١ من هذا البحث .

[2] البدء والتاريخ ، ٧١/٤

[3] انظر فيما سبق الطبرى ، ٣٢٣/٣ ، ٦٢٣ ، والبداية والنهاية ، ٧ /٥٤ ، ٦٨ ، ٨٢ ، والجمهرة ص ٤٦ .

مهوى أفئدة المسلمين، ولذا فإن المؤرخين قد تتبعوا أخبارها وأسماء ولاتها في غالب الأحيان، وكانت كثيراً ما تنضم، أو تنضاف اليها ولاية الطائف بكل توابعها ومخاليفها، والتي منها نجران.

وأيا ما كان الحال فسوف نمر من خلال السرد التاريخي اللاحق لفترتنا هذه، ببعض اللمحات التاريخية، تؤكد دوام الهوية لمنطقتنا، وتدعم ما تم التوصل اليه من معالم حدودية منذ ما قبل الاسلام، واستمرارها كذلك في ظل الاسلام، بل وزادها الإسلام تأكيداً حين أدخلها لأول مرة في طور الترتيب الإداري الذي قامت عليه الدولة الإسلامية في عهد الرسولﷺ

وأصبحت منطقتنا جزءاً من كيان دولة لها حكام، يولون أمراء ينوبون عنهم في إدارة تلك الولايات وغيرها من الأمصار المختلفة، وليس لأحد من هؤلاء أية استقلالية في ولايته، وما حدث من ذلك في أوقات الاضطرابات والفتن، فإنه كان يعتبر غير مشروع، لأنه مخالف للقاعدة الأساسية، التي وضعت للترتيبات الإدارية للدولة الإسلامية، ومن ثم فهو من قبل الشاذ، والشاذ لا يقاس عليه كما يقال ..

وقد استمر العمل بالترتيبات الإدارية التي وضعت في عهد الرسول ﷺ، عدة قرون، حتى عرفت واشتهرت حدود الولايات، ومن ثم دونت

فـي السـجلات، وصنفـت كتـب أشـارت إليهـا، وحـددت معالمهـا، ومسـافاتها، وقياسـاتها علـى طبيعـة الأرض .. وغـالب الظـن أن شـهرتها توارثتها الأجيال جيلاً بعـد جيـل، حتى قيـام الدولـة فـى العصر الحديث.

# الباب الخامس

## التبعيةالإدارية للمنطقة منذ عهد الخلفاء الراشدين حتى بداية الدولة العثمانية

**الخلفاء الـراشـــدون :**

عرفنا فيما سبق بعض الترتيبات الإدارية التى قامت عليها دعائم الدولة الإسلامية فى عهد الرسول ﷺ، والتى كان من بينها مراعاة الامتداد الطبيعى للأرض، والخواص الإقليمية، والتوافقات بين القبائل، وذلك عند تشكيل الولايات التى تكونت منها الدولة ومن ثم تعيين الولاة وعمال الصدقات على تلك الولايات، وعلى القبائل فى مواطنها، وإرسال الدعاة والقضاة والمعلمين. كما تم وضع أسس الملكية الخاصة والعامة والمشاع، وتحديد المعالم لكافة الولايات والمناطق والأقاليم منعاً للتشاحن والتنازع، ودعما للاستقرار وحرصا على تحديد المسئولية لكل والٍ على ولايته، وكل راع على رعيته مهما صغر حجمها، وغير ذلك من تشريعات ..

أرسيت دعائم التشريع التى شملت أمور الدين وشئون الأمة فى حياة الرسول ﷺ، ثم أوكل الأمر إلى خلفائه من أكابر الصحابة، الذين

مـافتئ يتعهدهـم، ويهيئهـم للقيـام بتلـك المهمـــة مـن بعـده، فكـان أبـو بكـر الصديـق ـ رضـي الله عنـه ـ أجدرهـم بخلافتـه فـي حراســة الديـن، وسياســة أمـور الرعيـة فقـد عـبر بالمسـلمين بحـور الفـتن والأهـوال التـي أعقبـت وفـاة الرسـول ﷺ الى شـاطيء الأمـان، ثـم مـد ذراعيـه شـاهراً سـيفه الى الفتوحـات الإسـلامية ليواجـه فـي وقـت واحـد أعظـم دولتـين تتقاسمـان مصـائر الشـعوب فيما بينهما في ذلـك الوقـت، ولـو لم يكـن لأبـي بكـر مـن المنـاقب سـوى ذلـك لكفاه، فما بـالك وسـجله حـافل بـالعديد مـن المنـاقب.

*** عهد أبي بكر الصديق (مدة حكمه ١٠ أيام / ٤ شهور / ٢ سنة)**

كـان مـن نتيجـة استنفار القبـائل، وتجييـش الجيـوش للفتوحـات فـي عهـد أبـي بكـر الصديـق، أن حـدث استدعاء بعـض الـولاة مـن ولايـاتهم، ليقـودوا تلـك الجيـوش، أو يقـودوا مـدداً لمن سـبقوهم الى الميـدان، وترتـب علـى هـذا شـغور بعـض الولايـات، فـأضيفت الى أقـرب والٍ علـى ولايـة متجانسـة معهـا، بغـرض إدارتهـا وتصريـف شـئونها، فمثـلاً أضيفـت ولايـة نجـران الى ولايـة الطـائف عندمـا استدعي واليهـا أبوسـفيان بـن حـرب الى الميـدان ليتـولى مهمـة وعظ الجنـد، وبـث الحمـاس فيهـم، وحثهـم علـى القتـال قبيـل معركـة اليرموك، منتصـف عـام ١٣هـ[1] وكـان واليهـا قبلـه جريـر بـن عبـد الله البجلـي، ذهـب

---

[1] البداية والنهاية ٧/٩ ، وفتوح البلدان ١/٨٠ ، وابن خلدون ٢/٨٥ .

أيضاً إلى ميدان الشام أولاً، ثم ميدان العراق[1]، وسنذكر فيما بعد ما يؤكد هذا الضم، أو الاضافة والتبعية.

ومن الولايات التى أضيفت مثل نجران، الولاية التى كان عليها خالد بن سعيد بن العاص، وهى المنطقة فيما بين رمع وأبين بأرض اليمن، فقد ضم جزء منها الى صنعاء، وجزء لولاية الجند[2] وصارت حضرموت ولايتين بعد أن كانت ثلاث أواخر عهد الرسول ﷺ،[3] كما أصبحت اليمامة والبحرين. (الأحساء) فى معظم الأحيان ولاية واحدة، وغير ذلك كثير.

كما لوحظ أن الولاة الذين كان يتم استدعاؤهم الى الميدان، كانوا يختارون من ينوب عنهم فى إدارة الولاية وتصريف شئونها، ثم يبلغون الخليفة عن اختاروه، وللخليفة أن يقره، أو يعين آخر بدلاً منه، وذلك مثلما استدعى الخليفة أبو بكر الصديق كلاً من عمرو بن العاص، والوليد ابن عقبة، وكان كلاً منهما على بطن من قضاعة، فكتب لهما

---

[1] انظر ص ٢١٠-٢١٥ من هذا البحث.

[2] كان أبوبكر الصديق قد خير المهاجر بن ابى أمية، بعد انتهاء حروب الردة فى أن يذهب لتسليم الولاية التى كان ولاه عليها رسول الله ﷺ، بأرض حضرموت، أو ولاية صنعاء، فأختار ولاية صنعاء، ونقل فيروز الديلمى الذى كان قد تولاها موقتا عقب الانتهاء من فتنه العنسى الى ولاية الجند، ونقل يعلى بن أميه من ولاية الجند الى ولاية مأرب ومخلاف خولان، لشغورها باستدعاء ابى موسى الأشعرى الى الميدان، وظل يعلى ابن أميه فى تلك الولاية - مأرب وخولان - إلى أن نقله عمر رضى الله عنه والياً على الطائف. انظر الطبرى ٣٢٧/٣، ٣٤١.

[3] انظر ص ١٧٩، ١٨١ من هذا البحث.

يستدعيهما للذهاب الى الميدان، فاستخلفا من ناب عنهما في عملهما، وأقبلا الى أبي بكر[1] ومثلما استخلف يزيد بن أبي سفيان والى دمشق أخاه معاوية قبيل وفاته، وبعث إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يفيده بذلك، فلما توفي يزيد عام ١٨هـ، أقر عمر معاوية في الولاية، وامتد منها سلطانه فيما بعد.[2]

وعندما توفي الخليفة أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ[3] كان عماله على منطقتنا هم:

**أولاً: مكة المكرمة،** وأحوزها، وباديتها ـ على الوجه الذي أوضحناه في تحديد الولايات أواخر عهد الرسول ﷺ[4] عتاب بن أسيد، منذ أن ولاه إياها رسول الله ﷺ، واستمر واليها طوال عهد أبي بكر[5] وقيل توفي يوم وفاة أبي بكر، وقيل توفي بعد ذلك، وأنه كان أميراً عليها، حين حج عمر بن الخطاب موسم عام ١٤هـ، ويساعده الطاهر بن أبي

---

[1] البداية والنهاية، ٣/٧

[2] مات يزيد بن أبي سفيان في طاعون عمواس أواخر عام ١٧هـ وقيل بداية عام ١٨هـ البداية والنهاية، ٨٨/٧، ١٠٥، والطبري ٢٨٩/٤.

[3] توفي ابوبكر الصديق يرحمه الله، يوم ٢٢ جمادى الآخرة عام ١٣هـ

[4] الطبري، ٣١٨/٣، وانظر ص ١٧٧-١٨٠ من هذا البحث.

[5] ابن الأثير ،٤٢٠/٢، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ٢/ ١٦٢.

هالة على أرض عك والاشعريين[1] وله مساعدون آخرون يتمثلون في رؤساء البلدان على بلدانهم، والقبائل على قبائلهم، وكثير منهم كان قد عينه الرسول ﷺ، في موقعه حين وفوده إليه بإسلامه، أو إسلام قبيلته، كما هو الحال في كل المناطق.

**ثانياً: الطائف**، وأحرازها، وباديتها، على الوجه الذى سبق أن أوضحناه عند تحديد الولايات أواخر عهد الرسول ﷺ،[2] ثم نجران المضافة اليها كما سيتضح ذلك في عهد عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ .

كان الوالى هو عثمان بن أبى العاص، منذ أن ولاه إياها رسول الله ﷺ، عام ٩هـ، وكان يساعده كل من مالك بن عوف النصرى، وعكرمة ابن أبى جهل، وسعد بن أبى وقاص[3] فتم استدعاء هؤلاء الثلاثة إلى الميدان، ولم يعين بديل لهم اكتفاء برؤساء البلدان والقبائل، كل في موقعه، نظراً لأستقرار الوضع والأمن، في شبه الجزيرة بصفة عامة، وانشغال الناس بتتبع أخبار الفتوحات، وإشعال الحماس في نفوس من لم يذهب الى الميدان بالتأهب للمشاركة.

---

[1] سبق ان أشرنا الى ما ذكره ابن خرداذبة ، والفاكهى وغيرهما ، من أن آخر مخاليف مكه من جهة تهامه جنوبا هى بلاد عك ، واستمر الوضع هكذا الى منتصف الدور الثانى للدولة العباسية ، حين بدأت فى الضعف ، واستقلال الأقاليم عنها .. أى استمر هذا الوضع حوالى ثلاثة قرون .

[2] الطبرى، ٣١٦/٣ ، وانظر ص ١٧٧- ١٨٠ من هذا البحث .

[3] ابن خلدون ، ٨٣/٢-٨٥،وانظر ص ١٧٧ - ١٨٠ ، من هذا البحث .

ومن الملاحظ أن الأمور الإدارية في الولايات كانت تتسم بطابع الجدية والاهتمام، ودقة المتابعة، والسهر على مصالح المسلمين، ذلك أن الوالي كان لايغادر مقر الولاية إلا إذا أناب عنه من يديرها فترة غيابه، حتى لو كان ذاهبا لمقابلة الخليفة في عاصمة الخلافة، فقد أناب عتاب بن أسيد، عنه في ولاية مكة: المحرز بن حارثة بن ربيعة، في سفرتين سافرهما خارج مكة[1] كما أناب نافع بن عبد الحارث الخزاعي، حين كان والياً على مكة عام ٢٣هـ: عبدالرحمن بن أبزي[2] في عهد عمر بن الخطاب.

**• عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه (مدة خلافته ٤ ايام/ ٦ اشهر/ ١٠ سنين)**

**أولاً: مكة المكرمة**، وما يتبعها، على الوجه الذي ذكرناه سابقاً في تحديد الولايات. فقد أورد الفاسي[3] أسماء ولاة مكة في عهد عمر، وهم: المحرز بن حارثة بن ربيعة القرشي، ثم قنفذ بن عمير بن جدعان التيمي، ثم نافع بن عبد الحارث الخزاعي ـ تولاها مرتين في عهد عمر ـ ثم أحمد بن خالد بن العاص المخزومي، ثم طارق بن المرتفع بن عبد مناة القرشي، ثم الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وكان الرسول ﷺ قد

---

[1] شفاء الغرام، ١٦٤/٢.

[2] شفاء الغرام، ١٦٤/٢.

[3] شفاء الغرام، ١٦٤/٢، وقد أورد أقوال المؤرخين، واختلافاتهم في أسماء بعض الولاة وتاريخ ولايتهم.

استعمله فى جمع صدقات بعض أعمال مكة بتهامة، وكذا أبو بكر الصديق، وولى عتبة بن أبى سفيان على كنانة بتهامة الحجاز أيضاً.[1]

**ثانياً: الطائف**، وما يتبعها، وما انضاف إليها، على وجه الذى ذكرناه سابقاً فى تحديد الولايات.

كان واليها هو عثمان بن ابى العاص، هو نفس واليها فى عهد الرسول ﷺ، ثم فى عهد أبى بكر الصديق، ثم استدعاه عمر بن الخطاب للقيام ببعض المهام فى ميدان العراق عام ١٥هـ تقريباً، ثم أعاده والياً على اليمامة والبحرين بدلاً من العلاء بن الحضرمى[2] حين عزله عمر عام ١٧هـ، لكونه حمل المسلمين على عبور الخليج لغزو فارس دون أن يستشيره، ثم أعاد العلاء الى ولاية اليمامة والبحرين، وعثمان الى الميدان بفارس، وكانت له جهود واضحه فى فتح اصطخر وبعض خراسان عام ٢٣هـ وما بعده، وظل بها إلى أن توفى عام ٥٠هـ. ولما شغرت ولاية الطائف، عقب استدعاء عثمان بن أبى العاص، نقل عمر بن الخطاب إليها

---

[1] الطبرى ، ٤/٢٢٠، الازرقى ٢/١٥١ ، ١٥٢ ، والجمهرة ص ٢٤٢ .

[2] العلاء بن الحضرمى عزله عمر عن ولاية البحرين مرتين : احداهما هذه التى علقه فيها عثمان بن أبى العاص، ثم أعاده وبعث عثمان إلى الميدان ، ثم عزله الثانية وحل مكانه قدامة بن مظعون ، وتوفى العلاء عام ٢١ هـ الطبرى ، ٣/٦٢٢ ، والبداية والنهاية ، ٧/٩٣ ، ١١١ ، ١٢٥ ، ١٣٢ ، ١٤٣ ، وفيه أن أبا هريرة هو الذى تولى مكانه بعد عزله المرة الثانية ، وليس هذا صواباً ، فأبو هريرة تولى بعد ابن مظعون .

يعلى بن أمية، والى مأرب وخولان،[1] ثم عزله عمر عن ولاية الطائف عام ٢٢هـ تقريبا، وظل فترة دون مناصب الى أن عينه الخليفة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ والياً على صنعاء، وظل والياً عليها إلى عام ٣٥هـ حين قدم إلى الحج في ذاك الموسم، وعقب انتهاء الحجاج من أداء مناسكهم جاءهم النبأ باستشهاد عثمان ـ رضي الله عنه ـ فظاهر يعلى بن أمية المطالبين بدم عثمان، وأسرع الخطى مع المنطلقين من مكة لهذا الغرض، وحضر وقعة الجمل مناهضاً لعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ لكنه مالبث أن انضم اليه بعد ذلك ضد معاوية، وقتل مع الإمام علي ـ رضي الله عنهما ـ في وقعة صفين[2] ونظراً لتكرار تنقل يعلى بن أمية بين عدد من الولايات، فقد التبس على بعض المؤرخين تحديد تواريخ تقلده تلك الولايات، ومن ثم ترتيب ولايته لها، وزاد هذا الالتباس لدرجة أن بعضهم أفرده في ولاية اليمن جميعها، بينما لم تجتمع لوال واحد، ربما إلا شطراً من عهد الإمام علي بن أبي طالب، حين وَلّى عليها عبيد الله بن عباس، وإلا في عهد عبد الله بن الزبير حين وَلّى عليها أخاه خالد بن

---

[1] كان يعلى أول من تولى ولاية الجند عند تشكيلها في عهد الرسول ﷺ ، وكان عليها إبان فتنة العنسي ، انتقل الى مأرب مكان ابي موسى الأشعرى ، ومن مأرب انتقل الى ولاية الطائف ، وسبق أن قدمنا ترجمة وأن البعض ينسبه الى أمه فيقول : يعلى بن منية ، وأمه هي بنت ، أو أخت (على خلاف في ذلك) عتبة غزوان ، واخته نفيسة بنت منية هي التي قامت بخطبة أم المؤمنين خديجة ـ رضي الله عنها ـ ، الى رسول ﷺ ، قبل البعثة وأسلمت يوم الفتح ، ولما رآها الرسول ﷺ برها وأحسن اليها .
انظر الطبرى ٦٢٣/٣ ، والبداية والنهاية ٦٨/٧ ، ٥١/٨ ، وابن الأثير ٤٠/٢ ، والجمهرة ص ٢١٣ ، ٢٩ وهامش كتاب الأموال للقاسم بن سلام ، ص ٤٤٥ .

[2] طبقات ابن سعد ، ٣٥٨/١ ، والاصابة ٦٦٨/٣، والبداية والنهاية ٢٥١/٧ .

الزبير[1] وبعضهم ذكر أن يعلى كان والياً على صنعاء في عهد أبي بكر وعمر، بينما الصواب أنه لم يكن واليا على صنعاء إلا في عهد عثمان بن عفان، وبعد أن عزله عمر عن ولاية الطائف وما يتبعها أواخر عام ٢٢هـ ظل فترة دون مناصب بقية عهد عمر وشطراً من عهد عثمان الى أن عينه عثمان والياً على صنعاء.

المهم أن عمر عين في الولاية التي شغرت في اليمن من أثر نقل يعلى ــ وهي مأرب ــ عين بدلا منه عبد الله بن أبي ربيعة بن أبي أمية المخزومي، وهو ابن أخي المهاجر بن أبي أمية المخزومي والي صنعاء[2] ورغم أن اليمن كانت مقسمة الى عدة ولايات[3] تزيد أو تنقص وفق الظروف، الا أنها كانت موحدة الإدارة، وتتسم بالهدوء والاستقرار خلال عهد الخلفاء الراشدين، وعهد بني أمية، وشطراً كبيراً من عهد العباسيين، في معظم الاحوال، أما يعلى فنقله عمر والياً على الطائف، وما يتبعها، وما انضاف اليها ــ نجران ــ عام ١٥هـ[4] وفي عام ٢٠هـ عزم عمر على

---

(1) الجمهرة ، ص ١٨ ، ١٢٢ ، والأخبار الطوال ص ١٤١ ، والمقتطف من تاريخ اليمن للجرافي ص ٨٩ ، وفيه أن يعلى ظل عاملا على اليمن منذ عهد أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، الى أن عزله علي بن أبي طالب وولاها عبد الله بن العباس ، وهذا وهم يجانب الصواب ، وقع فيه العديدون .

(2) وعبدالله بن أبي ربيعة هو أيضا ابن أخي أم المؤمنين أم سلمة، وهو كذلك والد الشاعر الغاني: عمر بن أبي ربيعة، الجمهرة ص ١٤٦، ١٤٧، وظل واليا باليمن على ولاية الجند حتى نهاية عهد عثمان - رضي الله عنه -

(3) انظر : البدء والتاريخ ٧١/٤ .

(4) الطبري ٦٢٣/٣ ، والاصابة ١٦٩/٣ .

إجلاء يهود خيبر[1] وإجلاء نصارى نجران[2] فعهد الى يعلى بن أمية وهو والى الولاية التي انضافت اليها ولاية نجران، لأنها تحت إشرافه ومسئوليته، بأن يقوم بعمل الترتيبات اللازمة لإجلائهم عن نجران، ودارت بينه وبين أمير المؤمنين عمر مكاتبات بشأن كيفية الإجلاء، وتقدير ممتلكاتهم وتعويضهم عنها، وتحديد فترة زمنية معينة لمغادرة نجران، كما وجه عمر خطاباً للنصارى أنفسهم، ليتأكدوا من أن الأوامر بإجلائهم صدرت منه رأساً كأمير المؤمنين، حتى لايظن أحد منهم أنها صادرة من والى الولاية دون علم أمير المؤمنين، فما والى الولاية إلا منفذ للتعليمات الصادرة اليه.

يقول عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في خطابه لهم[3] أما بعد: فإنكم زعمتم أنكم مسلمون (معظمهم قد زعم ذلك) ثم ارتددتم بعد، وأنه من يتب منكم (أى يعود للاسلام) ويصلح (يأتي من الأعمال الصالحة ما يدل على إسلامه) لايضره ارتداده (السابق) ونصاحبه صحبة حسنة .. ومن أبى إلا النصرانية، فإن ذمتي بريئة ممن وجدناه، عشراً تبقى من شهر الصوم (أى أعطاهم مهلة لترك البلاد والخروج من نجران الى عشرين من شهر رمضان عام ٢٠هـ) ..

---

[1] كان الرسول ﷺ قد صالح بعضهم على البقاء لزراعة أرضها، ووقع منهم اعتداء على بعض المسلمين قبلة، منهم عبد الله بن عمر فعزم عمر على إجلائهم وإجلاء يهود فدك، ونصارى نجران. انظر: السيرة الحلبية، ٧٧١/١.

[2] وقع في الطبرى، وابن الاثير وغيرهما: إجلاء يهود نجران بدل نصارى نجران، وهو خطأ ربما يكون من فعل النساخ .

[3] انظر كتاب الاموال لابن زنجويه ، ٢٧٦/١ ، ٢٧٩ ، ٤٥١ .

أمـا بعـد: فـإن يعلـى (الـوالى المسـئول عـن ولايتكـم والموكـل اليـه مهمـة إجلائكم) كتـب يعتـذر أن يكـون آكـره أحـداً منكـم علـى الإسـلام، أو عذبـه.

أمـا بعـد: فقـد أمـرت يعلـى أن يـأخذ منكـم نصـف مـاعملتم مـن الأرض (أى نصـف انتاجهـا) وإنـى لا أريـد نزعهـا منكـم مـا أصلحتـم (اذا أسـلمتم واسـتمررتم علـى اعتنـاق الإسـلام والعمـل الصـالح).

فتكليـف يعلـى بتلـك المهمـة أتـى مـن كونـه هـو الـوالى المسـئول عـن ولايـة نجـران المضافـة قبـل، لولايـة الطـائف لكـى يكـون مسـئولاً عـن متابعـة تنفيـذ عمليـة الإجـلاء، وتقييـم الممتلكـات، وتعويضهـم عنهـا ثـم تسـلم تلـك الأرض منهـم وتوزيعهـا علـى مـن يقومـون بزراعتهـا لصـالح الدولـة، مثـل خيـبر وفـدك[1] وليكـن مسـئولاً عـن أى خطـأ، أو خصومـات تنشـأ عـن هـذا الموضـوع .. لـذا نلاحـظ أنـه أرتكـب خطـأ، وكـان هـذا الخطـأ هـو السـبب فـى عزلـه عن ولايـة الطـائف ونجـران، فقـد بلـغ عمـر أنـه حـاز لنفسـه بعـض الأرض فـى نجـران فعزلـه عـام ٢٢هــ وعـين مكانـه سـفيان بـن عبـد الله الثقفـى، واليـاً علـى الطـائف ونجـران[2].

---

[1] انظر السـيرة الحلبيـة، ٢/٧٧١، والطبرى، ٣/٤٤٦ ، ١١٢، والبداية والنهاية ٧/١١٢، وابن الأثير، ٢/٤٠، ١٩٣، ٢٩٤، ٥٦٩، وابن خلدون، ٢/٦٦، ٨٨، الاموال للقاسم بن سلام، ص ١٤٣ ، ١٤٤، ١٤٥، ومجموعة الوثائق السياسية ص١٠٠ – ١٠٣ .

[2] الطبرى ، ٤/٢٤١ .

المهم أن نجران أصبحت مضافة وتابعة الى ولاية الطائف، وإن لم يذكرها المؤرخون عند تعين الولاة على الطائف اعتماداً على أنهما ولاية واحدة، أو ولايتين مرتبطتين بوالٍ واحدٍ، بل كثيراً ما كانت الطائف، وما يتبعها ـ ومنها نجران ـ كانت تنضاف الى ولاية مكة، ويتولى الجميع والٍ واحدٍ، كما سنرى ذلك عند تصفحنا للواقائع التاريخية التالية لفترتنا هذه.

ولما طعن أبو لؤلؤة ـ فيروز المجوسي ـ عمر، وهو قائم يصلى الصبح من يوم الأربعاء ٢٦ من ذى الحجة سنة ٢٣هـ، عهد بالأمر بعده شورى فى ٦ من أعيان الصحابة ، على أن يختاروا واحداً من بينهم يلى أمر المسلمين[1] ولحكمته وبعد نظره أوصى بأن يظل عماله على الولايات لمدة عام، لكى يضمن استقرار الأوضاع على الوجه الذى رتبه لحسن ودقة الإدارة .. ولحين يستوعب الخليفة الذى يحل محله أمور المسلمين وشئون الدولة.

وكان آخر عماله: على مكة وما يتبعها: الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، وآخر عماله على الطائف، وما يتبعها، هو سفيان بن عبد الله الثقفى، الذى حل مكان يعلى بن أمية، بعد أن عزله عمر، عن ولاية الطائف ونجران [2].

---

[1] الطبرى ، ٤/١٩٠ ـ ١٩٤ ، ٢٢٨ ، والبداية والنهاية ١٥١/٧ ، والخميس فى أحوال أنفس نفيس ص ٢٤٨ .

[2] شفاء الغرام ، ١٦٤/٢ ، والطبرى ١٤١/٤ ، وفيه أن يعلى بن أمية كان واليه على صنعاء وليس هذا صوابا ، فان يعلى كان فى ذلك الوقت معزولا ، دون أي منصب .

*** عهد عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ (مدة خلافته حوالي اثني عشر عامًا إلا بضعة أيام) ***

عمل الخليفة عثمان ــ رضى الله عنه ــ بوصية عمر بإبقاء الولاة فى ولاياتهم لمدة عام، فيما عدا الكوفة التى أعاد إليها سعد بن أبى وقاص بناء أيضاً على وصية عمر، باستعمال سعد لأنه لم يعزله عن تقصير صدر منه (فَيَلْحَقُه أذى بذلك ويظن الناس أنى عزلته عن سوء)[1] لذا يقال إن عثمان أعاده الى الكوفة عقب توليه الخلافة، وكان سعد من بين الستة الذين رشحهم عمر للخلافة من بعده[2] ثم عزل الخليفة عثمان ــ رضى الله عنه ــ بعض الولاة وعين آخرين فى كثير من الأمصار والولايات، وكان لتجاوزات بعض الولاة أثر فى الفتنة التى حلت بالمسلمين واستغلها أصحاب الأهواء فزادوها اشتعالاً، حتى أودت بحياة ذى النورين يرحمه الله.

وكان عمال عثمان ــ حين استشهد يوم الدار، فى ١٨ ذى الحجة ٣٥ هـ، ــ بمنطقتنا[3]:

— **على مكة وما يتبعها:** عبد الله بن عامر الحضرمى، وكان أول من أبلغ أم المؤمنين عائشة ــ رضى الله عنها ــ بقتل عثمان، فقد كانت

---

[1] نص عبارة عمر رضى الله عنه .

[2] الطبرى ، ٢٢٨/٤ ، ٢٤٤ ، والبداية والنهاية ، ١٦٣/٧ .

[3] الطبرى ، ٤٢١/٤ ، وشفاء الغرام ، ١٦٤/٢ .

هي وبعض أمهات المؤمنين في موسم الحج ذلك العام، وكان ابن عامر أول مجيب للطلب بدم عثمان.

– **وعلى الطائف وماتبعها** ـ نجران، والبوادي، والسراة ـ: القاسم ابن ربيعة الثقفي.

– **وكان على صنعاء**: يعلى بن أمية الوالي السابق للطائف، والذي أشرف على جلاء نصارى نجران في عهد عمر عام ٢٠هـ، ثم ارتكب بعض التجاوزات فعزله عمر أواخر عهده، وظل دون عمل شطراً من عهد عثمان، ثم أعاده عثمان والياً على صنعاء، كما نقل عثمان: عبد الله بن أبي ربيعة الذي كان والياً على مأرب، والياً على الجند، فكان هو واليها عند وفاة عثمان ـ رضي الله عنه ـ[1].

ومما يسترعي الانتباه حقاً، موقف الخليفة عثمان ـ رضي الله عنه ـ، ومدى حرصه الشديد على توفير الأمن في بلد الله الحرام، والا يهتك ستار الأمن في مكة المكرمة، أو يروع أهلها الوافدون إليها مثلما روع إخوانهم في المدينة المنورة، وعاث فيها المرجفون فساداً أثناء حصارهم له ـ رحمه الله ـ، وحالوا بينه وبين الصلاة في المسجد، ومنعوا دخول الأكل والماء العذب الى بيته، وأشرف هو وأهله على الهلاك: فخلال هذه المحنة القاسية تطلعت أنظاره الى مكة المكرمة وخشي أن يتسرب إليها بعض

---

[1] البداية والنهاية ٢٥١/٧ .

هؤلاء الشواذ الخوارج فيثيرون الشغب بالبقاع المقدسة ويبدلون أمنها خوفاً وفزعاً، مستغلين قدوم الحجيج إليها موسم عام ٣٥هـ، وكان حصار الخوارج له قد امتد حتى دخل هذا الموسم[1] وبدأ الناس يفدون إلى مكة، وخرج إليها من المدينة العديد من الصحابة رضي الله عنهم، فقام الخليفة عثمان ـ رضي الله عنه ـ باستدعاء عبد الله بن عباس، إلى بيته المحاصر، وقال له: يا ابن عباس، إني كنت قد استعملت على مكة خالد بن العاص ابن هشام[2] وقد بلغ أهل مكة وغيرهم ما صنع بنا الناس، وأنا أخاف أن يمنعوه الوقوف بالموقف ـ أي بعرفات ـ فيأبى هو، فيقاتلهم ويقاتلونه في حرم الله عز وجل وفي أمنه، وبه قوم جاءوا من كل فج عميق، فرأيت أن أوليك أنت أمر الموسم، فاذهب إلى خالد وأمره أن يحج بالناس، فإن أبى أو منعه أحد فتولى أنت أمر الموسم .. ثم كتب معه كتاباً ليقرأه على الناس في موسم الحج .. فذهب ابن عباس وحج بالناس وقرأ عليهم كتاب

---

[1] قيل إن الحصار الثاني الذي قتل فيه عثمان –رضي الله عنه– امتد أربعين يوماً وقيل اثنين وعشرين يوماً وقيل غير ذلك .

[2] هو خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، ابن عم عكرمة بن أبي جهل، ويبدو أنه عينه والياً بدلاً من عبدالله بن عامر الحضرمي أثناء الحصار، غير أن خالد رفض أن يتقلد الولاية، ولذا استمر ابن الحضرمي هو الوالي على مكة حتى انتهى موسم حج عام ٣٥هـ ، وهو أول من عرف بمقتل الخليفة عثمان –رضي الله عنه– وأبلغ الناس بمكة به، ثم كان من أوائل المطالبين بدم عثمان، ومعه يعلي بن أمية والي عثمان على صنعاء وعبدالله بن عامر واليه على البصرة، وكانا قد حضرا الموسم ذلك العام، ومع يعلي ٦٠٠ بعير، وستة آلاف درهم، جهز الناس بها وخرجوا من مكة للمطالبة بدم عثمان بعد انتهاء الموسم بأربعة أشهر تقريباً انظر البداية والنهاية : ٢٥١/٧، ٣٢٦.

الخليفة عثمان قبل يوم التروية بيوم[1] ولما انتهى من المناسك عاد ابن عباس إلى المدينة مسرعاً فوجد الخليفة قد قتل رضي الله عنه[2] وَوُلي عليٌّ بن أبي طالب خليفة على المسلمين.

*** عهد علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – (مدة خلافته ٢٣ يوماً/٨ أشهر/٤ سنوات)[3]**

أمضى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فترة حكمه في معالجة آثار الفتنة التي بزغ قرنها في عهد الخليفة عثمان بن عفان، وراح ضحيتها رحمه الله، ثم تأجج أُوَارُها وتفرع لهيبها في عهد الإمام علي بن أبي طالب، حتى راح هو أيضاً ضحية لها في ١٧ رمضان عام ٤٠هـ، وكانت السبب المباشر في جنوح الفكر عن جادة الصواب لدى البعض، حيث أخذ طريقه إلى الانحراف وركب موجة جنوحه طوائف من البشر مختلفي النزعات والأهواء، ابتدعوا في الإسلام ما لم ينزل الله به سلطاناً، وأمام هذه المحنة التي واجهها الإمام علي بن أبي طالب وخروج ولاية الشام وما يتبعها عن سلطانه، نلحظ أنه جمع أكثر من ولاية ببعض المناطق تحت ولاية والٍ واحدٍ بحيث يعتبر والياً عاماً، وغير ذلك فمثلاً:

---

[1] أي يوم ٧ من ذي الحجة ٣٥ هـ ، فإن يوم التروية هو الثامن من ذي الحجة .

[2] انظر فيما سبق الطبري ٤/٤٠٥-٤١١

[3] البداية والنهاية، ٢٤٧/٧، ٣٦١، ١٥/٨، ١٦، وفي المواهب اللدنية، جـ٢، ص١٢٦، أن مدة خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام .

جعل على مكة المكرمة ــ عقب توليه الخلافة ــ أبو قتادة الأنصاري، ثم عزله وعين بدلاً منه عام ٣٦هـ: ابن عمه، قثم بن العباس بن عبد المطلب، فلم يزل والياً إلى أن قتل علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنهما ــ وقيل تولاها معبد بن العباس قبل قثم[1] وضُمَّت إلى ولاية مكة ولاية الطائف بما يتبعها من مخاليف وبوادي، وكانت نجران سبق أن انضمت لها منذ عهد الخليفة عمر ــ رضي الله عنه ــ وكان أخوه تمام بن العباس والياً على المدينة المنورة، فكأنهما الواليان على منطقة الحجاز بكاملها، وكان أخوهما عبيد الله بن عباس هو الوالي على اليمن بكافة مخاليفها وولاياتها السابقة، يساعده ولاة للمناطق والمخاليف، وكان مقيماً في صنعاء قاعدة اليمن، واستدعى عبد الله بن عبد المدان الحارثي من نجران، فجعله نائباً له في صنعاء يصرف شئون اليمن خلال فترة عدم وجوده بها[2]، فلما قدم

---

[1] شفاء الغرام، ٢/١٦٦ ، والبداية والنهاية، ٧/٣٣٩، ٣٤٧، والطبري، ٥/٩٢

[2] بعض المراجع تذكر أن والي اليمن من قبل علي بن أبي طالب، هو عبدالله بن عباس، وليس ذلك صواباً، فإن عبدالله بن عباس كان واليه على البصرة وظل مرافقاً له منذ أن خرج من المدينة إلى الكوفة حتى عام ٤٠ هـ حين حين وقع بينه أبي الأسود الدؤلي خلاف، وكان أبو الأسود الدؤلي قاضي البصرة، فترك ابن عباس البصرة مغاضباً له، ولعلي أيضاً، وأخذ شيئاً مما كان قد جمعه من بيت المال من العمالة والفيء، وذهب إلى مكة وتبعه قوم من أخواله من بني هلال، ومن قيس وبني غنم، فهذا كله يدل على أن عبد الله بن عباس لم يذهب إلى اليمن والياً، والبعض خلط بين: عبيد الله وعبد الله ، لتشابه الاسم .

انظر: البداية والنهاية، ٧/٣١٩، ٣٣٩، ٣٤٧، ٣٥٢، ٨/٩٧، والأخبار الطوال للدينوري، ص١٤١، ١٥٢، والجمهرة ص١٨، والطبري، ٥/١٤٠، وكتاب أنساب الأشراف للبلاذري ١/٤٥٣–٤٥٥.

بسر بن أبي أرطأة[1] من قبل معاوية واستولى في طريقه على المدينة المنورة ثم مكة المكرمة وانطلق إلى اليمن ليخضعها هي أيضاً لمعاوية، قتل ابن عبد المدان هذا وابنه مالك بن عبد الله بن عبد المدان، كما قتل طفلين صغيرين لعبيد الله بن عباس، هما: عبدالرحمن وقثم ابنا عبيد الله بن عباس، ولما علم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بما فعله بسر بن أبي أرطأة، بعث إليه كلا من جارية بن قدامة السعدي ووهب بن مسعود الثقفي، ففر من أمامهما بسر، فقاما بإعادة الأمن لتلك المناطق، وأعادا ولاءها إلى الإمام علي بن أبي طالب ـــ رضي الله عنه ـــ.

ومن الملاحظ أنه كان يوجد بمنطقة نجران في ذلك الوقت بعض المشايعين لعثمان ـــ رضي الله عنه ـ اضطهدهم ابن قدامة، وكان باليمن مشايعون لعلي بن أبي طالب اضطهدهم بسر بن أبي أرطأة، عند حلول كل واحد منهما إلى المنطقة[2].

كما لوحظ أن أبناء العباس: عبد الله وعبيد الله وقثم، كانوا يحضرون مواسم الحج إما جميعهم أو أحدهم ليقود الحجيج في عهد الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ فيما عدا موسم عام ٣٩هـ حضره مندوب عن معاوية، ووقع تشاحن بينهم، فتصالحوا على أن يقودهم عثمان بن طلحة

[1] بسر بن أبي أرطأة من عامر بن لؤي، أحد قواد معاوية، ومن أكابر أصحابه، الجمهرة ص١٧٠، والطبري ١٣٩/٥.

[2] البداية والنهاية، ٣٥٢/٧، وأنساب الأشراف للبلاذري ٤٥٥/١-٤٥٨

الشيبي الحجبي ـ حاجب الكعبة ـ مخافة أن يحدث في حرم الله الآمن ما يروع الآمنين[1]، وهذا يدل على مدى حرصهم في ذلك الوقت على أمن وحرمة البقاع المقدسة.

وكان عامل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على اليمامة والبحرين (الأحساء) عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، أخو سلمة ابنا أم المؤمنين أم سلمة[2] ومنه نلحظ أن اليمامة والبحرين (الأحساء) تضمهما ولاية واحدة وأمير واحد معظم عهد الخلفاء الراشدين ـ رضي الله عنهم ـ

---

(1) البداية والنهاية، ٨/٩٧، ٩٨، ومجموعة الوثائق السياسية ص٣٩٩، والطبري، ٥/١٣٦، والبلاذري، ص٤٦١ .

(2) الجمهرة ص١٤٤-١٤٦

## عهد بني أمية :

قدم معاوية بن أبي سفيان إلى الشام في بداية الفتوحات، حين أمّره أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ على أحد الألوية وعمل مساعداً لأخيه يزيد بولاية دمشق وما حولها، وناب عنه في ولايتها، ولما توفي يزيد ثبّتهُ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مكان أخيه يزيد، وظل والياً على الشام وما يتبعها طوال عهد الخليفة عثمان ـ رضي الله عنه ـ فلما استشهد عثمان كان معاوية يعتبر أقوى أمير أموي تجتمع حوله قوة هائلة، لذا تزعم المطالبة بدم عثمان ـ رضي الله عنه ـ ثم طمح إلى ما وراءها، وسلم عليه الناس في الشام بالإمارة عقب قضية التحكيم في ١٧ رمضان ٣٧هـ واستقر له الأمر دون منازع بعد أن تصالح مع الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ حرصاً على دماء المسلمين، وذلك عام ٤٠هـ، وقيل ٤١هـ[1] ولذا سمي ذلك العام بعام الجماعة، وعقب ذلك قام معاوية بتولية الولاة على الولايات التي لم تكن خاضعة له من قبل، ومنها الحجاز واليمامة والبحرين (الأحساء) واليمن وبعض الولايات الأخرى بالعراق وفارس.

---

[1] البداية والنهاية، ٨/١٦-٢٤، والطبري، ٥/١٥٨-١٦١، ١٦٤، ٣٢٤، ومرآة جزيرة العرب، لأيوب صبري باشا، ترجمة د. أحمد متولي، ود.صفصافي، ١/٦٧ .

أورد الفاسي[1] ولاة مكة في عهد معاوية، لكن الملاحظ أنه بدأت تجتمع عدة ولايات لوالٍ واحدٍ، حسب تواجدها بمنطقة إقليمية متشابهة كمنطقة الحجاز مثلاً.

ففي بداية أمره عين أخاه عتبة بن أبي سفيان على مكة والطائف وما يتبعها مثل نجران، وعين أحمد بن خالد بن العاص على المدينة، وقيل مروان بن الحكم، وبعد ذلك عزل أخاه الوليد وأضاف ولاية مكة والطائف إلى مروان بن الحكم، فأصبح بذلك والياً على الحجاز بكامله، ثم عزله عام ٤٩هـ وولى سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص نفس ولاية الحجاز بكاملها، وكان سعيد يقيم في المدينة وجعل ابنه عمرو نائباً عنه في مكة والطائف وما يتبعهما[2]، وجمعت أيضاً لعمرو بن سعيد بن العاص عام ٦٠هـ في عهد يزيد بن معاوية، وكان يطلق على عمرو بن سعيد: الأشدق لفصاحته وبلاغته[3] إلى أن انفصل بها عبد الله بن الزبير، عقب مقتل الحسين ــ رضي الله عنه ــ في ١٠ محرم ٦١هـ، وخلع طاعة يزيد عام ٦٢هـ وعقب موت يزيد في ١٤ من ربيع الأول ٦٤هـ[4] قوى أمر ابن الزبير بالحجاز وما حولها، وبايعه الناس ودانت له كثير من المناطق والبلدان وبدأ يولي عليها الولاة، فكان هو الحاكم المباشر لمكة والطائف وما

---

[1] شفاء الغرام، ٢/١٦٦، ١٦٧

[2] شفاء الغرام، ٢/١٦٧، والجمهرة، ص٨١ .

[3] البداية والنهاية، ٨/١٥٩-١٦١

[4] البداية والنهاية، ٨/٢٣٢، ٢٣٤

يتبعهما يساعده الحارث بن حاطب الجمحي، وولى على المدينة أخاه عبيد الله بن الزبير[1] وعلى اليمن أخوه خالد بن الزبير[2]، وعلى العراق أخوه مصعب بن الزبير واستقل باليمامة نجدة الحنفي، ووافق ابن الزبير[3] لكن ما لبث أن استقر الأمر في البيت الأموي على مروان بن الحكم، فقوّى شأنهم وتأكد ذلك بولاية ابنه عبدالملك بن مروان، الذي عمل على استعادة الولايات التي خرجت عن طاعتهم واحدة تلو الأخرى، وبعث الحجاج بن يوسف الثقفي فتغلب على ابن الزبير، في جمادى الأولى ٧٣هـ، وأخضع الحجاز واليمامة واليمن لطاعة بني أمية، ولذا فإن عبد الملك بن مروان ولاه عليها جميعاً[4] و لم يسبق لها أن اجتمعت لوالٍ قبله، وعين الحجاج ولاة من قِبَله على تلك المناطق كنواب عنه يديرونها، وهو المرجع لهم، كان منهم أخوه محمد بن يوسف الثقفي والياً على اليمن[5]

---

[1] البداية والنهاية، ٢٥٧/٨، ٢٥٨، وشفاء الغرام، ١٦٩/٢، ١٧٠

[2] الجمهرة، ص١٢٢

[3] كان نجدة الحنفي من الخوارج الحرورية واستقل باليمامة عن الدولة في عهد يزيد بن معاوية، واستولى على جرزه من نجران وزحف إلى اليمن، و لم يجد أهلها لهم طاقة على حربه، فصالحوه على مائة ألف دينار يدفعونها إليه، ويرجع عنهم، فوافق ورجع، و لم يتصادم مع ابن الزبير . انظر: مختصر أنباء اليمن لابن زبارة، ص٤٠، وبعدها دخلت اليمن وغيرها في طاعة ابن الزبير، فعين الولاة عليها.

[4] البداية والنهاية، ٣٥٧/٨، ٣/٩، ٤

[5] مختصر أنباء اليمن، لابن زبارة، ص٤١، والجمهرة ص٢٦٧، مات محمد بن يوسف في عهد أخيه الحجاج، وهو والٍ على العراق، ويوم أن جاءه نعيه كان ابنه محمد بن الحجاج قد توفي منذ ساعة فاسترجع الحجاج وقال: أحمد ، ومحمد في يوم ؟! وكان عبد الملك قد ولى على المدينة طارق بن عمرو مولى عثمان بن عفان عقب مقتل مصعب بن الزبير عام ٧٣ هـ ثم عزله عنها عام ٧٤ هـ وأضافها للحجاج خلال وجوده بالحجاز فجعل نائبه فيها عبد الله بن قيس بن مخرمة. الطبري ١٩٣/٦، ٢٠١

فلما انتقل إلى العراق عام ٧٥هـ والياً عليها عقب وفاة واليها بشر بن مروان، أصبح ولاة تلك المنطقة يراجعون مباشرة الخليفة عبد الملك بن مروان، وكان منهم: الحارث بن خالد بن العاص المخزومي، والي مكة والطائف وما يتبعهما، وقد سبق له أن تولاهما في عهد يزيد بن معاوية، كما كان على المدينة يحيى بن الحكم بن أبي العاص، عم الخليفة عبد الملك[1]، واستمر محمد بن يوسف الثقفي ـ أخو الحجاج ـ والياً على اليمن وأصبح مرجعه المباشر هو الخليفة، إلى أن توفي هذا الوالي عام ٩١هـ بعد ١٨ عاماً من ولايته لها[2] وتقلد ولاية مكة والطائف وما يتبعهما كثير من الولاة في عهد بني أمية، وبالأخص في عهد عبد الملك بن مروان، كما وليها في عهد ابنه الوليد بن عبد الملك، الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، وأضيفت له المدينة المنورة فكان يعتبر والياً على الحجاز بكامله، واستمرت ولايته من عام ٨٦هـ حتى عام ٩٣هـ وقيل عام ٩١هـ[3] وعندما قدم المدينة والياً جمع عشرة من فقهائها وقال لهم: ما أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم، فكونوا لي أعواناً على الحق ..[4] وعندما صار خليفة أمر خطباء المساجد بجميع البلدان والأمصار عدم التعرض

---

[1] شفاء الغرام، ٢/١٧٠، والطبري، ٦/٢٠٢، والجمهرة ص٨٧

[2] مختصر أنباء اليمن، لابن زبارة ص٤١، والطبري ٦/٤٩٨

[3] شفاء الغرام، ٢/١١٧٢، والطبري، ٦/٤٢٦، ٤٦٤، ٤٨١

[4] الطبري، ٦/٤٢٧، والبداية والنهاية ٩/٧٨

لسب أحد من الصحابة من فوق المنابر، واستبدال ذلك في آخر الخطبة الثانية، بقوله تعالى ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان ..﴾ الآية[1]

كما تولى ولاية مكة والطائف أكثر من مرة خالد بن عبد الله القسري البجلي، وكان يشابه الحجاج بن يوسف الثقفي، في شدته وسطوته، قبض على بعض التابعين والفقهاء الذين فروا من بطش الحجاج، كعطاء بن أبي رباح وسعيد بن جبير ومجاهد وابن حبيب وابن دينار وأعادهم إلى الحجاج بالعراق، فقتل سعيد بن جبير ومات ابن حبيب في الطريق[2] ومن محاسن ابن القسري النادرة أنه أول من فكر في إدارة الصفوف في الصلاة حول الكعبة، بغرض استيعاب أكبر قدر من المصلين خلف الإمام الواحد، واستشار الفقهاء في ذلك فأجازوه[3].

ونلحظ أن بعض الولاة جمعت له الولايات الثلاث: مكة والمدينة والطائف، بما يتبعهم كنجران مثل: عمر بن عبد العزيز كوال لها في عهد الوليد بن عبد الملك وعبد الرحمن بن الضحاك القرشي عام ١٠٣هـ ثم الذي خلفه في ولايتها وهو عبد الواحد بن عبد الله النصري الثقفي وكان عبدالواحد قد وليَ الطائف فقط عام ١٠٣هـ عقب عزل عبد العزيز بن عبد الله بن أسيد، ثم ضمت إليه الولايات الثلاث عام ١٠٤هـ وأيضاً

---

[1] سورة النحل آية، ٩٠

[2] الطبري، ٤٨٨/٦، ٤٨٩

[3] شفاء الغرام، ١٧٠/٢-١٧٢

إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي ـ خال هشام بن عبد الملك ـ الذي وليها من عام ١٠٦هـ حتى عام ١١٤هـ، ثم أخوه محمد بن هشام الذي تسلمها منه واستمرت ولايته على مكة والطائف حتى عام ١٢٥هـ، ويوسف بن محمد بن يوسف الثقفي ـ ابن أخي الحجاج بن يوسف، وخال الخليفة الوليد بن يزيد ـ حيث تولاها عام ١٢٦هـ، وفي الوقت نفسه كان أخوه مروان بن محمد بن يوسف الثقفي والياً على اليمن، وجمعت أيضاً لعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان عام ١٢٩هـ[1].

وكثيراً ما كانت تنفرد كل ولاية بوال واحد مستقل، يتلقى تعليماته مباشرة من الخليفة فكان من هؤلاء هشام بن أبي سفيان بن معتب الثقفي، الذي ولي أمر الطائف وما يتبعها، دون ولاية مكة وذلك في عهد يزيد بن الوليد[2].

ونلحظ من سياسة معاوية حرصه على اختيار الولاة من ذوي الحزم والحكمة في الاطلاع بشئون الرعية، مع ميله إلى إسناد تلك المناصب إلى رجالات بني أمية، أو من يلوذون في فلكهم، فإذا رغب في أن يولي أحداً من بني أمية ولم يسبق له أن تقلد منصب ولاية ولاة ولاية محدودة تتسم بالهدوء والاستقرار، مثل ولاية الطائف التي لا تردها وفود، أو يطرق

---

[1] انظر فيما سبق: شفاء الغرام ٢/١٧٢-١٧٤، والطبري ٦/٤٤٧، ٦٢٠، ٧/١٤، ٢٠، ٢٩، ٩١، ٢٢٦، والجمهرة ص١٤٨، ٢٦٧، ٢٧٠.

[2] الجمهرة ص ٢٦٨.

أرضها إلا عابر، فإن رأى منه خيراً وأعجب بحسن سيرته وإدارته أضاف إليه ولاية أخرى، مثل ولاية مكة أو نقله إلى ولاية تستحق رعاية وسهر دائم، لكثرة ما فيها من اضطراب، كالبصرة والكوفة[1] وهذا ما فعله مع أخيه عتبة بن أبي سفيان، ففي بداية تقلسده المناصب ولاه ولاية الطائف وحدها، وبعد عدة أشهر أضاف إليه ولاية مكة، بعد أن لمس فيه حسن الإدارة، وتصريف شئون الولاية، وكذلك مع مروان بن الحكم، فقد ولاه المدينة أولاً ثم أضاف إليه مكة والطائف، بعد عزل عتبة لمرضه، وهذا في حدّ ذاته يعطينا مؤشراً على مدى اهتمام الخلفاء بتلك الولايات الثلاث وتوابعها، وإسنادهم إياها إلى ذوي الكفاءة والمقدرة، ومما يؤكد ذلك أن عمر بن الخطاب عندما قدم من المدينة إلى مكة عام ٢٣هـ لأداء فريضة الحج، وكان والي مكة من قِبَله نافع الخزاعي، فخرج هو وبعض أعيان مكة لمقابلة عمر ومن معه خارج مكة على مسيرة يوم منها .. فلما سلم على عمر سأله عمر: على من أناب على مكة قبل خروجه، فقال الخزاعي: عبد الرحمن بن أبزي ـ مولاه ـ فغضب عمر، واستنكر منه أن يولي مولاه على أهل بيت الله، فقال: إنه قارئ للقرآن، وعالم بالفرائض وحافظ للحديث، فسكن غيظ عمر[2] ونلحظ أن عمر بن عبد العزيز عندما ولي خليفة عام ٩٩هـ عقب وفاة سليمان بن عبد الملك، اختار ولاته من ذوي الورع والعلم وحسن الإدارة في سياسة الرعية، فأبقى على

---

[1] الطبري، ٢٩٦/٥

[2] شفاء الغرام، ١٦٤/٢

عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد، والي مكة والطائف في عهد سليمان بن عبد الملك، وكان لعمر مشورة من قبل في تعيينه والياً على مكة من قِبَل سليمان، كما عين على المدينة أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، وهو من فقهاء المدينة المشهورين، بينما عزل يزيد بن المهلب بن أبي صفرة عن ولاية العراق وخراسان لأن في سيفه رهقاً، بالرغم من خبرة يزيد في التصدي للخوارج[1] ويأتي يزيد بن عبد الملك فيفصل ولاية الطائف وما يتبعها عن ولاية مكة، ويولي عليها عبد الواحد ابن عبد الله النصري من ثقيف، ويولي مكة والمدينة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري، وذلك عام ١٠٣هـ[2] لكنها لم تلبث أن انضمت تلك الولايات الثلاث تحت والٍ واحدٍ في عهد هشام بن عبد الملك وإلى نهاية عهد بني أمية في معظم الأحوال.

وفي إطار تداعيات الخروج على الدولة لأسباب مختلفة ونوازع متباينة قد لا تمت إلى المشروعية بأية صلة، وإنما هيئت بدواعي واهية تعاظمت شيئاً فشيئاً حتى استحوذت على أفكار الذين سوّلت لهم أنفسهم هذا الخروج وحسنته في أذهانهم، متغافلين عن نتائجه الوخيمة، شرعاً وعقلاً وما يسببه ذلك من تفريق جماعة المسلمين التي حث الله على الالتزام بها.

---

[1] البداية والنهاية، ٩/٢٠٧، والطبري ٦/٥٥٧، ٥٥٨.

[2] شفاء الغرام، ٢/١٧٤، والطبري، ٦/٦٢٠.

خرج بأرض حضرموت أحد هؤلاء الخوارج وهو: عبد الله بن يحيى بن عمرو الكندي، المعروف بطالب الحق، وكان أبو حمزة الخارجي واسمه: المختار بن عوف الأزدي السليمي من أهل البصرة ـ أي من بطون الأزد الذين انتقلوا واستوطنوا البصرة ـ كان يوافي مكة في كل موسم يدعو الناس سراً إلى مخالفة مروان بن محمد، آخر خلفاء بني أمية، ويحثهم على نزع طاعته، والخروج عليه بل والخروج على أي خليفة، أو حاكم من بني أمية، فلما كان موسم عام ١٢٨هـ سمعه أحد أنصار طالب الحق فانفرد به وقال له: يا رجل أسمع منك كلاماً حسناً، وأراك تدعو إلى الحق، فانطلق معي، فإني أراك مطاعاً في قومي، وسوف يتبعونك، وحمله معه إلى حضرموت، وهناك التقى بطالب الحق، فبايعه أبو حمزة الخارجي على أن يكون خليفة، وسمي عندئذ: طالب الحق، وأصبح أبو حمزة داعية له وقائداً لجيشه، وكان أبو حمزة خطيباً بليغاً مؤثراً، وانضم إليهم ثالث كانت له هيبة هو: أبرهة الصباح[1] فتبعهم كثير من عامة الناس، فاستولوا على حضرموت وظفار وصنعاء وغيرها من مخاليف اليمن، وطردوا والي اليمن من قبل الخليفة مروان بن محمد، وهو: القاسم بن عمرو بن الحكم بن عقيل الثقفي[2] وذلك عام ١٢٩هـ.

---

[1] هو الحفيد الأدنى لأبرهة بن الصباح بن هيعة بن شيبة من معد يكرب الحميري، كان لأبرهة بن الصباح هذا ولدان، أحدهما: عمر بن أبرهة أحد الذين أجلبوا الناس على عثمان ـ رضي الله عنه ـ وثانيهما: حريث بن أبرهة كان من أشد الطالبين بدم عثمان فكانا على نقيض، الجمهرة، ص٤٣٥

[2] هو ابن ابن عم الحجاج بن يوسف الثقفي، الجمهرة، ص٢٦٧، ٢٦٨

ثم تطلعت أنظار الخارجين إلى البقاع المقدسة، لإثبات جدارتهم بالخلافة في أعين أنصارهم، ورغبة في اقتطاع مساحة أكبر من أرض الخلافة وفصله عنها، فأقبل أبو حمزة الخارجي على رأس جيش[1] قبيل موسم عام ١٢٩هـ، وظهر هو ومن معه على الناس في عرفات يحملون أعلاماً سوداء، على رؤوس الرماح، وفزع منهم الحجيج حين رأوهم بعرفة، وذهب لهم البعض يسألهم ما خبرهم وحالهم؟! فأخبروهم بخلافهم لمروان بن محمد، وآل مروان وبني أمية عامة، والتبرؤ منهم وخلع طاعتهم فراسلهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك والي مكة والمدينة والطائف، وصالحهم على عدم إحداث شغب في الموسم، وعقد معهم أماناً إلى انتهاء الأشهر الحرم، فوافقوه على الهدنة إلى نهاية الموسم، ووقفوا بعرفات على حدة، ودفع بالناس الوالي عبد الواحد بن سليمان من عرفات إلى المزدلفة ثم منى، فلما كان بمنى قال له بعض الناس: لقد أخطأت حين أعطيتهم الأمان، فلو حملت عليهم وحمل معك الحجاج لتشتت جموعهم، فتعلل بأنه لا يريد إحداث شغب في الحرم الآمن، ثم تعجل في طواف الإفاضة، وترك مكة وذهب إلى المدينة، فدخل أبو حمزة الخارجي مكة، واستولى على دار الإمارة، دون مقاومة، وزحف نحو المدينة فوصلها في ١٩ صفر سنة ١٣٠هـ، وكان الوالي قد أعد جيشاً للمقاومة، وجعل عليه عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، ووقعت بينهم وبين أبي حمزة وقعة بقُدَيد خارج المدينة، قتل فيها كثير من أهل المدينة، ثم دخلها الخارجي

---

[1] قيل كان جيشه ٧٠٠ رجل، وقيل عشرة آلاف، والصواب الأول لأن مؤشر الوقائع يؤيد ذلك

وأقام بها ثلاثة أشهر، وأراد الذهاب، إلى الشام، فبلغه أن هناك جيشاً بعثه الخليفة في طريقه إلى المدينة، يقوده عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي من هوازن، وقد ولاه الخليفة مروان ولاية كل من مكة والمدينة والطائف واليمن، بالإضافة إلى محاربة الخارجين، فعجل أبو حمزة الخروج من المدينة إلى وادي القرى، فالتقيا بالقرب من وادي القرى، فهزمه ابن عطية، وقتل أبو حمزة ومعظم أصحابه، ولم ينج منهم إلا من فر في جنح الظلام، ثم ولّى ابن عطية على المدينة ابن أخيه: الوليد بن عروة بن محمد بن عطية، ومضى هو يقود الجيش إلى مكة، فلم يجد بها أحداً من الخوارج، فاستخلف عليها وعلى الطائف وما يتبعها أحد رجاله يقال له ابن ماعز، ثم انطلق إلى اليمن، وبلغ ابن يحيى طالب الحق مسير ابن عطية إليه، فاستعد له وحشد جموعه على مشارف صنعاء، ولما تلاقيا قتله ابن عطية[1] وفرق جموعه، ودخل صنعاء وأعاد الأمن والاستقرار في ربوع اليمن وأعاد ترتيب شئونها.

وكان موسم الحج عام ١٣٠هـ قد قرب موعده، فكتب إليه الخليفة مروان بن محمد يستعجله أن يقبل إلى مكة ليتولى موسم الحج بالناس.

---

[1] في تاريخ اليمن للواسعي ص١٥٩ ما يفيد بأنه لم يقتل، وأنه ظهر مرة أخرى عام ١٤٧ هـ فتغلب عليه والي اليمن معن بن زائدة الشيباني وقتله، وفي الطبري ٦٤/٨ أن أبا جعفر المنصور ولى معن بن زائدة الشيباني ولاية اليمن لأنه بلغه أن واليها يهم بمخالفته ومعصيته والخروج على طاعته، فانطلق معن وقضى على الفتنة التي كانت قد قامت بالفعل باليمن، وقتل رؤوس المتمردين ولم يذكر من بينهم يحيى الخارجي المعروف بطالب الحق.

فترك جيشه وقواده جميعاً باليمن، وأقبل مسرعاً ومعه اثنا عشر رجلاً من خاصته، فلما نزلوا أرض قبيلة مراد بتهامة اليمن، جلسوا يستريحون بأحد الأودية، فظنهم بعض رجال قبيلة مراد أنهم لصوص، فهجموا عليهم وقتلوهم، وقتلوا ابن عطية، واستولوا على أمتعتهم وأموالهم، وكان ابن عطية قد حمل معه أربعين ألف دينار لمصاريف موسم الحج، فاستولوا عليها، ولم يفلت منهم إلا رجل واحد، قال لهم إنني من همدان، ويدعى: أبا الزبير بن عبد الرحمن، فعاد إلى صعدة فأخبر من بها بما حدث لهم، ثم انطلق ومعه جماعة إلى مكة فأخبر من بها بما حدث لهم. فتولى الحج بالناس محمد بن عبد الملك بن مروان، وكان قدم للموسم بغرض الحج، ولما انتهى الموسم عينه الخليفة والياً على مكة والمدينة والطائف، وعين على اليمن عروة بن محمد بن عطية السعدي، أخو عبد الملك القائد والوالي السابق المقتول، وأقر محمد بن عبد الملك: الوليد بن عروة هذا على ولاية المدينة كنائب له، فذهب الوليد يقود جموعاً وأنزل بقبيلة مراد عقوبة شديدة، نتيجة لقتلهم عمه عبد الملك[1] .

أطلنا في إيراد تفاصيل هذه الواقعة[2] للتأكيد على أن الخروج على الدولة في أي ثوب يرتديه الخارج، كان يعد بمثابة عصيان مدني لأوامر

---

[1] انظر فيما سبق: الطبري ٣٤٨/٧، ٣٧٤، ٣٩٣-٤١١ بتصرف، والبداية والنهاية ١٠/٤٠-٤٤، وشفاء الغرام ١٢٥/٢، ١٧٥، ١٧٦، والجمهرة ص٢٦٥، ومختصر أنباء اليمن، لابن زبارة، ص٤٤، ٤٥.

[2] الواقع أننا أوجزناها، فالمصادر السابقة عرضتها بتفاصيل كثيرة، وشغلت حيزاً منها أكثر، ومع إيجازنا وتصرفنا كانت في ظننا بها إطالة لم نعود القارئ عليها، والداعي للملك هو التأكيد على النتيجة التي توصلنا إليها .

الدولة، أو مخالفة لحاكم بعينه، ينتهي أثره بمجرد القضاء عليه وإزالة أسبابه وعودة الطاعة والولاء، وأمثلة هذا كثيرة في عهد الأمويين والعباسيين، وبخاصة في الأقاليم الشرقية للدولة: خراسان وما وراءها شرقاً، وسواحل أفريقيا وامتداده غرباً، وقائع وأحداث كثيرة يصعب على الباحث تتبعها وحصرها، وبحث الغرض من ورائها، وهي في مجملها من أمثال تلك التي قام بها أبو حمزة الخارجي، مما لا يترتب عليه أي أثر سياسي، فضلاً عن التبعية الإقليمية، بدليل أن الوليد بن عروة والي المدينة هو الذي تولى إنزال العقوبة بأفراد قبيلة مراد، الذين قتلوا عمه ومن معه .. فاستطالت يده بالسطوة وإنزال العقوبة إلى هنالك .. إما بتفويض من والده عروة والي اليمن، أو من الخليفة مروان، أو من والي مكة والمدينة والطائف محمد بن عبد الملك بن مروان، الذي أبقى عليه نائباً له في المدينة .. وعهد إليه بأن يحج بالناس موسم ١٣١هـ وفي هذا دليل على امتداد نفوذ مكة إلى ما وراء منطقة الدراسة.

وعلى كل فإن منطقة الحجاز، بل شبه الجزيرة العربية عامة، كانت تعتبر من أهدأ الأقاليم وأكثرها استقراراً وأمناً خلال عهد الأمويين بالقياس إلى غيرها من الأقاليم والأمصار الأخرى، وكان يخضع لها إدارياً الكثير من المناطق والأقاليم ومنها اليمن نفسه، في بعض الأحيان إبان العهد الأموي، فضلاً عن العهد النبوي، وعهد الخلفاء الراشدين، كما سبق أن أوضحنا ذلك .. وليس في هذا منقصة لتلك الأقاليم والأمصار، بل إنها الفترة التاريخية التي يعتز بها المسلمون، لوحدتهم وجمع صفوفهم في ظل الإسلام.

## عهد العباسيين :

نجح العباسيون[1] في إقامة دولتهم على أنقاض دولة الأمويين عام ١٣٢هـ[2] مستغلين النزاع والشقاق الذي وقع في البيت الأموي، والصراع بين الأمويين والعلويين[3]، وتردي حالة الدولة بصفة عامة[4].

---

[1] ينسبون إلى العباس بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ وكان للعباس تسعة أبناء، منهم حبر الأمة عبد الله بن العباس، وهؤلاء من ذريته خاصة، وكان يطلق عليهم وقت القيام بالدعوة لهم: آل محمد نسبة إلى أبيهم محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس، ومن المفارقات أن العباس كان قد تطلعت نفسه إلى أن يظل الأمر في بني هاشم، عند مرض رسول الله ﷺ وطلب من علي بن أبي طالب أن يسأل الرسول ﷺ إياها ، فرفض وقال: والله لو منعنا إياها لا يعطينها الناس أبداً، كما تروي ذلك كتب التاريخ المنصفة، ولم تطمح نفس عبد الله بن العباس إلى الخلافة مطلقاً مثل عبد الله بن عمر بن الخطاب، الذي اعتزل الفتنة تماماً حتى توفي، وقام عبد الله بن العباس بدور الناصح الأمين للإمام علي بن أبي طالب، لعدم ترك المدينة والذهاب إلى الكوفة، كما لم يوافق ابن الزبير فيما قام به، لأن فيه تفريقاً للجماعة، وتعلق بثوب الحسين لإثناء عزمه عن المسير إلى العراق، قبيل كربلاء عام ٦١ هـ بينما الطالبيون -نسبة إلى أبي طالب بن عبد المطلب، أخي العباس- لم ينجحوا في إقامة مثل تلك الدولة، بالرغم من كثرة مطالباتهم وخروجهم وسعيهم، هم وأشياعهم .. وهذا مما يحدو بالمرء الذي يعمل بفكره وعقله بعيداً عن العاطفة، أن يوقن بأن لله سبحانه وتعالى حكمة في ذلك، وأنه سبحانه ﴿يؤتي الملك من يشاء﴾ يؤتيه ويهبه لمن يشاؤه هو سبحانه، لا من يشاء ويسعى إليه من عباده، فليت الساعين في كل عصر يدركون ذلك !..

[2] بويع أبو العباس بالخلافة ليلة الجمعة ١٣ ربيع الآخر سنة ١٣٢ هـ وقيل في ربيع الأول، الطبري، ٧/ ٤٢٠

[3] العلويون نسبة إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن أتباع ذريته نشأت الشيعة، وهي فرق عديدة .

[4] انظر: أثر العرب السياسي في العصر العباسي الأول، للدكتور علي عبد الرحمن العمرو، ص٧٩-١٠٤.

كان أول الخلفاء العباسيين أبا العباس السفاح[1] وساعده في توطيد الحكم إخوته[2] وأعمامه[3] ودعاته وقواده[4] فبادر بإرسال الجيوش للاستيلاء على الأقاليم والأمصار ومطاردة بني أمية، واختيار الولاة من ذوي الحنكة والسطوة لإحكام السيطرة على الولايات ودعم الاستقرار فيها.

فاستدعى عمه داود بن علي، الذي كان قد هيمن على الكوفة، وصار والياً عليها، منذ إعلان البيعة والخلافة في ربيع الآخر ١٣٢هـ، وانتدبه بعد شهرين تقريباً، ليكون والياً عاماً على معظم شبه الجزيرة العربية، ومسئولاً عن استقرار الأمن والأوضاع فيها، ومطاردة فلول بني أمية، فكان هو الوالي لكل من مكة والمدينة والطائف واليمامة والبحرين واليمن[5]، واتخذ مكة المكرمة مقراً له، وعين ولاة من قبله على تلك البلدان والمناطق كان منهم عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أول والٍ على اليمن في عهد الدولة العباسية من قبل داود بن

---

[1] هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وسمي السفاح لكثرة ما أريق وسفح من دماء في عهده .

[2] كان له خمسة إخوة: إبراهيم الإمام، وكان هو أكبر الإخوة، وكانت الدعوة له إلى أن توفي قبل أن يؤول الأمر لهم، فعهد إلى أخيه أبي العباس، ثم إلى أبي جعفر المنصور. وبقية الأخوة: العباس، وموسى ويحيى ولكل منهم أولاد أسهموا في توطيد الحكم.

[3] كان له سبعة أعمام: سليمان وداود وعبد الله وصالح وعيسى وعبد الصمد وإسماعيل ولكل منهم أولاد كان لهم جميعاً دور بالغ الأهمية في الاستيلاء على المناطق، واستقرار الوضع .

[4] كان من أشهر دعاته وقواده: أبو مسلم الخراساني، أمين آل محمد وعلي أبي سلمة، وزير آل محمد . انظر أثر الفرس السياسي في العصر العباسي، الدكتور علي العمرو ص١٠٥–١٢٠

[5] الطبري، ٤٥٨/٧، والبداية والنهاية، ٦٤/١٠، ٦٦ .

علي، وكان هو الذي أخذ البيعة من أهل مكة لأبي العباس، ولذا اعتبره البعض أنه ولي مكة للسفاح[1]، المهم أن داود بن علي كان هو المرجع المباشر لهم دون الخليفة، وهو الذي حج بالناس موسم عام ١٣٢هـ ثم توفي في شهر ربيع الأول سنة ١٣٣هـ، أي بعد أقل من عام من ولايته، لكنه استطاع أن يثبت دعائم الدولة في تلك المناطق، ويقضي على فلول الأمويين الذين يخشى منهم، وكان داود عندما أحس باشتداد مرضه وقرب وفاته، ولّى ابنه موسى بن داود على عمله، لكن أبا العباس السفاح، بعد أن بلغه وفاة عمه داود رأى، أن موسى ليس كفئاً لهذا المنصب، ومسئولياته الكبيرة، فأسنده إلى خاله زياد بن عبيد الله بن المدان الحارثي[2] واقتطع منه اليمن فولاها لابن خاله محمد بن يزيد بن عبيد الله الحارثي، كما اقتطع البحرين فولاها إبراهيم بن حسان السلمي، واتخذ زياد الحارثي المدينة مقراً له، وجعل ابن أخيه علي بن الربيع الحارثي نائباً له على مكة والطائف وما يتبعهما. ولما توفي محمد بن يزيد الحارثي والي اليمن، حل محله في ولاية اليمن علي بن الربيع عام ١٣٤ هـ، وترك نيابة مكة والطائف، فعين الخليفة عليهما العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس، بداية عام ١٣٥هـ، واقتصرت ولاية زياد بن عبيد الله على المدينة فقط، وعندما توفي العباس بن عبد الله والي مكة والطائف في نهاية موسم

---

[1] الجمهرة ص١٥٢، ومختصر أنباء اليمن ونبلائه لابن زبارة، ص٤٥

[2] عبد الله، أبو العباس السفاح أمه ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي من بني الحارث، أهل نجران، وهم أخواله ولهذا كان لهم شأن في صدر دولة بني العباس

عـام ١٣٧هـ، أعيدت ولايتهما إلى زياد بالإضافة إلى المدينة[1] فجعل عليهما نائباً عنه هو الهيثم بن معاوية العتكي الأزدي[2] واستمر الوضع هكذا حتى عام ١٤١هـ حينما عزل أبو جعفر المنصور زياد الحارثي، واستعمل مكانه الهيثم بن معاوية العتكي على مكة والطائف أي مستمراً عليها، وبذلك أصبح الهيثم والياً من قبل الخليفة، وليس نائباً لوالي الحجاز. وولي اليمامة السري بن عبد الله بن عبد المطلب، ثم فصل ولاية المدينة من الهيثم وولى عليها محمد بن خالد القسري، وفي عام١٤٣هـ انتقل السري من ولاية اليمامة وتولى مكة والطائف وما يتبعهما بعد عزل الهيثم ابن معاوية العتكي، وحل قثم بن عباس بن عبد الله بن العباس محل السري في ولاية اليمامة، واستمر السري حتى عام ١٤٦هـ حين عزله أبو جعفر المنصور وعين بدلاً منه عبد الصمد بن علي، عم أبي جعفر المنصور، وخلال ولاية السري خرج على المنصور: محمد بن عبد الله الحسني العلوي الملقب بالنفس الزكية، فخلع الطاعة عام ١٤٥هـ واستولى على المدينة، وبعث من استولى على مقر الحكم في مكة واليمن فسير إليه أبو جعفر المنصور عيسى بن موسى العباسي على رأس جيش، قتله وقتل كثيراً من أنصاره واستعاد منهم المدينة ومكة واليمن وما يتبعهم، وأعاد الأمن

---

(1) الطبري ٧/٤٨٥-٤٦٧، ٤٩٦، ٦٥٦، والبداية والنهاية، ١٠/٦٧، ٧٢، ٨٥
(2) الطبري، ٧/٥١١ .

فيهم وعاد لهم أمراؤهم السابقون، كالسري لكن الخليفة ما لبث أن عزل هؤلاء الولاة، وعين بدلاً منهم ولاة آخرين[1].

وهذا التعيين والنقل والعزل للولاة ليس خاصاً بمنطقتنا وحدها، بل كان يشمل كافة الولاة في الأقاليم والمناطق الأخرى، وهو يعطي دلالة على مدى اهتمام الدولة بالسيطرة على الأقاليم والمناطق، وحرصها على اختيار الولاة من ذوي الكفاءة وحسن الإدارة لمواجهة أي اتجاه مُخِلّ أو مفسد للأمن.

---

[1] شفاء الغرام ٢/١٧٦-١٧٨.

## محاكمة نجراني:

وخلال هذه الفترة وقعت حادثة تؤكد ما ذهبنا إليه من صعوبة تحديد الولايات في المناطقة وتبعية انتمائها الإقليمي والإداري وتلخص في الآتي:

أن بعض بطون بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة[1] كانت تمتد مواطنهم في بادية عسير (السراة) ملاصقة ومجاورة لأرض كل من جرم ونهد المقيمين بنجران غرباً، وذلك منذ ما قبل الإسلام، فقد سبق أن أشرنا إلى انه وقعت منازعة بين بعض بني جرم على ملكية أحد الأودية، ورفعوا خصومتهم إلى الرسول ﷺ، فحكم به الرسول إلى بني جرم فتراضوا وقبلوا بحكمه عليه السلام[2] .

ونظراً لتقارب موطن كل من بني عقيل وبني الحارث بن كعب من أهل نجران، فقد كانت كثيراً ما تنعقد بين رجالاتهم وزعمائهم نوع من الألفة والمودة، وأحياناً تقع بينهم منافسة ومنازعة، تؤدي إلى المشاحة والخصومة وربما إلى الاقتتال، شأن كثير من القبائل المتجاورة .

---

[1] بطون بني عقيل ، منهم بنو المنتفق، وبنو خويلد بن عوف، وبنو خفاجة، رهط توبة صاحب ليلى الأخيلية، وبنو عبادة رهط ليلى الأخيلية، وكانت بطون منهم قد رحلت من مواطنها قبل الإسلام، وخلال الفتوحات الإسلامية، فحلت محلها قبائل أخرى، الجمهرة ص٢٩٠-٢٩٢، وعجالة المبتدى للحازمي ص٩٣.

[2] انظر: الجمهرة، ص٤٥٠، ومعجم البلدان، ج٤، ص١٣٩.

كـان جعفـر بـن عُلْبَـة بـن ربيعـة الحـارثي فارسـاً وشـاعراً ومعـاصراً لكـل من الدولـة الأمويـة والعباسية، وكـان أبـوه شـاعراً أيضـاً، وادعـت بنـو عقيـل على جعفـر بـن علبـة أنـه قتـل منهـم رجـلاً واستعدوا عليـه وَالِي مكـة، ورفعـوا نفراً منهـم إليـه، فاسـتدعاه الـوالي إلى مقـر الإمـارة بمكـة ونصـب محاكمتـه فيهـا، فـأنكر جعفـر ان يكـون قتـل أحـداً مـن بـني عقيـل، فشـهد عليـه خمسـون رجلاً منهم، فحكـم عليـه بالقصـاص ونفـذ الحكـم بمكـة.

وردت عـدة روايـات في السـبب الـذي دعـا جعفـر إلى قتـل العقيلـي، وفي أي الأزمنـة حـدث هـذا؟. أورد ذلـك كلـه بإفاضـة (صـاحب الأغـاني) كعادتـه في إيـراد الأخبـار الـتي تتضمـن شـعراً أو نثراً جـزل العبـارة[1] فكـان ممـا أورده: أن هـذا وقـع في عهـد الخليفـة هشـام بـن عبـد الملـك، وأن والي مكـة والطـائف كـان هـو إبراهيـم بـن هشـام المخزومـي خـال هشـام بـن عبـد الملـك، وأن الـوالي اسـتدعى الحـارثيين الأربعـة ومنهـم جعفـر وأجـرى محـاكمتهم، فـأدين جعفـر فنُفِّـذ فيـه القصـاص .. وهـذه الروايـة بعيـدة عـن الصـواب زمنيـاً لأن ولايـة إبراهيـم المخزومـي لمكـة والطـائف كـانت مـن عـام ١٠٦هـ حتـى عـام ١١٣هـ تقريبـاً، والمصـادر تفيـد بـأن جعفـر أدرك الدولـة العباسـية، وبعضهـا ينـص صراحـة علـى أن هـذا الحـادث وقـع في صـدر الدولـة العباسـية، لـذا نجـد (صـاحب الأغـاني) يـأتي بروايتـين تؤكـدان أن الحـادث وقـع في عهـد الخليفـة أبـي جعفـر المنصـور، وأن والي مكـة هـو: السَّـرِيّ بـن عبـد الله بـن

---

[1] الأغاني، لأبي فرج الأصفهاني، ١١/١٤١-١٤٦، وديوان الحماسة لأبي تمام بشرح التبريزي، ١/٩، والمحبرة ص٤١٧.

الحارث بن عبد المطلب الهاشمي، الذي ولي مكة والطائف من عام ١٤٣ حتى عام ١٤٦هـ[1]، فبعث السري من الشُرَط من يأتي بجعفر والمتهمين معه فإن لم يتمكن منه فليأت بأبيه علبة. وبالفعل لم يجدوا جعفراً فأتوا بأبيه فحبسه لديه بمكة حتى يحث أهله وعشيرته على الإتيان بجعفر والمتهمين الثلاثة الذين كانوا معه، فأتوا بهم جميعاً، فأجْرَى لهم محاكمة في مكة مقر الإمارة، وأدين جعفر .. والرواية الثانية بها إضافة مفيدة هي أن السري كان متزوجاً من أخت جعفر، وأنه حاول درء القصاص عن جعفر بشبهة أنه اشترك معه ثلاثة، ولا يدري من أيهم وقع الفعل، وأنه حاول أن يراعي خؤولة أبي العباس السفاح في بني الحارث عشيرة جعفر، غير أن بني عقيل عندما أحسوا بنوايا واتجاه الوالي نفروا وتوعدوه بالخروج إلى الخليفة أبي جعفر المنصور، والتظلم إليه إن هو تدخل في القضاء لصالح جعفر. فخاف وعدل عما كان ينوي الإقدام عليه .. فأجريت المحاكمة بعد قسامة شهد على جعفر فيها خمسون رجلاً من بني عقيل أنه هو القاتل، ونفذ حكم القصاص فيه بعد انقضاء موسم الحج الذي توافق أن بنتاً ليحيى بن زياد الحارثي حضرت إلى مكة للحج في ذلك الموسم، وبقيت بمكة حتى نفذ الحكم في جعفر فبكته هي ومن معها من جواريها، وأحضرت له كفناً

---

(1) عزله أبو جعفر بعد القضاء على فتنة محمد بن عبد الله بن الحسن العلوي، الذي خرج بالمدينة عام ١٤٥ هـ واستولى أتباعه على السلطة في مكة واليمن. ثم ما لبث أن تغلب عليهم جيش أبي جعفر واسترد السلطة من أيديهم، وترتب على ذلك عزل الولاة القدامى، وتعيين ولاة جدد على تلك المناطق، فعين على مكة والطائف عمه عبد الصمد بن علي، وعلى المدينة جعفر بن سليمان بن علي ابن عمه .

كُفّن فيه وعاد من حضر من بني الحارث إلى نجران، فقام نساؤهم يبكينه بنجران، وقيل شعر كثير في هذا الحادث أورده صاحب الأغاني .

وعموماً فهذه الواقعة تؤكد ما ذهبنا إليه من استمرارية خضوع نجران وارتباطها إدارياً بولاية الطائف منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكلاهما كانا يخضعان في معظم الأحيان لوالي مكة، فقد كان يُعد بمثابة الوالي العام للمنطقة، وبخاصة إذا أضيفت إليه ولاية المدينة، وإبان وقوع هذه الحادثة كان السري والياً على مكة والطائف وما يتبعهما، ومن المؤكد أنه كان له نواب ومساعدون في كل من الطائف ونجران وغيرهما من البلدان والبوادي بتهامة وعسير وعلى القبائل والعشائر، فهو تنظيم إداري معمول به منذ عهد الرسول ﷺ وقد وقعت الحادثة في حيز ولايته، وفي داخل حدودها فرفع بنو عقيل الأمر إليه، لأنه من اختصاصه إدارياً وإقليمياً، ولو كان هناك مجرد شك في التبعية الإدارية وأنها لجهة أخرى لفزع إليها بنو عقيل، خاصة وأنهم يعلمون صلة المصاهرة للوالي مع خصمهم .. وكونهم لجأوا إليه مع علمهم بتلك المصاهرة يفيد بتأكيد تلك التبعية الإدارية، وأنه لا مناص لهم من رفع الأمر إليه، لذا أقيمت الدعوى، وأجريت المحاكمة ونفذ الحكم في مقر الولاية وهو مكة المكرمة .

## الشافعي والياً على نجران :

لقد درس الكثيرون منا آراء الإمام الشافعي الفقهية، واجتهاداته، وفتاويه، واستدلالاته وأصول أحكامه، وغير ذلك، لأنه صاحب أحد مذاهب أهل السنة الأربعة المتبعة. أما حياته الذاتية، والوظيفية فلم يهتم بها سوى القلة، وهاؤم جزء من تاريخ حياته.

ولد محمد بن إدريس الشافعي في غزة[1] وقيل: بغيرها، عام ١٥٠هـ، ومات أبوه وهو صغير، فحملته أمه[2] وهو ابن سنتين، عائدة به

---

[1] هو أبو عبد الله، محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع [فهو منسوب إلى جده شافع هذا، وهو الجد الثالث له] ابن السائب بن عبيد الله بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، فهو يجتمع مع النبي ﷺ، في النسب بعبد مناف، فهاشم الجد الأعلى للنبي ﷺ والمطلب الجد الأعلى للشافعي، هما أخوان من أبناء عبد مناف بن قصي، ويوم خيبر أعطى الرسول ﷺ، بني هاشم، وبني المطلب هذا من خمس خيبر، ولم يعط بني عبد شمس، ولا بني عبد مناف، فمشى إليه جبير بن مطعم، وعثمان بن عفان، فقالا: أعطيت بني المطلب وتركتنا، وإنما هم ونحن منك بمنزلة واحدة، فقال: إن بني هاشم وبني المطلب شيء واحد لم يفارقونا .. لقي جده شافع رسول الله ﷺ وكان السائب أبو شافع، مع المشركين يوم بدر، ولم يكن أسلم بعدُ، حمل راية بني هاشم، وأسره المسلمون يومها، ففدى نفسه ثم أسلم، فقيل له لِمَ لَمْ تسلم قبل أن تفدي نفسك؟ قال: ما كنت أحب أن أحرم المسلمين مطمعاً فيّ .. وهذا يدل على كرم نفسه، ورجاحة عقله. أنظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان ١٦٣/٤، وطبقات الشافعي، للسبكي، ص١٠٠، وحلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني، ٦٦/٩، ٦٧، والجمهرة ص ٧٢-٧٣، وغيرها

[2] أمه: قيل: أزدية، من الأزد، وقيل: أسدية، من ولد أسد بن عبد العزى بن قصي، رهط أم المؤمنين خديجة بنت خويلد الأسدي رضي الله عنها، وآل العوّام، وحكيم بن حزام، وليست من أسد ربيعة، الذين تتوزع منهم بطون قبائل عديدة، وقيل: بل هي من الطالبيين من بني هاشم، وأن عودتها به إلى مكة إشارة إلى عودتها إلى أهلها وأهله.

أنظر حلية الأولياء، ٦٦/٩-٦٨، وطبقات الشافعية، ص ١٠٠، ١٠١

إلى مكة لئلا يضيع نسبه، فأقاموا ببيت في شعب الخيف بمكة، ودفعته أمه إلى الكُتّاب، فحفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين، وحفظ الموطأ وهو ابن عشر، وكان خلال ذلك يختلف إلى موطن قبيلة هذيل بالبادية بضواحي مكة، فتعلم منهم لغة العرب وفصاحتهم، والشعر، وأيام العرب[1] وأخذ من علماء مكة وفقهائها، كسفيان بن عيينة، ومسلم بن خالد الزنجي وغيرهما، ثم أزمع الذهاب إلى الإمام مالك بالمدينة، ليقرأ عليه الموطأ، وكان الإمام مالك في تلك الأيام اعتكف الناس، ولزم بيته، ولا يشارك في حياة الناس العامة، بُعداً عن الفتنة، فاستعان الشافعي بوالي مكة ووالي المدينة على لقائه والجلوس إليه، فقابله وبدأ يقرأ عليه الموطأ، فأعجب مالك بحسن قراءته، وجودته، ثم لزمه فأخذ عنه الفقه، وعِلْم أهل الحجاز[2] كما كان يطلق عليه في ذاك الوقت.

ثم عاد إلى مكة، وجلس للتدريس والفتوى، بعد أن أجازه بعض أساتذته، لكنه أمام وطأة الحياة، وضيق ذات اليد، ذهب يوماً إلى عبد الله ابن المصعب الزبيري[3] وكان عالماً تقياً، تجمعه به صلة مودة وقربى، طلب

---

[1] البداية والنهاية، ١٠٣/١٠

[2] مناقب الشافعي للبيهقي، ١٠٣/١، والبداية والنهاية، ٢٨٤/١٠، والحلية ٦٩/٩، ٧٠.

[3] هو: عبد الله بن المصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام، من بني أسد بن عبد العزى التي قالت بعض الروايات أن أم الشافعي منهم، وكان عبد الله بن المصعب هذا، عالماً صالحاً، ولاه الرشيد المدينة المنورة فقبل الولاية عليها بشروط عدة اشترطها على الرشيد فأجابه الرشيد إليها، ثم بعد مدة ولاه على اليمن – وهي الولاية سنتعرض لذكرها أعلاه، وهل هي إمارة، أو قضاء أو هما معاً – توفي سنة ١٨٤هـ، وتولى ابنه بكار ابن عبد الله بن المصعب ولاية المدينة بعد أبيه مباشرة، أو بعده بزمن، وحفيده الزبير بن بكار بن عبد الله ...

منه أن يسعى لدى أحد أقربائه الموسرين بأن يعطيه أو يقرضه شيئاً يستعين به على قضاء حاجته، فذهب ابن المصعب، ثم عاد ومعه مائة دينار، وقال للشافعي: إنه قال لي: تُكلّمني في رجل كان منا فخالفنا؟![1] ثم قال له ابن المصعب: إن الرشيد كتب إليّ أن أصير إلى اليمن قاضياً، فتخرج معنا لعل الله يعوضك خيراً من هذا الرجل، فخرج مع ابن المصعب إلى اليمن ليعمل في القضاء والإفتاء.

بعض الروايات تفيد بأن عبد الله بن المصعب بن الزبيرى، عمل والياً على اليمن للرشيد[2] غير أن هذه الرواية تفيد بأنه ذهب إليها قاضياً[3] ويجوز أن يكون قد ذهب لتقلد المنصبين معاً، فبعض الولاة، وبخاصة الذين كانوا من العلماء والفقهاء، كان يسند إليهم المنصبان معاً: الولاية، والقضاء، ورواية ثالثة تفيد بأن الوالي المكلف بولاية اليمن لم يكن هو ابن المصعب، وإنما والٍ آخر قدم مكة فكلمه بعض القرشيين ليصحب الشافعي معه، فأخذه معه واستعمله على بعض الأعمال فيها[4] وسواء أكان الوالي ابن المصعب، أم غيره، فقد ذهب الشافعي إلى اليمن، وعمل

---

= بن المصعب، الراوية النسابة المشهور، قاضي مكة في عصره. وفي بعض الكتب ورد الاسم: المصعب بن عبد الله وهو خطأ. أنظر: البداية والنهاية، ٢١١/١٠، والجمهرة ص١٢٣، والطبرى ٣٥٣/٨.

[1] إن لم يفصح الرواة عن اسم هذا الرجل، لكن العبارة تشير إلى أنه من بعض الطالبيين الذين كانوا يتوقعون أن يسير الشافعي في ركابهم ويقول بمثل ما يقولون.

[2] الجمهرة ص ١٢٣.

[3] الحلية، ٧١/٩.

[4] مناقب الشافعي للبيهقي ١٠٦/١ .

بهـا فـي القضـاء والفتـوى، وذاع صيتـه، وطـار ذكـره، وأثنـوا عليـه فـي عدلـه وإنصافـه، وسعة أفقـه بالأحكـام الفقهيـة. وقـدم العمـال إلى مكـة فـي شـهر رجـب مـن نواحـي اليمـن ومخاليفهـا، فأشـاعوا ذلـك فـي مكـة، وعلـى مسـامع أسـاتذته، ثـم قـدم الشـافعي عـائداً إلى مكـة، فـأثنى عليـه بعـض أسـاتذته كسفيان بـن عيينـة ولامـه البعـض الآخـر لأنـه قَبِـلَ أن يعمـل قاضيـاً، فهـم عازفون عـن تَقَلّـد هـذا المنصـب، ويـودون تلامذتهـم أن يقتـدوا بهـم فـي ذلـك، حتى لايقعوا في الفتنـة، وتغرهـم الدنيـا .. وكـان مـن هـؤلاء ابـن أبـي يحيـى[1]

وغـالب الظـن أن ذلـك كـان عـام ١٨٢هـ، ممـا يفيـد أن عبـد الله بـن المصعـب هـو الـوالي علـى اليمـن، لأنـه عـاد إلى مكـة أوائـل عـام ١٨٣هـ، ولزمها حتى توفي عـام ١٨٤ في رواية الطبري، أو عـام ١٨٥ في روايـة ابـن الأثير، وتسلم منه ولاية اليمن محمد بن يحيى بن خالد البرمكي[2] أوائـل عـام ١٨٣هـ، واستمر فيها حتى بداية عـام ١٨٤ هـ، حين قدم إلى المنطقـة حماد البربري والياً على مكة، والطائف، واليمن، متخذاً من مكة مقراً لـه. وكـان والي مكـة والطـائف هـو: أحمـد بـن إسمـاعيل بـن علـي، العباسـي،

---

[1] مناقب الشافعي، للبيهقي، ١/١٠٦.

[2] كان محمد بن يحيى البرمكي، أحد أربعة أخوة هم أبناء يحيى بن خالد البرمكي – الفضل، وجعفر، ومحمد وموسى – وكان محمد صالحاً ورعاً، ومخلصاً في عمله، وكان ناصحاً للرشيد وتولى الحجابة له عامي ١٧٧، ١٧٨ هـ، وعندما أوقع الرشيد بالبرامكة عام ١٨٧ هـ لم يعرض لمحمد بأي سوء أو أذى، وبقيت أمواله كما هي، لحسن سيرته، لذا فإنه يعد من الولاة المحسنين الذين تولوا اليمن.
انظر : الطبري ٨/ ٢٦١، ٢٨٧، والبداية والنهاية، ١٠/ ٢١٥، ومختصر أنباء اليمن، لابن زبارة، ص ٤٨، وابن الأثير ٦/١٧١.

القرشي، الذى تسلم منه حماد البربرى الولاية حين قدمها .. وأحمد بن إسماعيل هو الذى اختار الشافعي والياً وقاضياً على نجران، نهاية عام ١٨٣هـ، بعد أن ذاع صيته واشتهر أمره فترة وجوده في اليمن، وذلك قبل قدوم البربري بفترة يسيرة، بعد أن كلمه عم الشافعى محمد بن على بن شافع.

وإبـّان ولاية محمد البرمكى لليمن، خرج بعض شتات القبائل بمخلاف الجند بتهامة اليمن، قيل: أثارهم أحد الطالبيين، وأحدثوا شغباً واضطراباً، و لم يستطع البرمكى السيطرة عليهم، لذا فإن الرشيد عزله، وعزل أيضاً والى مكة والطائف ربما لعدم تعاونه معه في القضاء على هذا الاضطراب، وأعطى الرشيد تعليماته لحماد البربرى قائلاً: أسمعني أصوات أهل اليمن[1] ـ كناية عن صراخهم الذي يقرع الآذان من قسوة التعذيب، ويقصد بذلك الذين أحدثوا شَغَباً فى ولاية الجند ـ لكن قسوة البربري تجاوزت ولاية الجند، وكان يحمل تعليمات أخرى عامة لكافة الولاة، بأهمية أخذ الناس بالمتأخر من الخراج، كل في منطقته، وولي الرشيد هذا الأمر أميراً في دار الخلافة مهمته متابعة الولاة في ولاياتهم، ومتابعة أهل سواد العراق خاصة لتحصيل المتأخر من الأموال المطلوب آداؤه للدولة، وهو عبد الله بن الهيثم بن سلم، فروّع الناس أيمّا ترويع لهذا الغرض[2] ونعود إلى نص ذكره الشافعى، يوضح فيه سبب عزله عن نجران، يقول

---

[1] مختصر أنباء اليمن، لابن زبارة، ص ٤٤٨، وتاريخ اليمن (فرجة الهموم ...) للواسعي، ص١٥٨.

[2] الطبري، ٢٧٢/٨، والبداية والنهاية، ٢١٠/١٠.

الشافعي[1]! .. ثم وُلِّيتُ نجران[2] وبها بنو الحارث، وموالي ثقيف، وكان الوالي إذا أتاهم صانعُوه، فقدِمتُ فأرادوني على ذلك [أي أرادوا أن يصنعوا معه كما كانوا يُصَانعون غيره] فلم يجدوا عندي [استعداداً لقبول ذلك] وتظلم عندي ناس، فجمعتهم، وقلتُ: اجتمعوا على سبعة منكم [وفي رواية: اختاروا سبعة منكم] رجالٌ عُدولٌ. فمن عَدَّلوه [من الشهود] كان عَدْلاً، ومن جَرَّحُوه كان مجروحاً، فاجتمعوا على سبعة منهم، فجلست للحكم، وقلت للخصوم: تقدّموا، وأجلست السبعة حولي، فإذا شَهِد شاهدٌ التفتُ إلى السبعة، فقلتُ: ماتقولون في شهادته؟ فإن عَدَّلُوه كان عَدْلاً، وإن جَرَّحُوه قلتُ [لمن استشهد به] زدني شُهوداً، فلم أزل أفعل ذلك حتى أتَيتُ على جميع من تظلّم عندي، فلما صححتُ [النظر في أقوال الخصوم] وضعت الأحكام، وسجَّلتُها، فنظروا إلى حُكْمٍ حادٍ [وفي رواية: جارٍ أي جارٍ في رأيهم] فقالوا: هذه الضياع التي تحكم علينا فيها ليست لنا، إنما هي للمنصور بن المهدي! [أي ابن الخليفة المهدي، وأخو الخليفة هارون الرشيد المعاصرين له][3] فقلتُ للكاتب:

---

[1] مناقب الشافعي، للبيهقي، ١٠٦/١، ١٠٧، وحلية الأولياء، لأبي نُعيم الأصبهاني، ٧٦/٩، ٧٧، وآداب الشافعي ومناقبه، لأبي حاتم الرازي، ص ٣٢، ٣٣.

ومابين المعقوفين زيادة من عندنا، عبارة عن إيضاح وتفسير للنص.

[2] وردت في بعض المراجع السابقة وغيرها بهذا النص، وفي بعضها: ... ثم قدمت بعد ذلك نجران .. وفي بعضها الآخر: .. وكنت بنجران .. وأياً كان فبقية الكلام الآتي يفيد بأنه كان والياً وقاضياً، أي ليس معه والٍ آخر بنجران، وسوف نقف على مايفيد هذا النص من مدلولات، بعد استيفائه ..

[3] المنصور بن المهدي بن أبي جعفر المنصور، عاش حتى أدرك عهد الخليفة المتوكل، الذي بدأ عهده عام ٢٣٢ هـ

اكتب: أقرَّ فلان بن فلان الذى وقع عليه حكمى فى هذا الكتاب، أن الضيعة التى حكمتُ عليه فيها ليست له، إنما هى لمنصور بن المهدى، ومنصور بن المهدى قائم على حُجّته متى قام[1] [أى أنه مطلوب منه تقديم مايثبت ذلك أو ينفيه] قال الشافعي: فخرجوا إلى مكة، فلم يزالوا يعملون [أي يطعنون، ويتهمونه بالتشيع وعدم الموالاة] حتى رُفِعْتُ إلى العراق، وفي رواية: حتى أخذت مكبلاً إلى العراق، فقيل لي [بالعراق]: إلزم الباب [أي لاتفارق الباب في المكان الذي وضعوه فيه، وذلك كناية عن حبسه، أو تحديد إقامته في ذلك المكان] وبقية الخبر[2]: أنه سعى إلى محمد بن الحسن الشيباني، صاحب أبى حنيفة، والتقى به قبل أن يقابل الرشيد، وناظره في مسائل فقهية، وأثبت خطأه في بعض الأقوال، وانتصر منه لمذهب أهل الحجاز، وبخاصة فقهاء المدينة، وعلى رأسهم الإمام مالك، ورد مطاعنه عليهم، فأعجب به كثير من الحاضرين، وكان منهم

---

[1] أى أنه بالحجة والدليل، بإقرارهم أن هذه الضياع والأملاك ليست لهم، وإنما هى ملك لمنصور بن المهدى، ومنصور حى وقائم، وتلزمه الحجة، لإثبات هذا القول أو نفيه. فإن أقر به وأثبته يلزمه الحكم، وعليه تنفيذه، وتبرأ ساحة هؤلاء، أما إذا نفاه فيلزم هؤلاء تنفيذ الحكم، وإقرارهم كان لغرض خاص، فيبطل ويُرد عليهم .. وقد أحدث هذا الحكم دوياًا حيث استغله هؤلاء المغرضون استغلالاً سيئاً وشنعوا على الشافعى، واتهموه بالتشيع، بل بأنه يسعى للخلافة، ويهيئ نفسه لها، وأنه لايبالى بالعباسيين بدليل أنه أصدر حكماً يسيئ إلى سمعة أخى الخليفة، وقد أجمل الشافعى مضمون هذا في باقي النص.

وانظر بعض ماقيل عن الشافعي من تلك الطعنات في كتاب ( مناقب الشافعي للفخر الرازي، ص ١٠، ٢٢).

[2] انظر فيما سبق، وبقية الخبر، مناقب الشافعى للبيهقى ١٠٥/١ - ١٤٧، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ٧٦/٩ - ٨٤، وآداب الشافعى ومناقبه لابن أبى حاتم الرازي، ص٣٢ - ٣٨، والبداية والنهاية، ٢٨٥/١٠، ومناقب الشافعى للفخر الرازى، ص١٠-٢٢، والكنز المدفون والفلك المشحون، للسيوطي، ص٢٥٨، ٢٥٩.

الفضل بن الربيع صاحب الرشيد، وهرثمة بن أعين والى الشرطة، فنقلا ذلك إلى الرشيد فاستدعاه، ثم أنبه على ماصدر منه، فنفى الشافعي أن يكون صدر منه مايسيئ إلى الخليفة، أو أن تكون له علاقة بالطالبيين، وحكى له قصته مع هؤلاء المتقاضين بنجران. فصفح عنه، ثم استدعى الرشيد: ابن الحسن الشيبانى فتناظرا أمام الرشيد في بعض المسائل، فأعجب الرشيد بالشافعى، وأثنى عليه ابن الحسن، فأعطاه الرشيد عطاء جزيلاً، وأمر بإنزاله بمكان يليق به طوال وجوده ببغداد..

* ويستفاد من هذا النص: استمرار تبعية نجران إلى ولاية الطائف، وارتباطهما معاً بولاية مكة، بدليل أن الخصوم الذين اصدر عليهم الشافعى تلك الأحكام، لجأوا إلى مكة، وطعنوا عليه أمام واليها، واستعانوا به لرفع شكواهم إلى الخليفة، ولكى يوغروا صدر الوالي على الشافعي، وصدر الخليفة أيضاً، رموه بتهمة شنيعة فى نظرهم، وهى أنه أحد الطالبيين، ويروم الخلافة لنفسه، ويسعى إليها، فرفع الوالى كل ذلك إلى الخليفة، فجاءه الأمر بالقبض عليه وإرساله مكبلاً إلى بغداد .. وقد سأله الرشيد أول ماسأل عن مسعاه للخلافة، ومشايعته للطالبيين، فنفى ذلك بحجة قوية، وكلام مقنع، مُوَشَّى بالفصاحة والبلاغة، ثم استعاده منه الرشيد ثلاثاً، حتى أدرك مقدار صدقه وإخلاصه، فانكشفت أسارير وجه الرشيد، وذهب عنه الغضب وعفا عنه. ثم استدعى محمد بن الحسن كى يناظر الشافعي بمجلسه، ففاز الشافعي بقصب السبق، فنال الرضا، والجائزة..

* أن اختيار الشافعي لولاية نجران تَمَّ من قِبل والى مكة أحمد بن إسماعيل بن علي بن عبدالله، العباسي القرشي الذي كان في مكانة جد الرشيد، والذي سعى إليه أحد أقرباء الشافعي كي يوليه عملاً .. فولاه نجران، فتسلم العمل قُبيل قدوم حماد السربرى بقليل .. فقد كان تعيين نواب على المناطق والأقاليم والبوادى التابعة لولاية مكة من اختصاص والى مكة، إلا إذا تدخل الخليفة وأمر بتعيين شخص معين بإحدى المناطق، أو في أى من المناصب. فعلى والي مكة تنفيذ ذلك .

* أن نجران لم تكن وقفاً على بني الحارث بن كعب، وإنما كانت بها ضياع وأملاك وأموال، لبعض العباسيين، والثقفيين، وأن موالى بني ثقيف كانت تقيم بتلك الضياع لزراعتها وإدارتها، وأنهم كانوا بكثرة بدليل النص على ذكرهم، ثم إن النص على ذكرهم، هم وبنو الحارث، لاينفي وجود قبائل أخرى بنجران، وسبق أن أشرنا إلى بعضهم في العصر الجاهلى، وعند مجيء الإسلام، ودخول أبناء المنطقة فيه، وجهودهم في خدمته، ومنهم بنو نهد، وجرم، ويام وغيرهم.

* أن نجران خلال هذه الحادثة، وحتى بعد الفترة الزمنية التي وقعت فيها، لم تكن قد عرفت غير مذهب أهل السنة، وبالأخص المذهب الشافعي، الذي يُعزَى انتشاره في تهامة، وعسير، واليمن، إلى وجود الإمام الشافعي بالمنطقة. قاضياً في اليمن، ثم والياً وقاضياً في نجران، وشهرته وإعجاب الناس به، وقيام تلامذة له يتداولونه ويتبعون آراءه الفقهية، ثم العمل على نشرها في تلك المناطق، وثباتهم عليها بالرغم من المصاعب التي

تعرضوا لها في فترات لاحقة لذلك. عندما تسربت إلى المنطقة بعض النحل والمذاهب الأخرى، وبالأخص عندما استحكم المذهب الزيدي في بعض أجزاء اليمن .. مع أنه يعد أقرب المذاهب فقهياً إلى مذهب أهل السنة، لكن العصبية السياسية حادت به عن طور الاعتدال، في كثير من الأحيان.

## بلاد عَكّ والأشعريين :

وعَوْد على بدء كما يقال، فما يكاد الأمر يصل إلى غايته حتى نجد مايجذبنا إلى معاودة الحديث عنه مرة بعد مرة لنضيف دليلاً من سياق الأحداث التاريخية يؤكد ماسبق ذكره بداية[1] من أن أرض قبيلتي عَكّ والأشعريين وغيرهما من القبائل، دخلت التاريخ لأول مرة كولاية أنشأها الرسول ﷺ، أواخر عهده، وجعل الطاهر بن أبي هالة والياً عليها، وجعلها تابعة لولاية مكة، وامتداداً لباديتها من أرض تهامة الحجاز، واقتصرت ولاية فروة بن مسيك المرادي ــ المجاورة جنوباً لولاية عك ــ على أرض مراد وزبيد[2] وضُمَّت هذه إلى الجند، وأصبحت ولاية قائمة بذاتها.. واستمر الوضع هكذا بتلك المنطقة، بالنسبة للترتيبات الإدارية، في عهد الخلفاء الراشدين، ثم في عهد بني أمية، وحتى الزمن الذي نرصد أحداثه من عهد العباسيين، ولوحظ أن تلك المنطقة ــ أي ولايتي الجند وعكّ ــ غمرها طوفان الفتن والصراعات، أواخر عهد بني أمية وشطراً من عهد العباسيين، وصارت بعض قبائلها تنقاد لأدنى بادرة للمخالفة والتمرد

---

[1] انظر: ص ١٧١-١٧٤ من هذا البحث.

[2] ليس المراد بها زبيد الحالية، وإنما زبيد القديمة التي اندثرت، وكانت على مقربة من (الجند) أما زبيد الحالية، والتي مازالت عامرة ومزدهرة، فقد أنشئت في بداية النصف الأول من القرن الثالث الهجري، على يد ابن زياد، الذي حكم تلك البلاد في فترة لاحقه للتاريخ الذي نصفح أحداثه، وأنشئت مكان بلدة قديمة يقال لها (الحصيب) وهي إحدي بلدان قبيلة عك.

على سلطة الدولة، لأسباب ودواعي عديدة، لعل من أهمها تعسف بعض الولاة، وأنفة القبائل الخضوع لهذا التعسف، فيندفعون خلف من يثير عاطفتهم، ولو انتهى بهم الأمر إلى خلع الطاعة والولاء، ووجد المناوئون للدولة في هذه القبائل بيئة خصبة للسعاية ضد الدولة، يهيجونهم حتى يعتدوا على الولاة بالطرد، أو القتل، فمثلاً في عام ١٤١هـ قاموا بقتل والي ولاية الجند في عهد أبي جعفر المنصور فبعث إليهم معن بن زائدة الشيباني، فأوقع بهم، وأجبرهم على الدخول فيما خرجوا منه من الطاعة والولاء[1] وفي عهد الرشيد ثاروا على عماله بالمنطقة، وطردوهم من ولاية الجند وعك عام ١٨٣هـ، فبعث الرشيد إليهم مولاه حماد البربري، فقدم والياً على منطقة الحجاز واليمن، وأوصاه قائلاً: أسمعني أصوات أهل اليمن [كناية عن صراخ أهل ولايتي الجند وعك، الذين فعلوا مافعلوا بولاته] ولأن حماد البربري قدم والياً عاماً على المنطقة، متخذاً مكة المكرمة قاعدة لحكمه، شأن كل الولاة الذين عهد إليهم من قبل بتلك الولاية العامة، فقد سوغ لنفسه ـ وربما بإذن من الخليفة ـ أن يضم بعض الولايات إلى بعض تحت قيادة واحدة بهدف إحكام القبضة والسيطرة عليها، فبعث أحد رجاله ليتولى أمر ولايتي الجند وعك، لإحكام السيطرة، وتنفيذ تعليمات الرشيد، لاسيما وأن مصدر القلق هذه المرة أتى من قبيلة الأشعريين، وانتشر منها إلى القبائل الأخرى بالمنطقة، وفي الولايتين .. فالضمُّ في مثل تلك الأحوال إدارياً أجدى وأفضل، وفي عام ٢٠٧ خرج ببلاد عك عبد

---

[1] البداية والنهاية، ١٠/٨٨، ومختصر أنباء اليمن لابن زبارة، ص ٦٤.

الرحمن بن أحمد، من ذرية عمر بن علي بن أبي طالب، في عهد المأمون، فبعث إليه دينار بن عبد الله في جيش كثيف، ومعه كتاب أمان لعبد الرحمن إن هو رجع وأطاع، فسمع وأطاع، وقدم به دينار بن عبد الله إلى بغداد، فعفا عنه المأمون، وأكرمه فلبس السواد وهو شعار العباسيين[1]

وتعالوا نستطلع معاً مواطن قبيلتي عكّ والأشعريين، في ذالك الوقت، مما قاله لسان اليمن الهمداني، الذي جاء بعد قرن تقريباً من تلك الحادثة التي نسجل وقائعها، ليصف لنا مواطن وبلاد كل من عكّ والأشعريين. يقول[2] :

.. والخصيب وهي قرية زبيد[3] وهي للأشعريين، وقد خالطهم بآخرة (أي مؤخراً) بنو واقد من ثقيف[4] وقرى بواديها حيس وهي للركب من الأشعر، والقحمة للأشاعرة، وفيها من خولان، وهمدان،

---

[1] البداية والنهاية، ١٠/٢٩٤، والجمهرة، ص٦٦.

[2] صفة جزيرة العرب، ص ٧٣، ٧٤، ٧٥.

[3] أي زبيد الحالية المعاصرة، وكان قد أنشأها ابن زياد.

[4] لم نطلع على بني واقد من ثقيف أهل الطائف، فربما يكون بطن انتقل وتوطن تلك المنطقة قبيل الإسلام، أو في مطلعه، فقد سبق أن توطنتها بطون من عترة، وبنو مجيد القرشيون، كما استوطن (الجند) يحيى بن عبدالرحمن بن عبدالله بن عمر بن الخطاب، وكانت له بها ضياع وأموال، وذرية كبيرة بعد ذلك (الجمهرة ص ١٥٢) فالمناطق والأقاليم في شبه الجزيرة العربية، وغيرها، كانت مباحة لمن يستوطنها، لأنها جزء من أرض الدولة، يقيم فيها من يشاء من العرب، طالما كانت الإقامة والتملك بالطرق الشرعية، دون اعتداء على ملك الآخرين، فلم تكن هناك منطقة مغلقة على قوم دون الآخرين، ولا على سلالة دون من عداها، فلم تكن الحدود الدولية قد عرفت بعد.

وذؤال المعقر، والكدراء مدينة يسكنها خليط من عكّ والأشعر، وباديتها جميعاً من عك إلا النبذ من خولان، ثم المهجم، وهي مدينة سرددن ومور وبه مدينة تسمى بلحة لعك.

ثم يستطرد في وصفه البلاد المتجاورة في تهامة اليمن وتهامة الحجاز، فيقول: ثم الساعد من أرض حَكَم بن سعد العشيرة.. وهنا يكون قد دخل في تهامة الحجاز الحالية[1] التي دخلت في إطار معاهدة الطائف لعام ١٣٥٣هـ.

ويقول[2] ووادي الملح يسكنه الأشعر، وفيما بينه وبين تباشعة بلد العشورة، لقبيلة من الأشعر .. ويقول[3] .. تلتقي هذه الأودية في رأس لحج على مسيرة ساعة من قرب الجوار، ثم يخرج هذا الوادي من الجوار عند ثري الخيب وهما للواقديين، ثم في وسط الزّعاع وهي سوق الواقديين، ومدينتهم مور .. وسهام عكية .. ومن براديها واقر ثم المهجم .. سافلتها لعك .. إلخ.

---

(1) والوقائع التاريخية تثبت بأن أرض عك والأشعريين ضمن تهامة الحجاز، وليس من تهامة اليمن، ونحن نحسن الظن بالهمداني، رغم تعصبه الواضح، ونقول: إنه يصف مواطن قبائل، وأماكن في شبه الجزيرة بصفة عامة، ولا يحدد حدوداً إقليمية، بدليل أنه وصف في كتابه مناطق وأقاليم شبه الجزيرة بكاملها: بأوديتها وجبالها ومياهها، وأشجارها وغير ذلك. ولم يقصد أن كل أرض وطئها قدم يمني، أصبحت يمانية، والذين أتوا بعده صوروا قوله إلى مايرضيهم، ويشفي غلتهم.

(2) المصدر السابق ص ١٠١.

(3) المصدر السابق، ص ١٣٨، ١٣٩، وانظر عن مواطن الواقديين المجاورين لقبيلة عك، نفس المصدر، ص ١٠٥، ١٠٨، ١٥٨، ٢٠٤.

المهم أن مخلاف مور هو آخر المناطق الشمالية لولاية عك، ثم يجاوره شمالاً بلدة (الساعد)، وهي أول بلاد بني الحكم بن سعد العشيرة. وهذه كانت تعد من بوادي مكة، و لم تكن بها ولاية، حتى هذه الفترة الزمنية التي نحن بصددها، وإنما كانت تحكم هي وغيرها من بالبوادي، عن طريق رؤساء القبائل، أو البلدان، الخاضعين للوالي في مكة..

قلنا إن حماد البربري جمع ولاية الجند وولاية عك. لأحد معاونيه للظروف الأمنية التي اقتضت ذلك عام ١٨٤هـ، ثم نجد أن هذا الدمج انفك بعد فترة زمنية يسيرة، وذلك في بداية عهد الخليفة المأمون عام ١٩٦هـ عندما كان داود بن عيسى[1] والياً على الحجاز. وكان الأمين هو الذي ولاه عليها عام ١٩٣هـ، فكان أسرع والٍ في شبه الجزيرة العربية يقوم بخلع الأمين، لسبب أفاض فيه المؤرخون، لأن الدولة العباسية كانت مهددة بالسقوط أثناء ذلك.

كان هارون الرشيد قد رتب شئون الدولة قبل وفاته[2] فبايع لابنه الأمين ولياً لعهده، ولابنه المأمون ولياً لعهد الأمين، ولابنه القاسم ولياً لعهد المأمون، وجدد هذه البيعة إبان حجته موسم عام ١٨٦ هـ، وكتب

---

[1] هو داوود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس، كان في مرتبة جد الأمين، والمأمون. كان أبوه عيسى بن موسى ولياً للعهد لأبي جعفر المنصور، فأبعده، ثم أبعده أيضاً كل من المهدي، وابنه الهادي.. وكان اخوته نيفاً وثلاثين ذكراً وأنثى، معظمهم تولى مناصب في الدولة العباسية، هم وأبناؤهم، الجمهرة ص ٣٢.

[2] ابن الأثير، ٢٦١/٦.

بذلك عهداً، وأخذ إقراراً على ولديه الأمين والمأمون بالالتزام بهذا، وأشهد عليه كبار رجال الدولة، والأمراء، والقواد، وأعيان بني العباس، وأودع ذلك العهد والإقرار في جوف الكعبة، وأوصى حجبة الكعبة وقتها ألاّ يخرجوه من جوفها .. ومات الرشيد، ووقع الخلاف بين الأخوين: الأمين والمأمون .. وقع ماكان يخشاه الرشيد، وبدأت الفتنة تدب في سراديبها المعتمة، ثم تطل بعنقها ولاتجد من يقرعها لتميد في باطن الأرض، واشتعل الخلاف، وتغلب أرباب المنافع، بخلابة ألسنتهم، على كل مساعي المصلحين بين الأخوين، وأقدم الأمين على خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، ويسجل التاريخ أن أحد أشهر قواد الأمين، المخلصين له، وهو عبد الله بن خازم دخل عليه أول الليل، وجعل يحاوره، ويناظره، لكي يقصيه عن فكرة خلع أخيه المأمون، حتى منتصف الليل، ويناشده ألا يقدم على ذلك، وألا يكون سبباً في ضياع ملك بني العباس، وضياع نفسه، وألا يكون أول الخلفاء نكثاً للعهد، ونقضاً للميثاق[1] لكن الأمين لم يستجب له، لأن الآذان استمالتها ألسنة المفسدين في الأرض .. ولكل منهم مآرب شتى..

بعث الأمين من أخذ العهد من جوف الكعبة، وأحرقه، وأصدر تعليماته إلى الولاة على المناطق والأمصار بخلع المأمون، وأخذ البيعة لابنه موسى بن الأمين عام ١٩٦هـ، واشتعلت الحرب بين الأخوين، ونجد أن

---

[1] ابن الأثير، ٦/ ٢٢٨.

والي الحجاز داوود بن عيسى ـ عندما جاءه أمر الأمين بخلع المأمون ـ يتخذ موقفاً شجاعاً ومنصفاً، فيجمع علماء وأعيان أهل مكة ومايتبعها، وأخذ يستشيرهم في الأمر، ثم يقول لهم: إنه أخ بغى على أخيه وظلمه، فلنقف مع المظلوم. فقالوا رأينا تبع لرأيك، فجمع الناس وصعد على المنبر في المسجد الحرام، وجعل يذكّرهم بما فعله هارون الرشيد قبل وفاته من كتابة العهد وأخذ إقرار على الأخوين، وشهادة الناس على ذلك، وكيف أن الأمين بعث من أخذ العهد وأحرقه، ولهذا فإنه يخلعه، ويعلن البيعة للمأمون. ونزل بأخذ البيعة من الناس للمأمون، وكتب بذلك عهداً أقر فيه أعيان مكة بالبيعة للمأمون بالخلافة .. وكان داود قد أمر ابنه سليمان[1] نائبه على المدينة أن يفعل ذلك أيضاً في الوقت نفسه مع أهل المدينة، وكان ذلك في رجب سنة ١٩٦هـ، ثم انطلق داوود يحمل بيعة أهل الحرمين إلى المأمون، وكان وقتها بخراسان، فسُرَّ المأمون بذلك، وتيمّن واستبشر خيراً ببيعة أهل الحرمين، ورأى أن موقف عمه داود موقف عادل، فأحب أن يكرمه، فثبّت ولايته على منطقة الحجاز، وأعاد إلى ولاية مكة ماسبق أن استقطع منها إبان ولاية البربري، وهي ولاية عك،

---

[1] كان سليمان بن داوود هذا من مشايخ الإمام أحمد بن حنبل. توفي عام ٢١٩هـ. انظر: البداية والنهاية ٣٢٠/١٠.

فعادت إلى تبعيتها السابقة، من حيث خضوعها إلى والي مكة، منذ أن أنشئت في عهد الرسول ﷺ، حتى الفترة الزمنية هذه[1]

وأثناء عودة داود من عند المأمون، قدم معه ابن أخيه العباس بن موسى بن عيسى ليحج بالناس موسم ١٩٦هـ، وقدم معهما أيضاً يزيد بن جرير بن يزيد القسري، والياً على اليمن، وكان يزيد قد عرض على المأمون أن يبعثه والياً على اليمن، وتعهد له بأنه سيستميل أهلها للبيعة للمأمون، فولاه إياها، فانطلق ثلاثتهم حتى قدموا مكة، وأدوا الموسم معاً، ثم انطلق القسري إلى اليمن، ونجح في مسعاه باليمن فبايعوا للمأمون، وهدأت بعض القلاقل التي استغلت وقوع الفتنة لتركب الموجة، فسار فيهم القسرى سيرة حسنة، وأظهر فيهم العدل والإنصاف[2] .

ولسائل يسأل إذا كان المأمون قد رأى إعادة ما استقطع سابقاً عن ولاية مكة إليها، حين أراد تكريم عمه داود بن عيسى، أفما كان من الأجدى به أن يضم إليه ولاية أكبر مثل اليمن أو اليمامة، المتصلين بالحجاز، خاصة وأنه سبق وأن وليهم والٍ واحد في أزمان مختلفة؟..

ويجاب بأن اليمن واليمامة لم يكن موقف كل منهما واضحاً بالنسبة للمأمون، فعليهما ولاة من قبل الأمين، وربما يكون فيهما متاوئون

---

[1] انظر فيما سبق: ابن الأثير، ٢٦٦/٦، والطبري ٢٧٥/٨-٢٨٦، ٤٣٨-٤٤١، وشفاء الغرام، ١٨١/٢، والبداية والنهاية، ٢٥٣/١٠، والأزرقي/ ٢٣١/١-٢٣٤.

[2] ابن الأثير، ٢٦٦/٦، والطبري، ٤٣٨/٨-٤٤١، وشفاء الغرام، ١٨١/٢.

له، ويستتبع ذلك وقوع حروب، وعمه داوود شيخ كبير، ولا يملك حنكة وخبرة رجل الحرب، مثل أخويه إسحاق، وموسى، أو ابن أخيه العباس بن موسى، فأعفاه من مؤنة الحرب، وعرف أن أهل الحجاز مطيعون له فثبته في نفس الولاية، ومما يدل على أنه ليس رجل حرب، وأن المأمون كان محقاً في نظرته إليه من تلك الناحية، هو موقف داوود حين ترك مكة موسم ١٩٩هـ، عندما بعث أبو السرايا ــ الذي كان يدعو للطالبيين بالبصرة ــ الحسين بن الحسن العلوي، المعروف بالأفطس، ولما بلغه قدومه على مشارف مكة تركها داوود مؤثراً السلامة، وعدم إراقة دماء في البقاع المقدسة، وفي الأشهر الحرم، فدخلها الأفطس عندما علم بخلوها من العباسيين، وكان معه عشرة أفراد فقط[1] ثم إن اليمن كان قد تم اختيار والٍ لها هو أقدر على الحرب إن لم تُجْدِ أساليب الإقناع والمحاورة، ولذا استسلم له من استغل دواعي الفتنة بين الأخوين، ووثب على صنعاء، وهو عمر بن إبراهيم بن واقد العمري، من ذرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2] وربما يكون الواقديون الذين ذكرهم الهمداني أنهم من ثقيف ومجاورين لعلك نسبة إلى هذا الفرع من أولاد عمر بن الخطاب، بما انضم إليهم من اتباع وموالي وأحلاف.

وخلال ولاية داود بن عيسى على الحجاز، أمر بهدم إقامة سوق حباشة، وكانت من أشهر الأسواق التي تقام بتهامة الحجاز منذ العصر

---

[1] شفاء الغرام، ٢/١٨١، والطبري، ٨/٥٣١-٥٣٣، والبداية والنهاية، ١٠/٢٧٧، والجمهرة، ص٥٣.

[2] الجمهرة، ص ١٥٤.

الجاهلي بالقرب من حلي بن يعقوب، على الطرف الشمالي لمنطقة حازان، كان يستعمل عليها رجلاً للإشراف على إدارتها، ومراقبة الموازين والبيع والشراء، وفي عام ١٩٧هـ عدا عليه رجل من الأزد فقتله، فاستشار داوود علماء مكة في إغلاق هذا السوق، فوافقوه على إغلاقه، وعدم إقامته.[1]

المهم أن أرض بلاد عك والأشعريين عادت إلى ولاية مكة المكرمة، كما كانت من قبل .

---

(1) الأزرقي، ١/١٩١، ١٩٢.

## مصدر تاريخي في ميزان النقد :

ولنا هنا وقفة مع أحد المصادر التاريخية التي تناولت الفترة الزمنية، التي نحن بصدد ذكر وقائعها ــ وهي عصر المأمون وما بعده ــ لندرك مدى أهمية التثبت من صدق الخبر قبل نقله، والاعتماد عليه في مسائل تاريخية، وقضايا سياسية واجتماعية وغيرها.

هذا المصدر هو كتاب "المفيد في أخبار صنعاء وزبيد" لعمارة اليمني[1] وقد أشار عمارة إلى أنه بدأ بتأليفه عام ٥٦٣هـ، بناء على طلب

[1] هو أبو محمد، عمارة بن أبي الحسن علي بن محمد ابن زيدان الحكمي، من قبيلة بني الحكم بن سعد العشيرة، أهل حازان، ولد عام ٥١٥هـ وقيل عام ٥٢٩، بقرية الزرائب، التي تطل عليها الكرتان وعكاد [أورد العقيلي في المعجم الجغرافي لمقاطعة حازان ص١٧١، بحثاً عنها] وقيل: بمدينة مرطان من وادي وساع، ورحل إلى زبيد طلباً للعلم، فتلقى على علمائها المذهب الشافعي وغيره من العلوم، ثم اشتغل بالتجارة فسافر إلى عدن، وكانت له مواقف مع حكامها آل زريع، ثم سافر إلى مكة المكرمة عام ٥٤٩هـ واشتغل فيها بالعلم، فعهد إليه واليها بالقيام بمهمة لدى الخليفة الفاطمي بمصر عام ٥٥٠هـ فنجح في مهمته وعاد إلى مكة في نفس العام، فبعثه في مهمة أخرى إليه عام ٥٥١هـ، فبقي في مصر إلى أن توفي فيها عام ٥٦٩هـ، واشتهر أمره في مصر بين العلماء، حتى طلب منه القاضي الفاضل أبو علي عبد الرحيم بن علي البيساني، رئيس ديوان الإنشاء للدولة الفاطمية، تأليف هذا الكتاب، وحظي بمكانة خاصة لدى الخليفة العاضد، آخر خلفاء الدولة الفاطمية بمصر، كما أدرك زوالها على يدي صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٥هـ وعرف عند أهل بلده (الزرائب) بالخلقي (أي الحاذق للعلم) وعند أهل مصر باليمني (نسبة إلى أصله القحطاني) كما عرف عند أهل اليمن وعدن والجبال بالفقيه، وعند أهل زبيد بالفرضي، وربما لأن كتابه هذا مبتقه وهو كمصر أطلقوا عليه: عمارة اليمني. انظر: مقدمة طبعة الكتاب بعنوان "تاريخ اليمن" تحقيق الشيخ محمد بن علي الأكوع، ومقدمة طبعته بتحقيق الدكتور محمد زينهم محمد عزب والتي أشار فيها إلى أنه اعتمد في ترجمته نقلاً عن الدكتور حسن سليمان الجهني في طبعته المحققة لنفس الكتاب. وانظر: المختصر في أخبار البشر، لأبي الفداء ص٥٠.

القاضي الفاضل له بتأليفه، وهو قاضي الديار المصرية أواخر عهد الدولة الفاطمية.

وهذا الكتاب اعتمد عليه بعض المؤرخين قديماً، ونقلوا عنه دون تثبت وتمعن، وتفحص وتمحيص لما فيه من أخبار ومعلومات تاريخية وغيرها[1] وأشاع هؤلاء ما نقلوه دون تمحيص في كتبهم حتى أضحت وكأنها حقائق مؤكدة، وقضايا مسلمة، ومعلومات موثقة، وجاء فريق بعدهم، من هواة النقل على علاته، فنقل دون تثبت، اعتماداً على الثقة فيما يكتبه أولئك، حتى وصل أخيراً إلى المعاصرين ممن ينهجون منهج النقل على علاته، دون نظر وتمحيص، فزادوا في الثناء على أهميته، وقيمته العلمية[2] ذلك لأنهم وجدوا فيه ما يشبع لديهم الرغبة السياسية لا العلمية.

ورحم الله ابن خلدون، فقد قال قديماً[3] : "التاريخ محتاج إلى مآخذ متعددة، ومعارف متنوعة!، وحسن نظر وتثبيت يفضيان بصاحبهما إلى الحق، وينكبان به عن المزلات، والمغالط، لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تُحكِّم أصول العادة، وقواعد السياسة، وطبيعة

---

[1] من هؤلاء كما أشار الأكوع في المقدمة ص١٥: ابن العماد، وابن خلكان، وياقوت الحموي، والجندي والخزرجي، والديبع.

[2] انظر المقدمة التي كتبها محققه الشيخ/ محمد بن علي الأكوع - للطبعتين - لكنه - والحق يقال - أشار إلى بعض المآخذ على عمارة في المقدمة ص٦، وأيضاً في التعليقات.

[3] المقدمة، ص٧.

العمران، والأحوال في الاجتماع الانساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد، والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور، ومزلة القدم، والحيد عن جادة الصدق .. وكثيراً ما وقع للمؤرخين؛ وأئمة النقل المغالط في الحكايات، والوقائع، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً وسميناً".

ومع أن عمارة أشار في مقدمة كلامه[1] إلى أنه اعتمد على ميسور خاطره. أي ما تيسر تداركه من الذهن والخاطر، والذهن لايسعف أحياناً، بل يوقع في التصحيف والخلط، والوهن، وقال: إنه أعتمد على ما حدثه به الشيخ الفقيه نزار بن عبد الملك المكي، والفقيه أحمد بن محمد الأشعرى[2] مسنداً إليهما العلم بأيام الناس وأنسابهم وأشعارهم[3] مضيفاً إلى ذلك ما قرأه في كتاب "المفيد" لأبي طامي جياش بن نجاح، ملك زبيد !

وللباحث أن يتساءل: هل هذه تكفي كمراجع لتأليف كتاب تاريخي يمكن الاعتماد عليه ؟! إن الذاكرة الحافظة كثيراً ما تخون صاحبها، والفقيهان ليسا معاصرين للوقائع والأحداث التي تضمنها الكتاب، فبينهما وبينها أكثر من ثلاثة قرون، ثم إنهما حدثاه و لم يسندا روايتهما إلى رواة آخرين، أو إلى كتاب قرآه، إذاً فالإسناد مقطوع .. ولهذه الأسباب

---

[1] انظر ص٣٨ من طبعة الأكوع، وص١٧ من طبعة الدكتور عزب.

[2] لم يعط محققاً الكتاب تعريفاً بكل منهما، كما أنهما لم يأتيا بما يؤكد نسبة الكتاب إلى مؤلفه بصفة عامة، وأين توجد نسخة المخطوط التي تم الاعتماد عليها عند نشر الكتاب وطباعته؟!.

[3] هذا مما يوحي بإلقاء المسئولية على هذين العالمين، لكنه لايعفى من التبعة، كمن ينقل نقلاً عن غيره دون تثبت.

وغيرها جاء الكتاب حافلاً بالتصحيف، والخلط، والأغلاط والوهن. وهاكم بعضها:

* أن عمارة بدأ مصنَّفه بقوله: "قالوا[1] لما كان في سنة تسع وتسعين ومائة، أُتيَ إلى المأمون بقوم من ولد عبد الله بن زياد[2] فانتسب أحدهم، واسمه: محمد بن فلان[3] بن عبد الله بن زياد بن معاوية. وانتسب منهم رجل إلى سليمان بن هشام بن عبد الملك، ومن ولد هذا الرجل الوزير خلف بن أبي طاهر، وزير جيّاش بن نجاح. فقال المأمون لهذا الأموي: إن عبد الله بن علي بن العباس[4] ضرب عنق سليمان بن هشام، وأعتاق ولديه في يوم واحد، فقال الأموي، أنا من وَلَدِ الأصغر، من وُلْدِ سليمان بن هشام، ومنا قوم بالبصرة في أفناء الناس، وانتسب له رجل إلى بني تغلب، واسمه: محمد بن هارون، عندها بكى المأمون، وقال: وأنّى لي بمحمد بن هارون. يعني أخاه الأمين، ثم قال المأمون: أما الأمويان فيُقتلان، وأما التّغلبيّ فعفا عنه رعاية لاسمه واسم أبيه. فقال ابن زياد: ما

---

[1] من هم الذين قالوا؟. هل هما هذان العالمان؟ أم غيرهما؟. وعموماً فهي كبداية للسامرات والحكايات القصصية التي تقال للاستئناس بها، وليس بأسلوب المنهج العلمي. وأول القصيد.؟

[2] هنا أشار الشيخ الأكوع أنه ورد عند الوصابي، والديبع زيادة: من بني أمية. وفي المخطوطة التي لم يعط لنا بيانات تفصيلية عنها، زيادة: بن عبد شمس.

[3] كلمة يؤتى بها عند عدم تذكر الاسم، وهو كما قلنا نتيجة لوهن الذهن، وعدم إسعاف الحافظة.

[4] الصواب أن يقول: ..بن علي العباسي، لأن عليا ليس ابن العباس، وإنما ابن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. وكان عبد الله بن علي هذا عم كل من السفاح والمنصور، وقام بدور بارز في توطيد دعائم الدولة العباسية، عند قيامها. مات عام ١٤٧هـ.

أكذب الناس يا أمير المؤمنين، لأنهم يزعمون أنك حليم كثير العفو، مُتَوَرِّع عن سفك الدماء بغير حق، فإن كنت تقتلنا على ذنوبنا، فإنا لم نُخرج يداً عن الطاعة، و لم نفارق في بيعتك رأى الجماعة، وإن كنت تقتلنا على جناية بنى أمية فيكم، فـالله يقول: ﴿ولاتـزر وازرةٌ وزر أخرى﴾[1] فاستحسن المأمون كلامه، وعفا عنهم جميعاً، وكانوا أكثر من مائة رجل، ثم أضافهم إلى أبى العباس الفضل بن سهل، ذى الرياستين، وقيل إلى أخيه الحسن، فلما بويع لإبراهيم بن المهدى ببغداد في المحرم سنة اثنتين ومائتين، وافق ذلك ورود كتاب عامل اليمن بخروج الأشاعرة وعك في تهامة عن الطاعة، فأثنى ابن سهل على هذا محمد[2] بن زياد، وعلى المروانى والتغلبى عند المأمون، وأنهم من أعيان الرجال، وأفراد الكفاة، وأشار بتسييرهم إلى اليمن، ابن زياد أميراً، وابن هشام وزيراً، والتغلبى حاكماً[3] ومفتياً .. ثم يقول: فخرجوا في الجيش الذى جهزه المأمون إلى بغداد لمحاربة إبراهيم بن المهدى، وحج ابن زياد ومن معه في سنة ٢٠٣هـ، وسار إلى اليمن، فتغلب على المناوئين للدولة من عك والاشعريين بتهامة بعد حروب جرت بينه وبينهم، واختط زبيد في شعبان سنة ٢٠٤هـ ويقول بعد ذلك: فعَظُم أمر ابن زياد، وملك إقليم اليمن بأسره، الجبال والتهائم وملك حضرموت، والشحر، ومرباطاً، وأبين، ولحجاً، وعدن،

---

[1] سورة فاطر، آية ١٨.

[2] وردت هكذا، اسم الإشارة متقدم على المشار إليه. على لغة أكلونى البراغيث.

[3] قاضياً.

والتهائم إلى حليّ .. وملك من الجبال الجند وأعماله، ومخلاف المعافر، ومخلاف جعفر، وصنعاء، وصعده، ونجران وبيحان ..إلخ".

رويدك ياعمارة!.. رحمك الله .. وعفا عنك .. وعمّن نقل عنك دون تمحيص.

تعالَوْا بنا نناقش هذا النص، كي نعرف من يكون ابن زياد هذا؟! الذى جعله ابن عمارة سلطاناً للبر والبحر، وملّكهُ بلاداً وكأنه افتتحها لأول مرة، وأقام فيها مملكة له، ولذريته من بعده في داخل الدولة العباسية، وفي عز مجدها ــ عهد الرشيد وولديه المأمون والمعتصم ــ ولم يعلم عنه أحد من أئمة المؤرخين، كالطبرى، وابن الأثير، وابن كثير وغيرهم ممن تتبعوا أخبار الدولة العباسية يوماً بيوم، في حولياتهم الموسوعية، وظل أمره مجهولاً إلى أن جاء عمارة بعد أكثر من ثلاثة قرون فاكتشفه، ووضع له تاريخاً غاب عن سابقيه، ودولة لم يحدد حدودها إلا هو، ضم لها ماشاء من البلاد!، وليست مجرد دولة، وإنما دولة أموية في داخل أراضى الدولة العباسية، وهى في عز مجدها؟!!.

يقول عمارة: انتسب أحدهم واسمه: محمد بن فلان بن عبد الله بن زياد بن معاوية بن أبى سفيان، لأنه يزاد في بعض النسخ: معاوية بن أبى سفيان، من بنى أمية بن عبد شمس، وليس المقصود زياد بن أبيه، الذى ألحقه معاوية إبان خلافته، بأبيه أبى سفيان بن حرب، كسباً لوده ومؤازرته له، فقد كان زياد بن أبيه من اتباع الإمام عليّ بن أبى طالب، ولما أستشهد الإمام عليّ، أغراه معاوية بعملية إلحاق نسبه وغير ذلك حتى

بايعه وانضم إليه، واستمرت ذريته على هذا الإلحاق في النسب، حتى أمر الخليفة المهدى عام ١٦٠هـ بأن يُرَدَّ نسبه إلى ثقيف لأنه ولد فيهم، وأن يرد نسب أبي بكرة من ثقيف إلى ولاء رسول الله ﷺ ، وكتب المهدى بذلك إلى والى البصرة، ووالى المدينة المنورة، لإنفاذه[1] فلو كان المقصود زياد بن أبيه لانتسب إليه أمام المامون لابعاد شبه التآمر عليه لكونه من ثقيف وليس من بني أمية. فضلاً عن أن المأمون يعرف أن جده المهدى، أعاد نسب آل زياد إلى ثقيف، فكونه ينتسب إلى بني أمية فيه تحد للمأمون، في موقف هو أحوج فيه لابعاد نفسه عن الشبهه، لا دفعها إلى المخاطر. إذاً فزياد هذا من بني أمية، وكونه ابن معاوية بن أبي سفيان هو تصحيف، لأن ابن معاوية هو يزيد (الخليفة)، وليس زياد، ولم يكن لمعاوية ابن أبي سفيان إلا ولدان فقط، هما: يزيد، الخليفة بعد أبيه، وعبد الله،

---

[1] عند حصار النبي ﷺ للطائف، عقب فتح مكة عام ٨هـ، وكانت ثقيف قد تحصنت بحصونها بالطائف، فنادى منادى رسول الله ﷺ : " أيما عبد نزل عن الحصن، وخرج إلينا فهو حر، فنزل بعضهم، وكان منهم: أبو بكرة، نُفَيْع بن مسروح، وكان للحارث بن كلدة طبيب العرب، وإنما كنى بأبي بكرة لأنه نزل من الحصن متدلياً من بكرةٍ - وهي خشبة مستديرة في جوفها محور يوضع فيه حبل لرفع الدلاء من البئر - فدفع الرسول ﷺ أبا بكرة إلى عمرو بن سعيد بن العاص، ليمونه ويحمله، ويقرئه القرآن ويعلمه السنن، ويكون ولاؤه إليه، لكن ابن سعيد فعل به ذلك وتركه يقوم على خدمة الرسول ﷺ، فكان أحد موالي الرسول ﷺ، ولما أسلمت ثقيف تكلم أشرافهم في هؤلاء ليردهم الرسول إليهم، وكان منهم الحارث بن كلدة، مولى نفيع، فقال لهم النبي "أولئك عتقاء الله، لا سبيل لكم إليهم .. فكان ولاؤه للرسول، لكن ذريته عادوا في ولائهم إلى ثقيف ربما في عهد الحجاج، وأما بنو زياد فاستمروا في ولائهم لبني أمية منذ أن ألحقهم معاوية، مخالفاً بذلك قول الرسول ﷺ: الولد للفراش. ولذلك قام خصوم معاوية باتهامه بأنه خالف حكم الرسول في هذا الإلحاق وندّدوا به، وعيّروا زياد وابنائه بقبوله هذا من معاوية.

انظر: المغازى للواقدى ٩٣١/٣، والطبرى ١٢٩/٨، ١٣٠، والبداية والنهاية ١٥١/١٠، ١٥٢، والأغانى ٢/٧.

ولم يكن لعبد الله عقب إلا ابنة تزوجها ابن عمها عبد الله بن يزيد بن معاوية، ولم يكن في أبناء يزيد بن معاوية من اسمه زياد، ولا في ذريته. اللهم إلا من ذرية ابنه عبد الله بن يزيد، فقد كان من أبنائه: أبو محمد السفياني: أي زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية، وهو الذى قام في المدينة، وخلع طاعة عبد الملك بن مروان، فأخذ وقتل هو وابنه مخلد بن زياد، ولم يكن من أبنائه من اسمه عبد الله، حتى يقال إن محمداً هو ابن عبد الله هذا !!. فمن أين أتى اسم زياد هذا الذى انتسب إليه بنو زياد. وكيف ينتسبون إلى معاوية بن أبى سفيان؟![1] فقد صَحف وخلط في نسبة زياد إلى معاوية، وهذا التصحيف والتخليط مما يوهن درجة الثقة في صحة الرواية. وربما يكون هذا هو الذى دفع الشيخ الأكوع إلى أن يقول: لا أصل لما ذكره "عمارة" من أن آل زياد من أرومة أموية، بل هم من حذر يمنى[2] ولم يذكر الشيخ الأكوع السبب الذى دفعه إلى هذا القول، ولا السند الذى استند عليه في الأخذ به.

وعموماً فقد ذكر الأكوع بعض الأوهام والأخطاء التى وقع فيها "عمارة" ومنها:

---

[1] انظر فيما سبق الجمهرة ص١١٢، ١١٣.

[2] مقدمة الطبعة الثانية ص٦.

- أنه اعتمد فيما نقله على تاريخ "مفيد" للقائد جياش بن نجاح، وفيه مبالغة، وقضايا غير مُسَلَّمة.[1]

- أنه جعل ابن زياد يملك إقليم اليمن بأسره، الجبال والتهائم، وهو أول وهم تسرب إلى ذهن عمارة.[2]

- وأنه جعل جعفر مولى زياد أول مختط للمذيخرة، فهي قديمة الاختطاط، لأنها مقر المناخيين ملوك الكلاع من حمير في الجاهلية والإسلام.[3]

- وأنه جعل البلاد التي كانت تخضع لجعفر، تسمى "مخلاف جعفر"، بينما هي تنسب إلى جعفر بن إبراهيم بن ذي المثلة، وليس إلى جعفر مولى ابن زياد.[4]

- وأن هناك حلقة، أو فترة من التواريخ سقطت من عمارة[5] وأنه وقع فيه تخليط في التواريخ والأسماء.[6]

---

[1] المصدر نفسه ص١٥، ١٦.

[2] المصدر نفسه ص٤٧.

[3] المصدر نفسه ص٤٨.

[4] المصدر نفسه ص٤٨.

[5] المصدر نفسه ص٥٢.

[6] المصدر نفسه ص٥٣، ٥٤، وغيرها مما يصعب تقصيها ومما يؤكد عدم صحة ما احتواه من معلومات وأخبار.

- ان مدة حكم إبراهيم بن زياد [أخو أبي الجيش، الذي أتى بعده] لا شك قد طالت، وامتد نفوذه لكن لا كما يصورها لنا عمارة من التوسع والمبالغة بل كان حكمه محصوراً على التهائم فقط [1]

ونزيد على ما قاله شيخنا الأكوع: كان حكمه محصوراً على تهامة اليمن فقط، و لم يمتد لا إلى السراة، ولا إلى نجران، كما لم يمتد إلى اليمن بأسره، الجبال والتهائم، وحضرموت، كما يبالغ عمارة. بدليل الآتي:

- أنه عام ٢٠٧هـ خرج على طاعة المأمون، ببلاد عك: عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب. يدعو إلى الرضى من آل محمد، فلما بلغ المأمون ذلك وجه له دينار بن عبد الله، أحد قواده المعروفين، ومعه حشد من الجند، فسار دينار حتى مر بمكة، وحج هو ومن معه موسم ٢٠٧هـ، ولما فرغ من الحج، توجه إلى بلاد عك، وكان يحمل كتاب أمان من المأمون إلى عبد الرحمن العلوي، ليعرضه عليه قبل أن يحاربه، فإن قبله، وإلا حاربه، فلما دخل دينار أرض عك أرسل إلى عبد الرحمن العلوي بكتاب الأمان، فقبله، وعاد إلى الطاعة، وتفرق من كان قد تجمع حوله، فأقبل به دينار راجعاً إلى المأمون أوائل عام ٢٠٨هـ فعفا عنه، وأكرمه[2] فأين ابن زياد من هذا الحادث إذا

---

[1] المصدر نفسه ص٥٣، وبدليل أنه لم يرد له ذكر في أمهات كتب التاريخ الإسلامي، كالطبري، وابن الأثير، وغيرهما.

[2] الطبري ٥٩٣/٨، والبداية والنهاية ٢٩٤/١٠.

كان المأمون قد بعثه إلى نفس المنطقة عام ٢٠٣هـ؟! ألم يكن من الأجدى أن يعهد إليه بتلك المهمة بدلاً من أن يبعث إليها قائداً وجنوداً يقطعون الفيافي من بغداد إلى بلاد عك.

– أنه لم تغفل أعين الخلفاء العباسيين ـــ وبخاصة فترة ازدهار الدولة ـــ عن اليمن أو غيره من أقاليم الدولة، حيث كانوا يهتمون بإرسال الولاة، ومتابعتهم، وليس أدل على ذلك من أن المأمون طلب سليمان بن عبد الله بن سليمان العباسي ـ وكان في مكانة عمه، ليعينه والياً على اليمن، وجعل له ولاية إمامة الناس في الصلاة في كل بلد يدخلها، وكان مقيماً في دمشق، فخرج من دمشق، فكان يتولى الإمامة في كل بلد يدخلها في طريقه، حتى دخل بغداد فصلى بالناس عيد الفطر عام ٢١٦هـ، ثم شخص منها في طريقه إلى اليمن، فدخل مكة يوم ٢ ذو القعدة، فظل يؤم الناس في الصلاة حتى دخل موعد الحج، وهو الذى أقام للناس موسم حج عام ٢١٦هـ، ثم انطلق بعد الموسم إلى اليمن والياً عليها .. وقدم منها عام ٢١٧هـ ليؤمَّ الحجيج ويقودهم في المشاعر ذاك الموسم[1] فأين ابن زياد الذى جعله عمارة يملك اليمن، وما حوله؟! ثم إنه كانت هناك شخصية قريبة من البيت العباسي تولى ولاية الحرمين خلال الفترة من عام ٢٢١هـ حتى عام ٢٣١هـ، وهو محمد بن داوود بن عيسى، الذى كان أبوه والياً عليها إبان الخلافات بين الأمين والمأمون، وخلع الأمين، وبايع

---

[1] الطبرى ٨/٦٢٦،٦٢٩، والبداية والنهاية ١٠/٣٠٨.

للمأمون، وقد تولى محمد هذا الحج بالناس فترة ولايته[1] وذلك فيما عدا موسمين، وكان قد اقتصرت ولايته على مكة والطائف، وما يتبعهما عام ٢٢٨هـ، وعين والياً على المدينة محمد بن صالح بن العباس بن محمد، العباسي، لأن بعض الأعراب حول المدينة بدأوا يتطاولون على الناس، والسابلة، وعلى غيرهم من القبائل الأخرى، وبخاصة بنو سليم الذين كانوا إذا وردوا سوقاً من أسواق الحجاز، أخذوا ما يحتاجونه من الأسواق بالسعر الذي يريدونه، لا بما يريده صاحب السلعة، وتطور بهم الأمر إلى أن أوقعوا بغيرهم من بعض القبائل، كبني كنانة وباهلة، وقتلوا نفراً منهم، في جمادى الآخرة عام ٢٣٠هـ، وكان يرأس هذه العشيرة من بني سُلَيْم عُزَيْز بن قطّاب اللبيدي السُّلَميّ، فوجه إليهم والي المدينة وهو يومئذ محمد ابن صالح: حماد بن جرير الطبري، رئيس مسلحة المدينة[2] فتغلبوا عليه، وقتلوه عند الرُّوَيْثة، على ثلاث مراحل من المدينة، واستفحل أمر بني سليم بعد أن انضمت إليهم بطون أخرى منهم، واستباحوا القرى والمناهل، فيما بين مكة والمدينة، واعتدوا على من يليهم من القبائل، واقتدى بهم بعض القبائل الأخرى في المنطقة، وكاد زمام الأمن يفلت من السلطة، وتقتتل القبائل بعضها مع بعض، فوجه إليهم الخليفة الواثق: أبا موسى بغا الكبير، على رأس جيش كثيف، فقدم في شعبان سنة ٢٣٠هـ إلى حَرَّة بني سُلَيْم،

---

[1] الطبري ٣٢٢/٨، ٣٢٨، ٣٣٢، ٣٣٣.

[2] كان المعتصم ومن بعده ابنه الواثق، قد جعلوا في مقر كل ولاية مسلحة، مثل الشرطة، بجوار الوالي يساعدونه في تنفيذ الأوامر والتعليمات، ويحافظون على المدينة، ويحرسونها ليلاً ونهاراً، وسموا الشاكرية.

فواقعهم عند شق الحرة من وراء السوارقية، وقتل خمسين من فرسانهم، وانهزم الباقون، فدعاهم إلى الأمان، والنزول على حكم الخليفة فيهم، فأجابوا، فأخذ من رؤسائهم جمعاً، وممن كانو يوصفون بالشر والفساد زهاء ألف رجل، جعلهم في سجن المدينة ـــ دار يزيد بن معاوية ـــ ثم شخص إلى مكة حاجاً موسم ٢٣٠هـ، وبعد انقضاء الموسم عرّج على بني هلال، ببادية الطائف، وكان طائفة منهم فعلت مثل بني سليم من قطع الطريق، فأخذ أهل الفساد والشر فيهم، وخلى سائرهم. ثم سار إلى بني مرة، شمال خيبر ففعل بهم مثلما فعل ببني هلال، ثم ذهب إلى بني فزارة بفدك، وإلى غطفان وأشجع وبني كُلاب، وكافة القبائل التي حاولت الاخلال بالاستقرار والأمن[1] .. واستمر في المنطقة حتى نهاية عام ٢٣٢هـ، لأن بطناً من بني نمير عاث في الأرض فساداً، فذهب عمارة ابن عقيل حفيد الشاعر جرير الخطفي، وكان هو شاعر أيضاً فمدح الخليفة الواثق بقصيدة، ثم شكا بني نمير إلى الخليفة، وأنهم يغيرون على الناس، والقبائل المجاورة لهم في اليمامة، فكتب الخليفة إلى بغا الكبير أن يسير إليهم من المدينة، فسار إليهم ولم يتغلب عليهم إلا بصعوبة، وفر بعض رؤوسهم، فظل مساعده واسمه: واجن الصغدي يطاردهم حتى صاروا إلى ما وراء تبالة، بالقرب من حد عمل اليمن، فعاد بعد أن فاتوه ودخلوا أرض اليمن.[2] ولم يكن بمقدوره متابعتهم في داخل أرض اليمن إلا

---

[1] انظر فيما سبق: الطبري ٩/١٢٩، ١٣٥.

[2] الطبري ٩/١٤٩، ١٥٠.

بتعليمات من الخليفة نفسه، أو القائد العام بغا الكبير .. وهذا من دقة التنظيم الإدارى.

ترى لو كان ابن زياد كما يصفه عمارة يستولى على البلدان واحدة بعد الأخرى، ويحارب هذا وذاك كى يستخلص ما تحت نفوذهم من البلدان والوديان، ويقتل في طريقه ما يشاء بغرض إنشاء دولة يرثها أبناؤه من بعده، افكان يُترك هو أو غيره، يفعل ما يشاء؟! إن شواهد التاريخ، ووقائع الأحداث، وطبائع العمران والأحوال تنفى وقوع ما وصفه عمارة في شأن ابن زياد، خلال هذه الفترة التاريخية التى وُجد فيها أحد قواد الدولة بالمنطقة، لتأديب بعض الخارجين على الأمن من القبائل التى لا تُطاول في قوتها، وبأسها! كما يلاحظ أن جعفر بن دينار عاد مرة أخرى إلى ولاية اليمن، من قِبل الخليفة الواثق عام ٢٣١هـ وسار إليها ومعه أربعة آلاف فارس[1] للعمل على استتباب الأمن في بعض مناطقها، فيبدو أن بعض القبائل باليمن قد فعلت في هذه الفترة ما فعلته بنو سُلَيم وغيرها بمنطقة الحجاز.

ويلاحظ أيضاً أنه كان على بلدة بيشه ـ في ذاك الوقت ـ والٍ قوى، هو عيسى بن محمد، من بنى المغيرة من مخزوم من قريش، وأن الخليفة المعتز عهد إليه هو ومحمد بن أحمد بن عيسى بن جعفر المنصور بقتال اسماعيل بن

---

(1) البداية والنهاية ١٠/٣٤٧، والطبرى ج٩، ص١٤٠.

يوسف العلوى، حين ظهر بمكة عام ٢٥١هـ[1] وبه يستدل على أن المخزومى كان أحد الولاة المحليين التابعين لوالى مكة، وبيشة أحد البلدان التى تقع في نطاق ولاية الطائف المنضمة لولاة مكة، فمحمد بن أحمد العباسي كان هو والى مكة في ذاك الوقت.

أيمكن لابن زياد الذى حكم من عام ٢٠٣هـ حتى توفى عام ٢٣٥هـ، أن يحارب جيرانه ـ كما يقول عمارة ـ ويدخل في حوزته ما بأيديهم، ويقتل في سبيل ذلك ما يقتل، ويُضيع المعالم الحدودية لكل ولاية، والتى بنيت على أساسها مطلوبات الخراج والصدقة، وحصر القبائل في مواطنها وغير ذلك من أسس كانت مدوّنة بمقر وقاعدة الإقليم، وفي ديوان الخلافة أيضاً؟!. أيتم ذلك في عهد المأمون، الذى كان يملك قوات مهّدت له الخلافة شرقاً وغرباً، أو في عهد المعتصم فاتح عمورية، حصن الروم الحصين[2] والذى أخذ عليه بعد وفاته أنه أنفق على الحروب في عهده أكثر مما أنفق في الإنشاء والعمران؟!

والعجيب أن الدكتور عزب صنف دولة بنى زياد ضمن دول الشيعة التى قامت في اليمن[3] ونسى أن عمارة نسب ابن زياد إلى بنى

---

(1) انظر: غاية الأمانى، ليحيى بن الحسين، تحقيق د.سعيد عبد الفتاح عاشور، وآخر القسم الأول ص١٦٠، ١٦١، وفيه أن ذلك حدث عام ٢٤٩هـ، وانظر الطبرى ٣٤٦/٩، ٣٤٧، ٣٧٢، وفيه أنه حدث عام ٢٥١هـ، وهو الصواب كما في الجمهرة ص٤٦، وشفاء الغرام ١٨٦/٢.

(2) الطبرى ج٩/٥٧–٧٠، والبداية والنهاية ٣٢٤/١٠–٣٢٧.

(3) انظر مقدمة [الكتاب] التى حققها الدكتور محمد زينهم محمد عزب لكتاب عمارة بعنوان "تاريخ اليمن" ص٧–٩.

أمية، فهل يُعقل أن يكون أحد من بني أمية متشيعاً للعلويين؟! إن المشاحة والخصومة كانت مستحكمة بينهما، وكانت قبلهما في بني هاشم وبني أمية منذ ما قبل الإسلام، حتى أن المقريزى ألف في ذلك رسالة (كتيب) عنوانه على ما أذكر "الانصاف فيما وقع بين بني هاشم وبني أمية من خلاف" متتبعاً بداية ذلك منذ العصر الجاهلي، وفي الإسلام .. ثم كيف يتشيع ابن زياد وقد بدأ عاملاً للعباسيين وكان بينهما مثلما كان بين الأمويين والعلويين؟! ولعن كان المأمون هو الوحيد الذى هادنهم فترة، وجعل أحدهم[1] ولياً لعهده فتوفى ولم يتم له شيء، لكن العباسيين ثاروا عليه يومها، وخلعوا طاعته وبايعوا عمه إبراهيم بن المهدى خليفة عام ٢٠٢هـ بدلاً من المأمون ثم إن المأمون تراجع عن تلك الفكرة، وأبقى ولاية العهد في العباسيين، وفي سنده القرى أخيه المعتصم، ثم أقدم على اتخاذ موقف أشد في تعامله مع الطالبيين[2] عام ٢٠٧هـ، فأخذ يَحْذر منهم

---

[1] هو على بن موسى بن جعفر بن محمد، العلوى وذلك عام ٢٠١هـ انظر الطبرى ٨/٥٤٤،٥٤٦،٥٤٧، والبداية والنهاية ١٠/٢٧٩،٢٨٠.

[2] عندما يقال الهاشميون: فيشمل أبناء العباس، وأبناء أبى طالب بن عبد المطلب، وأما العباسيون، فخاصة ببني عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، والطالبيون: خاصة لأبناء على، وجعفر، وعقيل أبناء أبى طالب بن عبد المطلب. والعلويون: خاصة لأبناء على بن أبى طالب: من الحسن، والحسين، ومحمد (المعروف بابن الحنيفة) والحسنيون: نسبة إلى الحسن بن على، والحسينيون: نسبة إلى الحسين بن على، وكافة طوائف الشيعة تابعون لأئمة من أبناء على بن أبى طالب الثلاثة: الحسن، والحسين، ومحمد. وهناك اختلافات كبيرة وواسعة في آراء ومعتقدات طوائف الشيعة، وفيها غلوّ شديد.

ومنع دخولهم عليه دون إذن، وأمرهم بلبس السواد[1] فلعن هادن أحد من أحفاد ابن زياد أحداً من الشيعة، فهي مهادنة سياسية.

كان من نتيجة الأخطاء التي وقع فيها عمارة اليمني، أن الذين نقلوا عنه وقعوا في نفس الأخطاء، وحدث تضارب في أقوالهم، فمثلاً قال الجرافي[2] : إن الخليفة المأمون قلّد ابن زياد أعمال اليمن عام ٢٠٣هـ، وأناط به أمر تأديب العصاة بتهامة اليمن، فقاتل قبيلة الأشاعرة، واستولى على تهامة[3] وعدن، وحضرموت. وامتد نفوذه إلى مكة، واستمر كذلك حتى توفي عام ٢٤٢هـ[4] بعد أن أسس دولة مستقلة عن الخلافة، استمرت في ذريته حتى قيام بني نجاح عام ٤٠٣هـ.

ثم يقول بعد ذلك[5] : إن الخليفة المعتصم بعث الأمير عبد الرحيم ابن ابراهيم الحوالي عام ٢٢٥هـ والياً على اليمن، وفي عام ٢٤٧هـ تولى حكم اليمن محمد بن يعفر الحوالي من قِبَل الخليفة المنتصر ..

. ولسائل يسأل: ألم يستول ابن زياد على اليمن، وماحوله ويكَوّن دولة مستقلة عن الخلافة العباسية، فكيف يرسل الخلفاءُ الولاةَ عليها، وإلى

---

[1] الطبري ٥٩٣/٨.

[2] المقتطف من تاريخ اليمن، ص١٠٥، ومثل الجرافي كثيرون!..

[3] ونقول الصواب: تهامة اليمن فقط لأن مجرى الأحداث التاريخية تفيد ذلك. بدليل ماسبق أن ذكرناه.

[4] الصواب أنه توفي عام ٢٣٥هـ

[5] المرجع نفسه ص١٠٧.

بعد الآخر؟!. وما موقف ابن زياد من هؤلاء الولاة؟!. وأين هي الدولة المستقلة عن دولة الخلافة؟!. إن هذا التضارب والتناقض يبعث على عدم الثقة في الأخبار والروايات التي تصدر عن هواة النقل دون تدبر ..

وعلى كلٍ فإنه يتضح من كل ماسبق أن عمارة بالغ كثيراً، وأن ذاكرته خانته فصَحَّف وخَلَط، ولم يَطّلع على ما كتبه ثقاة المؤرخين، لذا توهّم أشياء لم تقع، وتلقفها عنه بعض المؤرخين دون تثبت من صحتها ـــ من منطلق الثقة ـــ فوقعوا في الخطأ نفسه، وعلى أيديهم شاعت وكأنها حقائق مسلمة، لأن كثرة تداول المعلومة الخطأ يزيدهاشهرة، ورسوخاً في الذهن، وربما يُنكر الصواب إن ظهر، شأن الكلمة المخالفة لقواعد اللغة، والقياس، التي اشتهر وشاع استعمالها خطأ!. فإن الأذان تمج سماعها، ولا تستأنس بها إن قيلت صواباً، بينما تستعذبها وتشغف لها إن قيلت خطأ!. حقاً آفة الأخبار رُوَاتُها..

## حقيقة الوضع :

إن حقيقة الوضع على ضوء ماسبق من شواهد وأدلة تاريخية، أن ابن زياد سواء أكان مرسلاً من قبل الخليفة، أم كان من أبناء المنطقة، وسواء وُجد بها خلال هذه الفترة الزمنية التي نحن بصدد سرد أخبارها، أم وُجد بعدها؟، فما هو إلا والٍ محدود الولاية على أرض عَك والأشعريين فقط، يحكمها باسم الخليفة، ويستمد سلطته من السلطة العامة للدولة، مثل الولاة المحليين الآخرين، من رؤساء البلدان، والمخاليف والقبائل، الذين لا يتعدى نفوذهم حدود منطقتهم، أو بلدهم، أو مخلافهم، أو قبيلتهم، ليبدأ خلف تلك الحدود نفوذ الوالي أو الرئيس المجاور .. وأى تعدٍ لتلك الحدود كان يعتبر اعتداء على حقوق الغير، وعندئذ يُرفع الأمر إلى والى الإقليم الذى يخضع هؤلاء إلى رئاسته، فإن استطاع ردع المعتدى، وإلا رفع الأمر إلى السلطة العليا التى ترعى الجميع، أى ديوان الخلافة، لأن هذا هو ما حدث فعلاً بالنسبة لبنى سُلَيْم وغيرها من قبائل الحجاز. وفي اليمن أيضاً عندما عاد إليهم جعفر بن دينار والياً، يقود أربعة آلاف جندى عام ٢٣١هـ، كما سبق أن ذكرنا ذلك.

كان هؤلاء الرؤساء، أو الولاة المحليين هم الذين يُوَرِّثُون الرئاسة لأبنائهم من بعدهم، طالما كانوا محل رضا وثقة من مرؤوسيهم .. كبنى عبْد المدان على بنى الحارث بن كعب بنجران، ثم بنى الجون من بنى عبد المدان .. وبنى طرف على مخلافى حكم وعثر، ثم إلى أن وحدهما سليمان

ابن طرف تحت مسمى " المخلاف السليماني" في جازان، وغير ذلك. وكرؤساء القبائل على قبائلهم .. أما ولاة الأقاليم والأمصار والولايات مثل مكة، والطائف، والمدينة، واليمامة، واليمن، والكوفة، ومصر، وغيرها فإن ولاتها كانوا يعينون من قبل الخليفة، وله أن يعزلهم متى شاء، كما شاهدنا ذلك خلال السرد التاريخي السابق ..

وحينما بدأ الضعف والوهن يتسرب إلى قلب الدولة العباسية في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، كانت أطرافها أشد تأثراً بهذا الضعف والوهن، كالشجرة الباسقة تصفر أوراقها، وتسرع في الذبول، عندما تعتريها الشيخوخة، فكان أول ما أنفصل عن جسم الدولة أطرافها في شمال أفريقيا، وأدنى الشمال الشرقي فيما وراء خراسان بأسيا، أما في شبه الجزيرة العربية فكان جنوبها هو الأبعد عن متناول يد الدولة، وأصبح المناخ فيه مهيأ لنمو الأفكار والآراء المذهبية[1] كما أتيحت الفرصة لهؤلاء الولاة المحليين لأن ينمو نفوذهم شيئاً فشيئاً، بمقدار إنحسار نفوذ الدولة عنهم تدريجياً، وأغراهم ذلك على بسط نفوذهم على مجاوريهم من الولاة الضعفاء، ورؤساء القبائل، وتخلت الدولة ـ بسبب ضعفها المتنامي ـ عن أهم وظائفها وواجباتها، وهو مناصرة الضعيف، والسهر على الأمن، وحفظ حقوق الرعية في تلك المناطق، واكتفت أحياناً بإرسال ولاة أقاليم

[1] تاريخ اليمن لابن المطاع، ص١٤٦ قال: كان باليمن مذاهب مختلفة: قرامطة، وإباضية (فرقة من الخوارج) وجورية، ونقول: وشيعة زيدية، وباطنية، وغيرها بالإضافة إلى أهل السنة، وكان وجود هذه الطوائف سبباً في الفتن والاضطرابات لأزمان طويلة.

من قبلها، لايتدخلون فيما يحدث في المنطقة، وإنما يكون وجودهم فيها وجوداً اسمياً وشرفياً، كما اكتفت من هؤلاء الولاة المحليين، بتقديم الطاعة والولاء، ولو بشكل مظهري، كالدعاء على المنبر، وكتابة اسم الخليفة على الصكوك المتعامل بها تقدياً، وقبول بعض الهدايا بدلاً من الخراج، أو الصدقة، أو الارتفاع، كما كانت تسمى به في ذلك الوقت.

بدأ هؤلاء الولاة المحليين بسط نفوذهم على أكبر مساحة من جسم الدولة الواهية الضعيفة، بعد ان تأكدوا من عدم مقاومتها لتصرفاتهم، محاولين إضفاء الشرعية على أعمالهم وتصرفاتهم، سواء بإعلان الطاعة، وأنهم فعلوا ما فعلوه و لم يخرجوا عن طاعتها، وولائها، كبني زياد، والنجاحيين، أم بالخروج عن الطاعة، بزعمهم أنه حادت عن تحكيم كتاب الله، كالخوراج، أو أن حكامها ليسوا أولى بالحكم منهم كالأئمة الزيديين وغيرهم.

ووقع تنافس بين هؤلاء الولاة. ونشأت بينهم حروب طال مداها، بهدف السيطرة على اكبر مساحة من الأرض، لإقامة دويلة عليها، يتوارثها الأبناء من بعدهم، و لم يدر بخلد أحد منهم في ذاك الوقت الحدود الإقليمية لنواحي شبه الجزيرة العربية، أو بالأحرى الحدود الإقليمية لليمن نفسها، كي يدور الصراع بينهم داخل تلك الحدود، بهدف توحيدها سياسياً مثلاً، وإنما كان المجال أمامهم متسعاً في أقاليم وأرض الدولة ممثلة في شبه الجزيرة العربية بكاملها، فطموحاتهم في ذاك الوقت لا تحد بحدود إقليمية، ولو كان بمقدور أحد منهم أن يبسط نفوذه إلى كافة أقاليم

الدولة، بل وإلى قلبها في بغداد لما توانى في اقتناص ذلك. فما بالك بأرض اليمن، فلم يستطع أحد منهم توحيدها سياسياً، فظلت في عهدهم مجزأة، ومفتتة، وأبناؤها وقود لتلك الحروب والصراعات المتواصلة.

وكان على كل بلدة حاكم، وعلى كل مخلاف أمير غالباً، وجميعهم في صراع متواصل، على مدى ثلاثة قرون تقريباً، إلى أن دخلت اليمن في حوزة الدولة الأيوبية عام ٥٦٩هـ، مما دعا محقق كتاب تاريخ مدينة صنعاء لأن يقول: ونرى صنعاء في نهاية القرن الرابع لها في كل شهر حاكم، وفي كل يوم أمير[1] وبلغ التعصب المذهبي أحياناً إلى استساغة فرض الجزية على سكان اليمن من أهل السنة[2] وتنازع السلطة في اليمن أحياناً عدة أئمة، وكثيراً ماتعارض إمامان فأكثر في بلد واحد، ومن الطريف أنه حدث في منتصف القرن الثالث عشر الهجري أن تنازع خمسة أئمة في صنعاء، وما حولها في عصر واحد عقب وفاة المهدي عبد الله بن المتوكل[3] لذا لم يتسن لأحد منهم توحيد اليمن سياسياً وإقليمياً.

وعموماً فطالما أن مسألة الاقليمية لم تكن في اعتبار هؤلاء المتصارعون على امتداد النفوذ، ولم تهيأ في خلدهم، فمن خطل الرأي أن

---

[1] مقدمة تحقيق كتاب: تاريخ مدينة صنعاء للرازي، تحقيق حسين بن عبد الله العمري ص٢٧، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.

[2] انظر مقدمة تحقيق كتاب تاريخ اليمن، المسمى "تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى" لعبد الله بن علي الوزير والتي كتبها باسم مركز الدراسات والبحوث اليمنية: عبد الصمد القليسي، ص١٤.

[3] اليمن الكبرى للويسي، ص٢٦٤.

يقال إن امتداد نفوذهم إلى مناطق أخرى ألغى الشخصية السابقة للأقاليم المضافة، واكسبها إقليمية جديدة دائمة!. فلئن قيل ذلك في معرض الاستشهاد التاريخي لامتداد نفوذ هؤلاء الولاة المحليين على بعض الأماكن، فماذا يقال عن امتداد نفوذ المدينة المنورة في عهد الرسول ﷺ ، وفي عهد الخلفاء الراشدين إلى كافة البقاع والأصقاع، وكذلك في عهد الأمويين، والعباسيين وهم أصلاً من أهل الحجاز .. من قريش؟!. ثم إن القرامطة، والفاطميين، وبنو بويه، والمماليك وغيرهم امتد نفوذهم إلى كثير من المناطق والأقاليم، ولم تمح خلال ذلك هوية أي إقليم، وإن كان اكتسب الصبغة السياسية المؤقتة لهؤلاء لكنه عادت له هويته السياسية المحلية، التي تتوافق مع خواص إقليميته وطباع أهله وعاداتهم، بمجرد إنحسار ذلك النفوذ عنه، وإن الشواهد على ذلك في العصر الحديث كثيرة، مثل المستعمرات في عهد دول الاستعمار، فقد عادت للدولة المحتلة هويتها السياسية بمجرد انتهاء النفوذ الاستعماري عنها ـ بالشكل الذي يتوافق مع إقليميته، ورغبات أهله ومواطنيه في الأسلوب الذي يحكمون به أنفسهم، وكدول روسيا الاتحادية التي انفرط عقدها، وعادت لكل منها هويتها السياسية، بما يتوافق مع إقليميته السابقة، ورغبة مواطنيه وذلك بمجرد تداعي كابوس الشيوعية الذي كان جاثماً على أنفاسها .. فهو نفوذ مؤقت قام لعدة عوامل، وعند انتهائه زال ذلك النفوذ ..

ويتبين من كل ذلك أن مسألة امتداد النفوذ ليست ذات أهمية، وبخاصة في العصر الذي نتناول أحداثه ونستعرض وقائعه .. لأنها كانت

عبارة عن غزو وسطو كتلك التى كانت تقع بين القبائل بعضها مع بعض، دون أن يؤثر ذلك على وضعية الأرض والأقاليم. وبالتالى التبعية الإقليمية التى أوضحناها فيما سبق ..

ثم تعالوا بنا نستعرض بلمحة سريعة نشأة بعض تلك الدويلات[1] التى أقامها هؤلاء الولاة المحليين، لنتلمس مدى هذا النفوذ .. إن كان هناك نفوذ حقاً كما يزعم البعض!..

دولة بنى زياد (٢٠٣هـ ــ ٣٩١هـ) قاعدتها زبيد، وسبق أن أوضحنا أن الجميع نقل ما كتبه عنها، وعن نشأتها، وامتداد نفوذها إلى كثير من المناطق، عن عمارة اليمنى، وأنه توهم أشياء لم تقع، وخلط وصحّف، فلا يمكن الاعتماد على ما كتبه عمارة .. فالحقيقة أن نفوذ بنى زياد لم يخرج عن تهامة اليمن، ولم يمتد إلى حرض بتهامة الحجاز، لأنه كان عليها ولاة محليون، وكانوا يخضعون إدارياً لولاة مكة، وعند ضعف الدولة العباسية ظلوا يحكمونها، وتربطهم بولاية مكة والطائف، علاقة وُدّ، تشبه إلى حد كبير الارتباط الإدارى، وأن منطقة جازان وهى المجاورة للزياديين، كان يديرها بنو الحكم من أهل المنطقة، ثم انتقل الحكم فيها عام ٣٩٣هـ إلى آل موسى الجون، وهم من أبناء المنطقة أيضاً، ولم يخضعوا للنجاحيين (٤٠٣–٥٥٥هـ) الذين قاموا بزبيد على انقاض الزياديين، ولا

---

[1] أطلق بعض المؤرخين عليها اسم: دولة، أو مملكة، وهى بهذا الإطلاق تختلف عن المعروف فى العصر الحديث، بتكوينات الدول وأسس تشكيلها فى المفهوم الدولى، أو القانون الدولى العام.

لغيرهم، بدليل أنه عندما استفحل أمر ابن مهدى، في تهامة اليمن[1] وحاول بسط هيمنته ونفوذه على حازان بتهامة الحجاز، وقعت بينه وبين حاكمها في ذاك الوقت غانم بن حمزة، وقائع وحروب قتل فيها ابن حمزة، فاستنجد أخوه بالخليفة العباسى، فكتب الخليفة إلى السلطان صلاح الدين الأيوبى حاكم مصر، بنصرته، فبعث صلاح الدين أخاه تورران شاة إلى اليمن عام ٥٦٩هـ فاستولى على كافة اليمن، وقضى على تلك الدويلات التى كانت قائمة فيه، ودخلت بذلك اليمن في حكم الأيوبيين من عام ٥٦٩هـ حتى عام ٦٢٦هـ، ثم خلفهم الرسوليون من عام ٦٢٦هـ حتى عام ٨٥٨هـ، ثم بنو طاهر وهم قرشيون من عام ٨٥٨هـ حتى عام ٩٢٣هـ، ثم المماليك الجراكسة من عام ٩٢٣ حتى بداية الدولة العثمانية في اليمن عام ٩٤٥هـ كغيرها من الأقاليم والأقطار العربية التى دخلت في حوزة الدولة العثمانية.[2]

ترى في أى اتجاه كان امتداد النفوذ؟ من اليمن أم إليها؟ وخلال هذه الحقبة الزمنية الطويلة؟!. وهل لو كان لأحد بالمنطقة نفوذ على حاكم حازان، أو تهامة عسير، غير نفوذ الخليفة، وغير والى الإقليم مثلاً، أفليس من الأجدى به أن يبعث الاستغاثة إليه، لقرب مكانه، وسرعة نجدته؟! بل أكثر من هذا فإن المؤرخين أنفسهم الذين أرخوا لما سبق،

---

[1] قامت دولة بنى مهدى عام ٥٥٣-٥٥٨هـ.

[2] المقتطف من تاريخ اليمن للجرافى، ص١٢٦، ١٢٧، وتاريخ اليمن للواسعى، ص١٨٩، وتاريخ اليمن لعمارة، تحقيق د.زيتهم ص١٥٦، وغاية الأمانى، القسم الأول، ص٣٢١-٣٢٤.

قالوا: إنه في عهد الأيوبيين امتد النفوذ الدعوى لبنى حمزة، حكام حازان إلى صنعاء، وصعدة؟[1] وأن حكام دولة بنى رسول بزبيد كانوا يستميلون حكام حازان، وأقطع الملك المظفر الرسولى أحدهم مدينة القُحْمة[2]، عندما زاره في زبيد.[3]

ثم إن كثيراًمن هؤلاء الولاة المحليين كان يستمد سلطته من الخليفة العباسى، أو الفاطمى، أو الأيوبى، أو المملوكى، وذلك باعلان الطاعة حتى ولو بصورة رمزية أو اسمية، فكان هذا اعترافاً ضمنياً بهيمنة الدولة، والخضوع لها، وهو يشبه إلى حد كبير الدخول تحت الحماية في العصر الحديث .. وان امتداد سلطة الدولة للمناطق التي تحت أيدى هؤلاء الولاة لم ينقطع، و لم تنفصل تلك المناطق عن جسم الدولة سياسياً، وربما لهذا السبب وجه حاكم تهامة عسير استغاثته إلى الخليفة العباسى، ولهذا أيضاً قدمها الأيوبيون، والمماليك وغيرهم، على اعتبار أنها امتداد لأرض الدولة.. ولهذا السبب أيضاً تصدت الدولة في عهد المماليك إلى الغزاة الأوربيون كالبرتغاليين وغيرهم، عندما قدما بحراً إلى المنطقة.

---

[1] تاريخ عمارة، بتحقيق د.زينهم ص١٣٨، وهو الجزء الذى جمع من تاريخ ابن خلدون عن اليمن، وألحق بالكتاب.

[2] القُحمة في الشمال الشرقى من زبيد، فيما بين بيت الفقيه والمنصورية وهى غير القحمة الواقعة ببلاد المنجحة، شمال حازان بمسافة ١٣٠كيلو، على الساحل.

[3] المقتطف للعرافى، ص١٣٣، ومدينة القُحمة كانت بالقرب من جبل القحمة على وادى ذوال في الشمال الشرقى لزبيد، بين بيت الفقيه والمنصورية، وهى خربة حالياً. انظر معجم المدن والقبائل اليمنية، ص٣٢٤.

إن شبه الجزيرة العربيـــة بصفـــة عامـــة، وإن كـــانت مقســـمة إلى أقـــاليم جغرافيـاً وإدارياً، لكنهـا كـانت تعتـبر وحـــدة سياسـية مترابطـة ضمـــن أقـــاليم الدولـة، وإن توزعهـا ولاة محليـون، لأن أياً منهـم لم يملـك القـدرة على تكويـــن دولة تكوينـاً سياسياً مستقلاً في نظـر العـالم الخـارجي ذاك الوقـت.

بـل ظلـت المنطقـة في نظـر العـالم الخـارجي، على أنهـا جـزء مـن جسـم الدولـة العباسـية ثـم المماليك، وقدمهـا العثمـانيون عـام ٩٤٦هـ علـى اعتبـار أنهـا جـزء مـن جسـم الدولـة، وأنهـا ورثـت مـن كـان قبلهـا في الهيمنـة علـى أجـزاء الدولـة وأرضهـا.

ونلحـظ أن الأئمـة الزيديـين ظلـوا فـترة طويلـة منـذ استقرارهم في اليمـن عـام ٢٨٤هـ[1] يقومـون بـالدعوة ولا يلتفتـون إلى السـلطة، ثـم بـدأوا يتجهـون إلى الحكـم والسـلطة، وعندمـا دخـل الأيوبيـون اليمـن عـام ٥٦٩هـ انحـاز الأئمـة إلى صعـدة، ولم يجـابهوا الأيوبيين، وظلـوا كذلـك في عهـد الرسـوليين ثـم الطـاهريين ٨٥٨هـ، ثـم بـدأوا في الدخـول مـع غـيرهم في صراعـات. كمـا تنـازعوا السـلطة فيمـا بينهـم، وكثـيراً مـا تعـارض إمامـان فـأكثر في بلـد واحـد، ووقـت واحـد[2] ، ودخـل أهـل نجـران مـع الأئمـة في حـروب طويلـة، لمنـع نفوذهـم إليهـم، ورفـض دعوتهـم، وهيمنتهـم عليهـم، وذلـك إبـان فـترة

---

[1] كان الأمام الهادى يحيى بن الحسين بن القاسم الحسني، أول من ذهب إلى اليمن للمرة الأولى عام ٢٨٠هـ، ثـم تركها وعاد إلى الرس، ثم ذهب إليه شيعته وحملوه إلى العودة إلى اليمن عام ٢٨٤هـ فاستمر بها هو وذريته، تاريخ اليمن، لابن المطاع ص٧٤-٧٦.

[2] اليمن الكبرى، للويسى ص٢٦٤، وابن المطاع ص١٨٦، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٠.

ضعف الدولة، ووهنها، وعجزها عن مد يد العون للضعيف، كما كان الحال في مجدها، حتى عمت الفتن والاضطرابات جنوب شبه الجزيرة .. وقام صراع طويل بين هؤلاء الولاة المحليين، ودخل الأئمة حلبة هذا الصراع .. ولم يستطع أيّ منهم التغلب على الساحة وتوحيد اليمن سياسياً في ذاك الوقت. لذا فإن امتداد نفوذ أيٍّ منهم إلى ما وراء حيزه ـــ إن حدث ـــ كان امتداداً مؤقتاً، ولفترات عارضة يعود بعدها، إما رغبة أو رهبة إلى موقعه، وبالتالي يعود الاقليم أو البلدة إلى وضعها السابق، دون أن يترتب عليه أيّ أثر سياسي، لأنه لم يكن يدور بخلدهم ذلك الهدف، ولذا فإن أعمالهم كانت تشبه إلى حد كبير الغزوات والغارات التي ليس لها من الثبات والديمومة ما يؤدى إلى التوحيد السياسي لبناء دولة، وما يتفق مع رغبات السكان، والرضا من المواطنين .. فامتداد النفوذ الخارجي قهراً كان أشبه بالاستعمار، وعند زواله يعود الوضع إلى ماكان عليه سابقاً

ونلاحظ أن صاحب كتاب "غاية الأماني"[1] الذى حاول فيه تقصى تاريخ اليمن منذ البعثة النبوية حتى عام ١٠٤٥هـ، متوسعاً في ذكر الدول التى قامت باليمن، والصراعات التى دارت بينها، وتعددها خاصة في القرن السادس الهجرى، قال: "افترق مُلك اليمن في هذه المدة، فكان عدن أبين، والد ملوه، وتعز إلى نقيل صيد لآل زريع، أهل عدن. وذمار ومخاليفها لسلاطين جنب. وصنعاء وأعمالها إلى نواحى الظاهر، وحدود الأهنوم،

[1] غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تأليف يحيى بن الحسين بن القاسم (ت ١١٠٠هـ).

لعلى بن حاتم اليامي، صاحب صنعاء، والجوف وما يليه لآل الدعام. وصعدة وما يليه للأشراف بني الهادي، وشهارة وبلادها لأولاد القاسم العياني. والجريب وما حوله لولد عمر بن شرحبيل الحجوري، وزبيد وبلاده إلى حد حرض [.. لاحظ كلمة: حرض هنا آخر حدود اليمن] لعبد النبي بن علي بن مهدي." أي أن دولة بني مهدي تنتهي حدودها الغربية إلى حد حرض..

ثم قال: "ولم يزالوا كذلك حتى زالت دولتهم جميعا ببني أيوب."[1] فانظر كيف قسمت اليمن إلى عدة دويلات، وإمارات، تنازعت فيما بينها قروناً عديدة، وقد تقصاها المؤلف، وأتى على ذكر كل منها بشكل تفصيلي، ثم أعطانا في النهاية خلاصة هذا التقصي. وهو حين أوردها في النص السابق، أوردها كدول تقاسمت أرض اليمن وتنازعت فيما بينها، حتى انتهت جميعها على يد الأيوبيين ولم تدخل منطقتنا ذلك الصراع، وإنما وقف الصراع بينهم عند حدود حرض، ولم يتجاوزها غرباً وشمالاً.

كما نجد أن ابن المجاور[2] الذي زار المنطقة أوائل القرن السابع الهجري، يقول ـــ بعد أن عدد ذكر بعض البلدان في تهامة وعسير، وأهلهما ـــ: "..إنهم قبائل وفخوذ من العرب، ليس يحكم عليهم سلطان،

---

[1] انظر غاية الأماني، ص٣١٦ في كل ماسبق.

[2] هو جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد، المعروف بابن المجاور، الشيباني، الدمشقي.

بل مشايخ منهم وفيهم."[1] ويقول عن نجران ".. إن أهلها لايطيعون الملك الغز ولا لسلاطين العرب"[2] وهو يقصد بملك الغز الأيوبيين ومن عاصرهم من الحكام والأمراء العرب.

وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من عدم خضوع منطقتنا لأى من نفوذ المتصارعين في جنوب شبه الجزيرة العربية.

كما نلحظ أن ابن بطوطة، الرحالة العربي الشهير[3] مر بالمنطقة، بعد أن جاور بالحرم المكي فترة، ثم أدى الفريضة عام ٧٣٠هـ، وانطلق بعدها مع حاكم حليّ، وهو عامر بن ذويب من بني كنانة، إلى بلاد حليّ بمركبه في البحر حتى حليّ، فاستضافه ابن ذويب، ثم انطلق نحو اليمن، ومر ببعض الأماكن والبلدان. حتى وصل زبيد وعندها قال: إنها مدينة عظيمة باليمن.. وهي إحدى قواعد اليمن[4] بينما لم ينسب غيرها مما مّر به من بلدان إلى اليمن، ولم يذكر اليمن إلا عندما وصل إلى زبيد.. وهذا يعنى انها بداية أرض اليمن..

---

(1) كتاب "المستبصر" تحقيق أوسكر لوفجرين، ليدن/بريل ص٢٦.

(2) المرجع نفسه، ص٢١٠.

(3) ابن بطوطة، هو: أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتي، الطنجي، نسبة إلى مسقط رأسه طنجة من بلاد المغرب بشمال أفريقيا. خرج من بلده طنجة للقيام برحلته الشهيرة يوم الخميس ٢رجب ٧٢٥هـ وكان عمره ٢٢ عاماً، وطاف كثيراً من بلدان العالم العربي والإسلامي. وسجل رحلته في كتابه المسمى "تحفة النظار في غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار" المعروف باسم: رحلة ابن بطوطه.

(4) رحلة بن بطوطة، ج١، ص١٥٦.

وهذا كله يؤكد ما رأيناه، مدعماً بشواهد وأدلة تاريخية، سردنا بعضها خلال هذا الطرح لمسيرة التاريخ في مراحله المتتابعة.

وأيا كان فإن نشأة الدول في العصر الحديث تعتمد على أسس ومعايير ومفاهيم دولية، أوضحتها النظم والقوانين الدولية .. كما أوضحت أسس العلاقات بين الدول المتجاورة، واعتبرت من يشذ عن تلك الأسس خارجاً، ومعادياً للمجتمع الدولي.

ويتضح من كل ماسبق أن منطقة بحثنا ــ جازان وعسير ونجران ــ كانت امتداداً لوسط شبه الجزيرة العربية، ومرتبطة بها اجتماعياً وروحياً قبل الإسلام، ثم أضيف إلى ذلك العنصر الإداري في ظل الإسلام، وعلى مدى فترات التاريخ الإسلامي. حتى قيام الدولة العثمانية، ودخولها إلى المنطقة. ومواكبة ذلك نشأة الدول في العصر الحديث .. وهو ما نركز عليه الدراسة في الجزء الثاني من هذا البحث ــ إن شاء الله ــ.

# المراجـــــع

**أولاً :**

- القـرآن الكريـم
- بعض كتـب السنة

**ثانياً: الكتب**


- د.ابراهيـم، حسـن.
  **اليمن البـلاد السـعيدة**، سلسـلة اخترنـا لـك (٥٢) دار المعارف/القـاهرة.
- ابن الأثير، عز الديـن أبـو الحسـن، علـى بـن محمـد الشـيبانى (ت٦٣٠هـ)
  **الكـامل في التـاريخ**، دار صـادر، بـيروت، ١٣٨٥هــ/١٩٦٥م.
- الأزرقى، أبو الوليـد، محمـد بـن عبـد الله بـن أحمـد (٢٥٠هـ)
  **أخبار مكة، وماجـاء فيهـا مـن الآثـار**، تحقيـق رشـدى صـالح ملحس.
  دار الأندلس، بـيروت.
- ابـن الأصبغ، عـرام السـلمي (٢٧٥هـ)
  **أسمـاء جبـال تهامـة وسـكانها**، طبـع ضمـن مجموعـة قـام بجمعهـا وتحقيقهـا،
  د.عبـد السـلام هـارون، في سلسـلة نـوادر المخطوطـات. ط:٢، الحلبـى،
  القـاهرة ١٣٩٢هـــ/١٩٧٣م.

- الأصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين بن محمد، القرشي الأموي الأصبهاني البغدادي (٣٥٦هـ)
**الأغاني**، دار الفكر، القاهرة.
- الأكوع، محمد بن علي، الحوالي.
**اليمن الخضراء مهد الحضارة**، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- الألوسي، محمود شكري
**بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، تحقيق محمد بهجة الأثري ط:٣، دار الكتب الحديثة، القاهرة.
- باسلامة، حسين عبد الله
**تاريخ الكعبة المعظمة**، تهامة، جدة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن ابراهيم، الطنجي
**تحفة النظار في غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار**، الطبعة الثانية، القاهرة.
- البغدادي، صفي الدين، عبد المؤمن بن عبد الحق (٧٣٩هـ)
**مراصدالاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت.
- البكري، أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز، الأندلسي (٤٨٧هـ)
**معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م.
- البلاذري، أبو الحسن، أحمد بن يحيى بن جابر بن داوود (٢٧٩هـ)

**أنساب الأشراف**، تحقيق محمد باقر المحمودي، دار الصادق، بيروت.
**فتوح البلدان**، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- د.بيضون، إبراهيم
**الحجاز والدولة الإسلامية**. بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين (٤٥٨هـ)
**مناقب الشافعي**، تحقيق السيد أحمد صقر. دار التراث، القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، الحراني الدمشقي (٧٢٨هـ)
**السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية**، دار الكتب العربية، بيروت.
- أبو تمام، حبيب بن أوس بن الحارث الطائي (٢٣١هـ)
**ديوان الحماسة**، تحقيق د.عبد الله عبد الرحيم عسيلان، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م. ونسخة أخرى بشرح التبريزي، ط:١ دار القلم، بيروت.
- ابن جعفر، قدامة، الكاتب (٣٢٠هـ)
**الخراج وصناعة الكتابة**، تحقيق د.محمد حسين الزبيدي، مكتبة المثنى ببغداد.
- الحازمي، أبو بكر، محمد بن أبي عثمان موسى بن عثمان (٥٨٤هـ)
**عجالة المبتدى وفضالة المنتهي في النسب**، تحقيق عبد الله كنون، ط:٢ القاهرة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد (٨٥٢هـ)
**الإصابة في تمييز الصحابة**، دار صياد، بيروت، مصورة عن الطبعة الأولى بمصر ١٣٢٨هـ.
- الحربي، أبو إسحاق، إبراهيم بن اسحاق (٢٨٥هـ)
**المناسك وأماكن طرق الحج**، تحقيق حمد الجاسر، قدم له بمقدمة مفيدة، دار اليمامة، الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- ابن حزم، أبومحمد، علي بن أحمد بن سعيد، الأندلسي (٤٥٦هـ)
**جمهرة أنساب العرب**، تحقيق د.عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة ط: ٣، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- ابن الحسين، يحيى بن الحسن بن القاسم بن محمد (١١٠٠هـ)
**غاية الأماني في أخبار القطر اليماني**، تحقيق د.سعيد عبد الفتاح عاشور ود.محمد مصطفى زيادة، دار الكاتب العربي ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- الحقيل، حمد إبراهيم
**كنز الأنساب ومجمع الآداب**، ط:١٠، الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- الحلبي، علي برهان الدين بن ابراهيم بن أحمد بن علي (١٠٤٤هـ)
**السيرة الحلبية**، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- حمزة، فؤاد
**في بلاد عسير**، ط:٢، مكتبة النصر الحديثة، الرياض١٣٨٨هـ/١٩٦٨م
- د.حميد الله، محمد

**مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، ط:٣، بيروت ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

- ابن خرداذبة، أبو القاسم، عبيد الله بن عبد الله (٣٠٠هـ)
**المسالك والممالك**، طبع لأول مرة بمطبعة بريل، ليدن ١٨٨٩م، ثم صورته وأعادت طباعته مكتبة المثنى ببغداد.

- الخزرجي، علي بن الحسن بن أبي بكر، الزبيدي، المعروف بابن وهاس (٨١٢هـ)
**العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**، دار الهلال بالفجالة، القاهرة ١٣٢٩هـ/١٩١١م.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، الحضرمي، الأشبيلي (٨٠٨هـ)
**تاريخ ابن خلدون، المسمى "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"**، بيروت ١٣٩١هـ/١٩٧١م، مصورة عن طبعة حجر.

- ابن خلكان، أبو العباس، أحمد بن محمد بن أبي بكر (٦٠٨هـ)
**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق د.احسان عباس، دار الثقافة بيروت.

- الخوارزمي، أبو جعفر محمد بن موسى (بعد عام ٢٣٢هـ)
**كتاب صورة الأرض**، طبعة: دولف هولنز، فينا، النمسا ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م.

- ابن خياط، أبو عمرو، خليفة بن خياط، الشيباني، البصري (٢٤٠هـ)
**الطبقات**، تحقيق اكرم ضياء العمري، بغداد ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

- الدهلوي، عبد الستار

**المنتقى في أخبار أم القرى**، أبواب، وفصول مختارة من كتب كل من: الأزرقي، والفاكهي، وابن ظهيرة، والفاسي، وغيرهم، طبع ليدن.

- الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن (٩٦٦هـ)

**تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس**، مؤسسة شعبان، بيروت، مصورة عن طبعة حجر.

- الدينوري، أبو حنيفة، أحمد بن داوود (٢٨٢هـ)

**الأخبار الطوال**، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة ١٩٦٠م.

- الذهبي، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ)

**سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرناؤوط، د.حسين الأسد، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

**تجريد أسماء الصحابة**، دار المعرفة، بيروت.

- الرازي، ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد (٣٢٧هـ)

**أدب الشافعي ومناقبه**، تحقيق عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٦هـ.

- الرازي، أبو العباس، أحمد بن عبد الله بن محمد، الصنعاني (٤٦٠هـ) •

**تاريخ مدينة صنعاء**، تحقيق د.حسين بن عبد الله العمري، وعبد الجبار زكار، ط:٢، صنعاء ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

- ابن زبارة، محمد بن محمد بن يحيى بن عبد الله، الصنعاني

**مختصر أنباء اليمن ونبلائه في الإسلام**، ضمن مجاميع لكتاب بعنوان: الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ، مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- الزبيدي، محب الدين أبو الفيض، السيد محمد مرتضى (١٢٠٥هـ)
**تاج العروس من جواهر القاموس**، المطبعة الخيرية، القاهرة ١٣٠٦هـ.

- الزبيري، أبو عبد الله، المصعب بن عبد الله المصعب (٢٣٦هـ)
**نسب قريش**، عنى بنشره والتعليق عليه لأول مرة: ١، ليفسي، بروفنسال ط:٢، دار المعارف مصر.

- ابن زنجويه، حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله (٢٥١هـ)
**كتاب الأموال**، تحقيق شاكر ديب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث، الرياض، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- د.سالم، السيد عبد العزيز
**دراسات في تاريخ العرب**، الجزء الخاص بتاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية.

- السبكي، تاج الدين أبو النصر، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (٧٧١هـ)
**طبقات الشافعية الكبرى**، ط:٢، دار المعرفة، بيروت.

- سرهنك، الميرالاى إسماعيل
**حقائق الأخبار عن دول البحار**، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٣١٢هـ.

- ابن سعد، أبو عبد الله، محمد بن سعد بن منيع، الزهري، البصري (٢٣٠هـ)

**الطبقات الكبرى**، دار صادر ودار بيروت، بيروت ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.
- ابن سلام، أبو عبيد، القاسم بن سلام الهروى (٢٢٤هـ)
**كتاب الأموال**، تحقيق محمد خليل هراس، القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- السمعانى، عبد الكريم بن محمد بن منصور، التميمى (٥٦٢هـ)
**الأنساب**، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمى، ط:٢، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- السمهودى، على بن عبد الله بن أحمد (٩١١هـ)
**وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**، تحقيق إبراهيم الفقيه، ط:٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن أحمد، اليعمرى، الأشبيلى، المصرى (٧٣٤هـ)
**عيون الأثر في المغازى والشمائل والسير**، دار الجيل، بيروت، ط:٢، ١٩٧٤م.
- السيوطى، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد (٩١١هـ)
**تاريخ الخلفاء**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة، القاهرة ١٩٧٥م.
**الكنز المدفون والفلك المشحون**، القاهرة، الحلبى ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- د.شرف الدين، أحمد حسين
**اليمن عبر التاريخ**، ط:٤، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- صبرى باشا، أيوب

**مرآة جزيرة العرب**، ترجمة وتعليق، د.أحمد فؤاد متولي، د.الصفصافي أحمد المرسي، دار الرياض للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

- صبري بك، عبد العزيز
**تذكار الحجاز، خطرات ومشاهدات في الحج**، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤٢هـ.
- العامري، عماد الدين أبو بكر، يحيى بن أبي بكر بن محمد (٨٩٣هـ)
**بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسّير والشمائل**، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.
- ابن عبد ربه، أبو عمر، أحمد بن محمد، القرطبي الأندلسي (٣٢٨هـ)
**العقد الفريد**، تحقيق أحمد أمين، وآخرون، ط:٣، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.
- العقيلي، محمد بن أحمد
**المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية**، مقاطعة جازان.
- د.علي، جواد
**المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط:٢، دار العلم للملايين، بيروت، ومكتبة النهضة ببغداد ١٩٧٦م.
- د.العلي، صالح أحمد
**الدولة في عهد الرسول ﷺ** ، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٨م
**محاضرات في تاريخ العرب**، بغداد ١٩٦٠م.
- عمارة اليمني، أبو محمد، ابن أبي الحسن، علي بن محمد الحكمي (٥٦٩هـ)

**تاريخ اليمن، المسمى "المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها"**، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، ط:٢، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

ونسخة أخرى من الكتاب نفسه طبعت بعنوان **"تاريخ اليمن"** تحقيق د.محمد زينهم عزب، دار الجيل، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

- د.العمرو، علي عبد الرحمن

**أثر الفرس السياسي في العصر العباسي**، مطبعة الدجوي، القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

- الغزالي، محمد

**فقه السيرة**، طبعة قطر.

- د.الغنيم، عبد الله يوسف

**أقاليم شبه الجزيرة العربية بين الكتابات القديمة والدراسات العربية المعاصرة**، الكويت ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

- الفاسي، تقي الدين، محمد بن أحمد بن علي، المكي (٣٨٢هـ)

**شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت.

**العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م.

- ابن الفقيه، أبو بكر، محمد بن أحمد، الهمذاني (٢٨٩هـ)

**مختصر كتاب البلدان**، ليدن ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م.

- ابن قتيبة، أبو محمد، عبد الله بن مسلم (٢٧٦هـ)

**المعارف**، تحقيق د.ثروت عكاشة، ط:٢، دار المعارف، القاهرة.
- ابن قدامة المقدسي، موفق الدين أبو محمد، عبد الله بن أحمد بن محمد
**التبيين في أنساب القرشيين**، تحقيق محمد نايف الديلمي، بغداد ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (٦٨٢هـ)
**آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت
**عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**، ط:٥، الحلبي، القاهرة ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.
- القسطلاني، شهاب الدين أبو العباس، أحمد بن أبي بكر بن أحمد (٩٢٣هـ)
**المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، بشرح الزرقاني، تحقيق صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- القلقشندي، أبو العباس، أحمد بن علي (٨٢١هـ)
**صبح الأعشى في صناعة الانشا**، المطبعة الأميرية، القاهرة.
- فلهوزن، يوليوس
**تاريخ الدولة العربية**، ترجمة د.محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة ١٩٦٨م.
- ابن كثير، أبو الفدا عماد الدين، إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ)
**البداية والنهاية**، تحقيق محمد عبد العزيز النجار، مطبعة الفجالة،القاهرة
**المختصر في أخبار البشر**، دار المعرفة، بيروت.

**السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

- كحالة، عمر رضا

**معجم قبائل العرب**، دار العلم للملايين، بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

- الكتاني، عبد الحي بن محمد، الحسني.

**نظام الحكومة النبوية، المسمى "التراتيب الإدارية"** دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- ابن الكلبي، أبو منذر، هشام بن محمد بن السائب (٢٠٤هـ)

**الأصنام**، تحقيق أحمد زكي باشا، دار الكتب، ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م.

- الماوردي، أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب (٤٥٠هـ)

**الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، ط:٣، الحلبي، القاهرة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

- المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد (٢٨٥هـ)

**الكامل في اللغة والأدب**، مكتبة النصر، الرياض، ١٣٨٦هـ.

**نسب عدنان وقحطان**، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي، الدوحة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- ابن المجاور، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد، الشيباني الدمشقي، المعروف بابن المجاور.

**صفة بلاد اليمن وبعض الحجاز، المسمى "تاريخ المستبصر"** اعتنى بتصحيحه وضبطه، أوسكر لو فغرين، ليدن، بريل ١٩٥١م.

- ابن أبي مخرمة، عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد، الشهير: بالطيب. باخرمة (٩٤٧هـ)

**تاريخ ثغر عدن**، طبعة بريل، ليدن ١٩٢٦م، ضمن مجموعة.

- المقدسي، مطهر بن طاهر (٣٥٥هـ)

**كتاب البدء والتاريخ**، عني بنشره لأول مرة المسيو كلمان، قنصل فرنسا، على أنه لأبي زيد بن سهل البلخي، وطبع في باريس عام ١٨٩٩هـ، ثم أعيد طباعته على أنه للمقدسي.

- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (٣٤٦هـ)

**مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط:٢، المكتبة التجارية، القاهرة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

**التنبيه والأشراف**، بتصحيح ومراجعة عبد الله إسماعيل الصاوي، القاهرة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

- ابن المطاع، أحمد بن أحمد بن يحيى

**تاريخ اليمن الإسلامي**، من سنة ٢٠٤هـ إلى سنة ١٠٠٦هـ، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، شركة التنوير، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

- المقحفي، إبراهيم أحمد

**معجم المدن والقبائل اليمنية**، دار الكلمة، صنعاء ١٩٨٥م.

- م.ب.بيوتروفنسكي

**اليمن قبل الإسلام، والقرون الأولى للهجرة**، تعريب محمد الشعيبي، دار العودة، بيروت ١٩٨٧م.

- الميداني، أبو الفضل، أحمد بن محمد، النيسابوري (٥١٨هـ)

**مجمع الأمثال**، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ط:٣، دار الفكر القاهرة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

**مجلة الجمال** (دورية) العدد ٢٥٧، أغسطس ١٩٩٢م.

- أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٤٣٠هـ)

**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ط:٣، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

- النيسابوري، أبو اسحاق، أحمد بن محمد بن إبراهيم، الثعلبي (٤٢٧هـ)

**قصص الأنبياء، المسمى "عرائس المجالس"** المكتبة الثقافية، بيروت.

- ابن نباته المصري، جمال الدين (٧٦٨هـ)

**سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.

- النويري، شهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب (٧٣٣هـ)

**نهاية الأرب في فنون الأدب**، دار الكتب، القاهرة.

- ابن هشام، أبو محمد، عبد الملك بن هشام بن أيوب (٢١٣هـ)

**السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ط:٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (بعد ٤٠٠هـ)

**الأوائل**، تحقيق د.وليد قصاب، ومحمد المصري، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض.

- الهمداني أبو محمد، الحسن بن أحمد بن يعقوب (٣٤٤هـ)

**الاكليل**، ج١٠، تحقيق محب الدين الخطيب، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ط:٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.
**صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد بن علي الأكوع، وتقديم حمد الجاسر دار اليمامة، الرياض ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
- الواسعي، عبد الواسع بن يحيى
**تاريخ اليمن، المسمى "فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن"** ط:٣، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ١٤١٢هـ/١٩٨٢م.
- ابن واضح، أحمد بن أبي يعقوب (٢٩٢هـ)
**تاريخ اليعقوبي**، دار الفكر، بيروت.
- الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (٢٠٧هـ)
**المغازي**، تحقيق د.مارسيدن جونس، مطبعة جامعة أكسفورد ١٩٦٦م.
- ابن الوردي، زين الدين، عمر بن مظفر (٧٤٩هـ)
**تتمة المختصر في أخبار البشر، المعروف: بتاريخ ابن الوردي**، تحقيق أحمد رفعت البدراوي، دار المعرفة، بيروت ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م.
- ابن الوزير، عبد الله بن علي
**تاريخ اليمن، المسمى "تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى"**
تحقيق محمد عبد الرحيم جازم، وتقديم عبد الصمد القليس، منشورات مركز الدراسات والبحوث اليمن، دار المسيرة، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م
- الويسي، حسين بن علي
**اليمن الكبرى**، مطبعة النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٢م.

- ياقوت الحموى، شهاب الدين أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الرومى (٦٢٦هـ)
**معجم البلدان**، دار صادر، بيروت ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

# المحتويـــات

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

الموضوع | الصفحة

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

رقم الإيداع ٨٨٥٧ / ٩٥
الترقيم الدولى ٤ - ٩٠٩٦ - ٠٠ - ٩٧٧ I . S . B . N

**طبعت بمطابع دار التعاون للطبع والنشر**
دار السلام ـ طريق المعادى الزراعى ـ القاهرة
تليفون : ٣١٨٢٥٣٣ ـ ٣١٨٢١٦٠
٣١٨١٣٦٥ ـ ٣١٨١٧٧٨
فاكسيملى : ٣١٨٤١٦٢ دار السلام

طبع بمطابع مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر